كتاب

دائرة المعارف الإسلامية

ترجمة

إبراهيم زكي خورشيد

Ibrahim Zaki Khorshid

عبدالحميد يونس

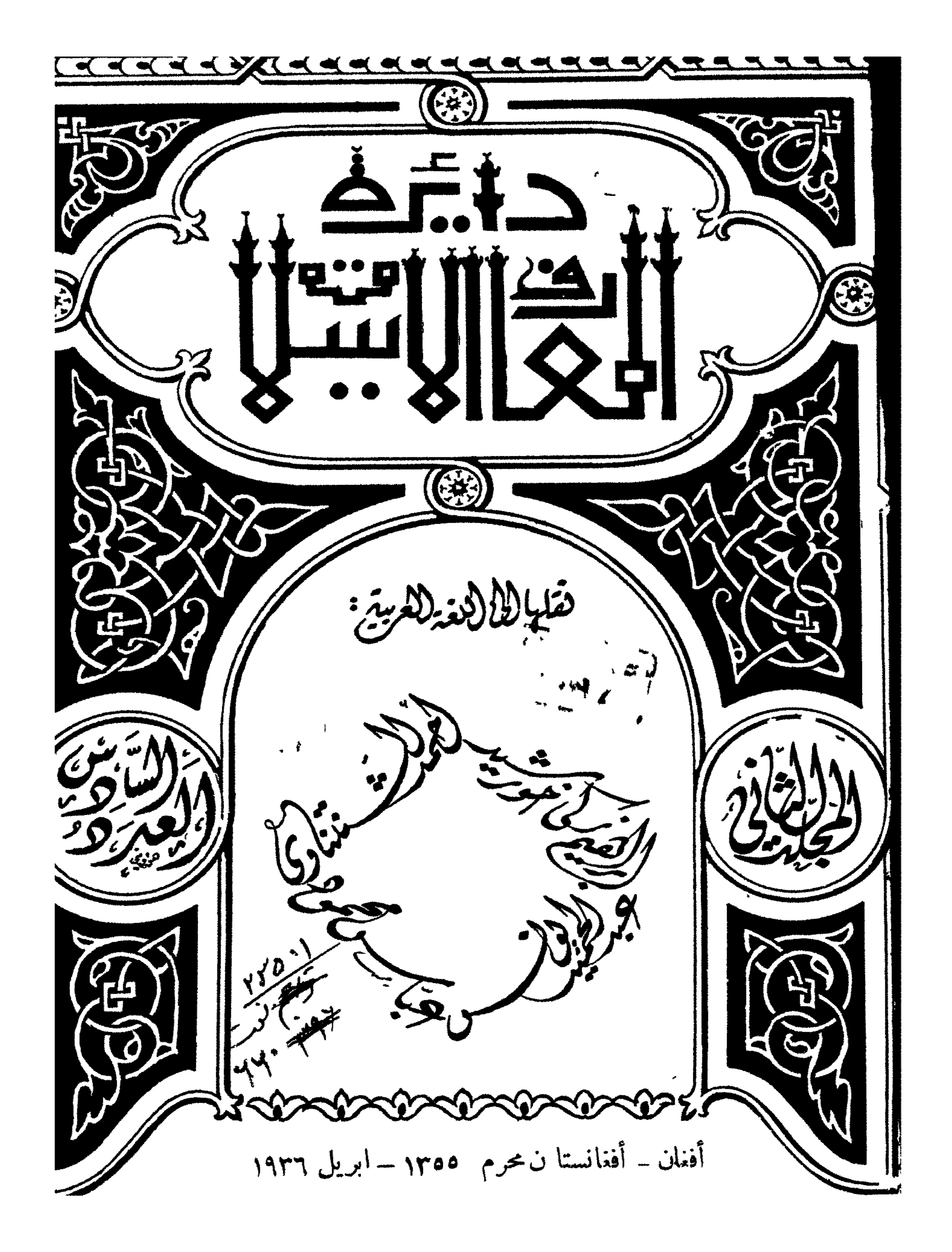
Abdel-Hamid Younis

عباس محمود

Abbas Mahmoud

أحمد الشنتناوي

Ahmed Al-Shantanawy



دائرة المعارف الإسلامية
نقلها إلى اللغة العربية:
أحمد الشنتناوي
إبراهيم زكي خورشيد
عبد الحميد يونس
المجلد الثاني
العدد السادس
أفغان - أفغانستان محرم ١٣٥٥ - ابريل ١٩٣٦

مطبوعات اللجنة

الاسلام والتجديد فى مصر

كتاب فى تاريخ الحركات الفكرية والسياسية والاجتماعية منذ عهد جمال الدين الافغانى الى الوقت الحاضر .

وضعه بالانجليزية الدكتور تشارلز آدمس ، ونقله إلى العربية الأستاذ عباس محمود الماجستير فى الآداب .

وقدم له الأستاذ الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق . ثمن النسخة ١٥ قرشاً صاغاً — ويطلب من اللجنة ومن جميع المكاتب .

أديب

قصة رائعة فى أسلوب ممتع وتحليل دقيق . كتبها الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين .

ثمن النسخة ١٠ قروش عدا أجرة البريد ، وتطلب من مكتبة الترجمة لأصحابها حسن محمد وأخوته ، شارع المدابغ تليفون رقم ٥١٣٩٤ .

مفتاح كنوز السنة

هو معجم مفهرس عام تفصيلى وضع للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة فى كتب الأئمة الأربعة عشر الشهيرة مما يمكن الباحث من الوقوف على الحديث المطلوب بغير عناء .

وضعه بالانجليزية ا . ى . فنسنك ونقله إلى اللغة العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .

ثمنه ٦٠ قرشا ويطلب من اللجنة أو من معربه صاحب مكتبة النشر الاسلامى شارع لانس رقم ١٢ بمصر .

مكان الدائرة الجديد

انتقلت لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية إلى مقرها الجديد رقم ١١٢ شارع عماد الدين بمصر

« أفغان » أوغان ، أغوان ـــ : أنظر افغانستان

« أفغانستان » : مملكة بآسية الوسطى .

جغرافيتها :

البلاد المعروفة الآن باسم أفغانستان لم تحمل هذا الاسم إلا منذ أواسط القرن الثامن عشر ، عندما تدعم الجنس الأفغانى . وكانت المقاطعات المختلفة تحمل قبل ذلك أسماء مختلفة، ولم تكن المملكة وحدة سياسية محدودة، ولا الأقسام التى تتألف منها مربوطا بعضها ببعض بأى ارتباط جنسى أو لغوى . وكان معنى هذه الكلمة قديماً « بلاد الأفغان » التى كانت قطعة ضيقة من الأرض لا تشمل كثيراً من المقاطعات التى تشملها الآن وانما كانت تشتمل على مقاطعات بعضها الآن مستقل ، أو داخل فى الهند البريطانيـــة . ثم إن المملكة الأفغانية فى دائرتها الحالية تحت حكم أمراء « باركزائى » ، تتألف من بقعة غير منتظمة الشكل تقع بين خطى عرض ٣٠َ ٢٩° و ٣٠َ ٣٨° شمالا وخطى طول ٦١° و ٧٥° شرقا أو ٣٠َ ٧١° إذا تجاوزنا عن وادى « وخان » الممتد .

التكوين الجيولوجى :

تكوّن هذه البقعة القسم الشمالى الشرقى من النجد الايرانى الكبير ، وهو يحد من الشمال بمنخفض آسية الوسطى ، ومن الشرق بسهل الهند الشمالية بينما ينحنى فى الشمال وفى الغرب نحو المنخفض الذى يشغل وسط هذا النجد ، وهو متصل فى الجنوب الشرقى بجبـــال بلوخستان . والسد الشمالى للنجد مكون من سلسلة الجبال التى تمتد من «پامير» نحو الغرب بحافتها المنعزلة ، ومن بند تركستان التى تمتد من ورائها سهول الرمل والطمى حتى نهر جيحون . وفى الشرق انحدار شديد نحو وادى السند وإذا استثنينا سهول تركستان ذات الطمى فان المملكة كلها تكون داخلة ضمن النجد . الذى هو نفسه تشكل جيولوجى حديث من الدور الثالث ، وهو عبارة عن الأحجار الرملية والجيرية . وكان القسم الشمالى الشرقى لهذا النجد يكوّن فيما مضى جزءاً من محيط كبير موصل بين منخفض بحـــر الخزر وسهول الهند الشمالية . والنتوء الجيولوجى الذى أحدث هذا النجد لا يزال مستمراً إلى الآن ، ويرى هولديخ Holdich أن الوديان الضيقة العميقة عمقا عظيما هى نتيجة تأكل من فعل الأنهار التى هى أضعف من أن تجرى بخطوات متساوية مع الحركة الصعودية .

وصف الجبال :

أهم طابع لهذه الجبال هو السلسلة الشمالية الممتدة إلى الشرق والغرب ، التى سبق ان ذكرنا أنها حد شمالى للنجد . وهى تفصل مقاطعات

التركستان الشمالية (قديما Bactria) عن مقاطعات كابل وهراة وقندهار التى فى الجنوب (قديما Ariana و Arachosia) . وتعرف هذه السلسلة الأصلية بأسماء مختلفة ، فهى « هندوكُش » فى الشرق حيث تفترق عن «پامير». فاذا تقدمت إلى الغرب سميت « جبل بابا» و « جبل سفيد » و « سياه بُك » قرب هراة ، وقد عرف هذا القسم الأخير بوجه عام باسم «پاروپامسوس » Paropamissus ، مع أن الـ « پاروپامسوس » الحقيقية (وهى پاروپانسوس عند بطلميوس) تشمل هندوكش والقسم الاكبر من هذه المقاطعة الذى هو جنوبى تلك السلسلة مشغول بعدد من السلاسل الفرعية، وبالجبال الطويلة التى تتفرع منها، ممتدة من الشرق إلى الغرب، أو بعبارة أدق من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى . وهذه السلاسل مع الوديان التى تتخللها تكوّن أكبر قسم من مقاطعتى هراة وقندهار ، بينما كتلة أخرى من الجبال المتشابكة إلى جنوب هندوكش الشرقية تحتوى على وادى نهر «كابل» ونهر « كورم » وتكوّن مقاطعتى كابل وكافرستان. وأعلى قنة فى السلسلة الشمالية هى سلاسل «شاه فولادى» (ارتفاعها ٥١٥٨ مترا) فى جبل بابا، وتحتوى الجبال الممتدة نحو الجنوب الغربى ، على قنن عديدة ارتفاعها ٣٣٥٠ مترا . وأما سلاسل الجبال التى تفصل الـ « هلمند » (هندمند) و « ترنك » و « أرْغَنْداب » و «أرْغَسان» فهى شعبة من هذه المجموعة، ويمكن تتبعها إلى أبعد من هذا حتى بلوخستان البريطانية. وتنحنى سلسلة جبال سليمان (أعلى قننها تخت سليمان التى ارتفاعها ٣٤١٥ مترا) فى نهايتها نحو وادى السند وهو الحد الشرقى للنجد ، وهو أيضاً خارج الحدود السياسية لأفغانستان. وإلى الشمال من ذلك عند الجانب الشرقى للنجد بين نهرى « كورم » و « كومل » تكوّن الجبال كتلة أقل انتظاماً ذات قنن أعلى من ٣٣٥٣ مترا . وإذا تقدمت أكثر من ذلك شمالا وجدت « جبل سفيد » بين وادى كابل وكورم . وهو أعلى سلاسل أفغانستان بعد « هندوكش » و « جبل بابا » (أعلى قننها « سيكارام » ارتفاعها ٤٥٤٣ مترا) .

الأنهار :

فى شمال هندوكش ينحدر مستوى الاقليم انحدارا شديدا نحو وادى جيحون ، فى حين أن الوديان فى الجنوب أقل انحدارا نحو منخفض سجستان وهى تشمل : بحيرة هلمند (هلمند هامون) وامتدادها « بحيرة زره » التى تصب فيها جميع أنهار هندوكش ، عدا الأنهار الخاصة بالسند . وتنقسم الأنهار إذاً طبيعياً إلى مجموعات ثلاث يمكن تسميتها بمجموعة السند ومجموعة هلمان ومجموعة جيحون .

وتحتوى مجموعة السند على نهر كابل وروافده التى أهمها « تكاو » و « كونر » اللذان يبدأ ان من الهندوكش شمالا ،

و« لوغر » الذى يخرج من « جبل كُسل » فى الجنوب . وإلى جنوب هذا الحوض نهر « كورم » الذى ينبع من «پيوار» ، وروافده « توچى » الذى يسمى « كمبيله » فى مجراه الجنوبى . وهو يلتقى به أسفل الجبال فى الممتلكات البريطانية . وإلى الجنوب يوجد نهر « كُومل » المكوّن من اتحاد نهرى « كُنسدَر » و « زهُوبْ » ، وهو يفصل جبال وزيرستان عن تخت سليمان . ومهما كانت هذه الأنهار صغيرة فانها تروى مساحات واسعة تكوّن طرقا مهمة من الوجهة العسكرية والتجارية خلال الجبال بين الهند والنجد ، وهناك أنهار أخرى أصغر منها مثل « وَهُوَا » و « لونى » و « كها » ، و « نارى » الذى هو أبعد جنوبا ، وكلها تؤدى الغاية عينها . ويمكن أن يلاحظ أن عدة من هذه الأنهار لا تسير فى الوديان الطبعية المكونة من سلسلة الجبال ، بل تقطع مضايق عميقة منحدرة ، مخترقة الصخور الجيرية والرملية لقنن جبال سليمان .

أما المجموعة الثانية وهى مجموعة «هلمند» فتتألف من نهر الهلمند (هندمند) وروافده ، وأنهار أخرى تتجه نحو الجنوب الشرقى وتجرى لتختفى فى منخفض سجستان . والهلمند أو الهرْمند (هيتوما فى ابستاق و « أتيماندروس » عند المؤلفين القدماء) هو النهر الأصلى . وهو ينبع من مكان قريب من كابل ويمر بأودية جبلية ضيقة ليصل فيما بعد إلى منطقة زمنداور الأكثر اتساعا . حيث يلتقى به « أرغنداب » من اليسار (هَرَا هويتى ، آراخوتيس) . وهذا الأخير مكوّن من اتحاد أنهار الأرغنداب الاعلى والترنك والأرغسانْ (أو أرغستان) التى تروى سلسلة من الأودية شبه متوازية ذاهبة من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى . وهناك نهر آخر من هذه المجموعة يخرج من غزنة ويتجه جنوبا دون أن يتصل بمجموعة هلمند ، بل يغور فى بحيرة « أبِستادَه » المالحة . والأنهار الأخرى فى غرب هلمند والتى تتبع نفس الاتجاه الجنوبى الغربى العام وتصب مياهها فى « هامون » هى « خاش روذ » و « فره رُوذ » و « هاروت روذ » .

وحوض هامون (بحيرة سجستان) يضيق أحيانا ولكنه يمتد إلى جهة الجنوب امتدادا عظيما فى موسم الفيضان فيحوّل أكمة « جبل خواجه » إلى جزيرة وهو يمر فى مجرى يسمى «شيلَخ» ويصب فى منخفض أحط منه يسمى بحيرة زره . وجزء من هامون فى الأراضى الأفغانية وجزء آخر فى فارس على حسب التحديد الحديث الذى قسم بلاد سجستان . وبحيرة هامون على ارتفاع ٤٨٦ مترا فوق سطح البحر وبحيرة زره أقل منها ارتفاعا . وتصب بحيرة هامون مياهها فى بحيرة زره مرة فى كل عشرة أعوام ، وماؤها ملح قليلا ، ويمكن شربه . ولا شك أن هذه الحالة تنشأ من طفح البحيرة فى بعض

الأحيـان . ويظهر أن مستوى سجستان لم يرتفع منذ الأزمان القديمة رغم الكميات الهائلة من الطمى الذى تتركه الأنهـار التى ليس لها مصب آخر . ويحتمل أن يكون هذا راجعا إلى الرياح الشمالية الغربية الشديدة التى تهب فى معظم أوقات السنة والتى تزيل الطبقة الخفيفة من سطح الأرض .

والمجموعة الثالثة هى مجموعة جيحون ، وهى تحتوى على جيحون وروافده الجنوبية وكذلك على نهرى « مُرغاب » و« هَرى رُوذ » اللذين يجريان أيضا فى السهل نحو الشمال، إلا أنهما لا يجتمعان أبدا مع جيحون . وكل هذه الانهـار تنبع من السفح الشمالى لسلسلة الجبـال العظيمـة التى تحيط بالنجد ، عدا هرى روذ ، فانه ينبع من جنوب « جبل بابا» ويجرى نحو الغـرب ، ويمر بواد ضيق بين « جبل سفيد » و « جبل سياه » ويصل إلى سهل هراة حيث ينحرف إلى الشمال ويخترق منخفضا فى الجبال ثم يختفى فى سهول التركستان الروسى فى ما وراء «ذو الفقار» .

التكوين العام :

تفقد سلاسل الجبال ارتفاعهـا عموما كلما تقدمت إلى الجنوب والغرب تتلاشى صعوبة المواصلات التى تقابلها فى الشمال ولهذا كان الطريق التجارى الصالح والطريق الحربى الواصل من هراة الى قندهار يمـــر فى كل الأزمان بسبزوار و « فره » و « كِرِشك » ، بينما الطريق من قندهار إلى كابل وغزنة يتبع وادى « ترنك » المستقيم . ويســهل الذهاب من هراة حيث يهبط مستوى ارتفاع جبال « پاروپامسوس » قليلا — إلى ولاية تركستان ، ويمكن الوصول إلى منطقـة كابل نفسها باختراق ممر «خواك» و « باميين » وغيرهما من المعـــابر الصعبة بين جبال « هندوكش » .

وهكذا تميزت مدن هراة وقندهار وكابل بمراكزها الطبعية كأهم نقط المملكة . وكل واحدة منها قائمة فى واد خصب تستطيع أن تعتمد على نفسها ، وكل واحدة منها تسيطر على طرق مهمة مؤدية إلى بلاد أخرى كالهند وفارس وآسية الوسطى . فاذا كان لابد لأفغانستان من أن تظل وحدة سياسية فامتلاك هذه النقط ضرورى لمن يحكمها . أما اذا كانت فى أيد مختلفة فلا يمكن أن تستقر بحال . ويجب على هذا الوضع السياسى أن تضاف غزنة وجلال آباد الى كابل وبُست وكرشـــك . من العواصم القديمة ، الى قندهار . وسبزوار الى هراة . وقد كانت سجستان الواقعة على الطريق السهل من هراة إلى قندهار ، دائما موضع نزاع .

وكابل أقوى مركز من جميع الوجوه ، ولذلك كانت على وجه عام أوسع استقلالا من المقاطعات الأخرى . وبعكسها هراة فانها معرضة جدا للهجمات من الشمال والغرب ، فاذا وقعت هراة بيد فاتح أجنبى فقد أصبحت

قندهار مهددة ، ومادامت هراة سالمة فقندهار فى مأمن من الغرب ، ولها أيضاً مركز منيع من ناحية الهند وان كان أقل مناعة من مركز كابل .

ومقاطعة سجستان المتاخمة لهامون خصبة ومعدة للرى اعدادا حسنا . ولها أهمية عظمى لأمراء أفغانستان لأنها تسيطر على طريق فى الشرق ذاهب إلى قندهار ، وفى الغرب إلى هراة وتقسيمها الحالى بين هذه الدولة وبين بلاد فارس موجب للأسف . ولما كانت هذه المقاطعة مركز الثقافة الايرانية القديمة وكانت مرتبطة بأساطير الفرس ارتباطا وثيقا ، فقد أصرت الدولة الفارسية على التمسك بها ، ويظهر أن نصيبها المقدر لها أن تظل مقسمة كما هى الآن زمنا طويلا .

المناخ :

تتمثل فى المملكة كلها الدرجات النهائية للطقس من الحرارة الشديدة فى سجستان ومقاطعة « كرمسير » ووادى جيحون فى الصيف ، إلى البرودة القارصة فى الشتاء فى المناطق العاليــة المكشوفة حيث تكثر العواصف الثلجية . ويذكر لنا التاريخ أمثلة عديدة لجيوش قاست الكثير من هذا البرد : كسير الملك بابر من جوار هراة إلى كابل مخترقاً جبال « هزاره» . ويظن أن جبل « هندوكش » (قاتل الهنود) يشتق اسمه من الحادثة التى هلك فيها كتائب شاه جهان الهندية من البرد . والأمثلة من التاريخ الأقرب هى المصاعب التى لقيها جيش عبد الرحمن فى سنة ١٨٦٨ ، ولجنة الحدود البريطانية ، فى « باذغيس » سنة ١٨٨٥ . والاختلاف اليومى لدرجة الحرارة كبير جدا ، والفرق بين النهاية الكبرى والنهاية الصغرى يتفاوت بين ٩ ٤/٥ و ٦ ٢/٣ سنتغراد . وطقس الأودية العليا للنجد لطيف ومقبول فى الربيع والخريف ، وهذا هو الذى يساعد كثيرا على نمو الفاكهة وبالأخص العنب والشمام والخوخ والبرقوق والمشمش والجوز والفستق . ولقد وجد الرحالة المحدثون أن المنطقة المحيطة بكابل تستحق الاطراء الذى تغالى فيه الملك بابر .

وهنالك إقليم كإقليم جبال الألب تماما فى أعلى أقسام هندوكش العليا المسكونة بقبائل « كافر » وهو شبيه ببعض أقسام « هملايا » .

ونباتاتها ونباتات النجد الفارسى واحدة على وجه عام ، وهى مختلفة عن نباتات السهول الهندية اختلافا تاماً . ولا توجد أشجار فى السهول إلا قليلا ، عدا المغروس منها فى الحدائق من أشجار الفاكهة ، والدُلب الدائمة الاخضرار والحور ، بينما توجد فوق الجبال الأكثر ارتفاعاً أنواع عديدة من الصنوبر واشجار البلوط ، مع الكروم البرية واللبلاب والورد . وأهم أشجار السلاسل الجبلية الأقل ارتفاعاً والاكثر جفافاً ، هى

الفستق البرى والزيتون البرى والعرعر والياسمين .

ويوجد شجر الحلتيت بكثرة فى أماكن عديدة وتكثر أيضاً الأزهار البرية وبالأخص السوسن والخزامى والخشخاش .

التقسيم السياسى :

التقسيم السياسى للبلاد يتبع التكوين الطبيعى :

كابل : — تشمل مقاطعة كابل الأودية العليا التى حول المجرى الأعلى لنهر كابل ولوغَر وتكاو وغزنة ، كما أنهـا تشمل القسم الأسفل لوادى كابل قرب جلال آباد . وكانت غزنة فى الأزمان القـديمة أهم مدن هذه المقاطعة ولكن قامت كابل مقامها منذ اربعمائة سـنة خلت وعرفت بانها مقر حكومة ملوك المغـل ، واتخذها الملوك الدرّانيون عاصمة بدل قندهار . ومدينة پشاور منافستها القديمة، مركز طبيعى للقبائل فى السهول القريبة من السـند ، ولكنها فصلت عن أفغانستان منذ أن استولى عليها السيخ فى سنة ١٨٣٤ وصارت جزءا من الهند البريطانية منذ سنة ١٨٤٩ . وكابل مدينة زاهرة الآن ، وقد اختلف فى عدد سكانها. فقدره ف. مارتن F. Martin الذى أقام بها منذ زمن غير بعيد بـ ١٥٠,٠٠٠ نسمة ، وهذا تقدير لا شك فى أنه يزيد على جميع التقديرات الأخرى . كمالا شك فى أن كابل كبرت بسرعة فى عهد الامراء المتأخرين .

قندهار — تضم قندهار إقليم زمنداور القديم وتشمل الأودية السفلى لهلمند وترنك وأرغنداب وأرغسـان التى هى أهم وطن للدرانيين. ومدينة قندهار الحديثة الواقعة على نهر أرغنداب هى عاصمة الإقليم منذ القرن الخامس عشر ، وقد أخذت مكانة المـدن الأقدم منها مثل « كِرشك » و « بُست » .

سجستان — هذه المقاطعة الحارة الخصبة واقعة حول بحيرة « هامون » . على حين أن جزءاً كبيراً منها يتبع الفرس وليس فيها أية مدينة كبيرة .

هراة — يحوى إقليم هراة وادى « هرى روذ » الخصب والجهات المكشوفة الداخلة بين جبـال « هزاره » والحدود الفارسية . ويدخل أيضاً فى هذا الأقليم جزء مهم من هذه الجبـال تسكنه قبائل « هزاره » و«چهار ايماق» . ومدينة هراة من أشهر المدن فى تاريخ الشرق ، وهى حاضرة هذا الاقليم . ومهما فقدت هذه المدينة من مجدها القديم فانها لا تزال ويجب أن تظل دائماً موضعاً مهما . ولا شك فى أن الأمن وتحسين المواصلات سيساعدان كثيرا على اتساعها . وسبزوار أيضاً مدينة غنية فى جنوب المقاطعة .

هزارستان — بلاد قبائل «هزاره» و«چهار ايماق » وهى منطقة جبلية محدودة من الشمال

بجبل بابا ومن الغرب بمقاطعة هراة المكشوفة ومن الشرق والجنوب بوادى « هلمند » . وهذه هى البلاد المعروفة قديماً باسم « الغور » ، وتدل خرائب مدينة غور التى استكشفت حديثاً ، دلالة احتمالية ، على موضع « فيروزكوه » العاصمة القديمة التى حكم فيها الملوك الغوريون فى القرن الثانى عشر . وليس فيها اليوم مدينة ذات خطر .

تركستان — البلاد الواقعة شمال «جبل بابا» حتى نهر جيحون معروفة باسم تركستان وقد فقدت « بلخ » عاصمتها القديمة أهميتها ومراكز الادارة الآن « مَزارِشريف » و«طاش قورغان » و« مَيمنَه » .

بذخشان : — عرفت بهذا الاسم بقعة واقعة شمال « هندوكش » وشرق التركستان طول الساحل الأيسر لنهر جيحون . ويسقيها نهر « قُندز » وروافده .

وَخان : — وإذا أمعنت فى الشرق أيضاً تجد وادياً طويلا ممتداً إلى « پامير » يسمى « وخّان » .

كافرستان : - تعرف باسم كافرستان منطقة جبلية من « هندوكش » فتحت حديثاً ، فى شمال وادى كابل وغرب « كونر » تسكنها قبائل « كافر » .

ب — السكان :

يمكن تصنيف الأجناس التى تؤلف سكان الأفغانستان تحت الأسماء الأربعة الآتية : (١) الأفغان (٢) الفرس (٣) الترك والمغل (٤) سكان هندوكش الآريون ، ولكن قد اختلطت هذه الأقوام اختلاطاً كبيراً فأصبح من الصعب تحديد العناصر المكونة لكل قبيلة .

الأفغان : — يرتبط الجنس الأفغانى من حيث التكوين البدنى بالجنس التركى الايرانى أما قبائله الشرقية فقد كثر فيها الدم الهندى . وهناك اختلاف كبير فى السحن . ولا يمكن الوصول إلى التأكد منها الى حين لنقص وسائل تحقيق القياس البشرى Anthropometriques فى معظم أفغانستان، ومع هذا فيمكن أن نسلم بأن نسبة الرءوس القصيرة أكبر فيهم عنها فى أهل پنجاب الهندوآريين، وربما كانت أكبر مما عند الفرس الخاص . وتشبه السحنة الأصلية فى القبائل الجنوبية مثل «كاكر» التى فى « زهوب » وقبائل «تَرين » و « اچكزائى » التى فى«پشين» و « چمن » سحنات أهل بلوخستان ذوى الرءوس العريضة ، بينما الرءوس فى قبائل وادى السند أضيق منها. وتنقصنا المعلومات عن مجموعات كبيرة رئيسية من قبائل « درّانى » و « غلزَائى » . فالأنف طويل وأقنى على وجه عام . وربما نشأ من هذا ظن بعض الناس بأن الأفغان من أصل يهودى . وقد لاحظ Ujfalvy أن هذه السحنة الدالة على الأصل ملحوظة تماما فى نقش صور ملوك كوش على مسكوكات القرن الأول الميلادى . ومن

المؤكد أن هذه السحنة ليست خاصة بالافغانيين بل هى كثيرة بين أجناس البلاد الأخرى كأهل بلوخستان وسكان پنجاب الشمالية الغربية وكشمير. والأفغان جنس طويل القامة، قوى البنية، أبيض اللون بالنسبة إلى جيرانهم، ذوو لحى سوداء، ولهم أحيانا عيون زرق ولكن الاختلاف فى هذه الأمور كبير حتى فى القبائل المتجاورة. وقد حاول بعض المؤلفين المحدثين أن يميزوا بين الأفغان والپتان. فهم يدعون أن الدرانيين والقبائل المتجانسة معهم هم فقط يستحقون اسم الأفغان، على حين أن اسم الـ «پتان» (تحريف الهنود للنطق الأهلى لـ «بختانه» أو «پشتانه» جمع «پختون» أو «پشتون») يطلق على كل القبائل التى تتكلم لغة «پشتو» مهما كانت أصولها. إلا أن هذا التمييز حديث العهد وغير صحيح. ومما لاشك فيه أن «پشتون» أو «پختون» هو الاسم الوطنى الحقيقى المستعمل بوجه عام، بينما اسم الـ «أفغان» يلوح كأنه مأخوذ من أصل أدبى؛ وقد أطلقه على هذا الشعب الأجانب أولا، كأغلب الأسماء القومية، ثم استعمله المثقفون فى الأزمان الحديثة وكذلك الفخورون بنسبهم باعتباره اسما ممتازا. وكان بلو Bellew أول من قرر النظرية التى تقصر اسم الأفغان على الدرانيين والقبائل التى تنتسب إليهم؛ وقبلها منه غيره دون دليل كاف. ووفقا لهذه النظرية لا يمكن أن تسمى القبائل الكبيرة مثل الـ «غلزائى» باسم «أفغان» بل تسمى الـ «پتان» فقط. ثم إن هذه التسمية أطلقت دون تحقيق واف على قبائل الـ «آفريدى» والـ «بنكش» والـ «خطك» والـ «وزيرى» والـ «كاكر» والـ «كنداپور» والـ «شرانى» والـ «أسترانى» وقبائل كثيرة أخرى. ويقبل بلو Bellew الرواية التى تجعل الافغان من أصل يهودى، ويفترض أنهم أتوا من الغرب إلى ولاية قندهار وقابلوا فيها الجالية الهندية التى كانت فى «كندهاره» (مقاطعة پشاور الحالية) والتى طردهم اليها غزاة السيت scythes فى القرن الخامس أو السادس الميلادى. ويفرض أنهم تعلموا لغة «پشتو» من هؤلاء الهنود. دون أن يلاحظ أن «كندهاره» كانت مسكونة بالهنود الخلص وأن اللغة المستعملة فيها يجب أن تكون الـ «پراكريت» (سنسكريتية عامية)، لا لهجة إيرانية يمكن أن تكون الـ «پشتو» مشتقة منها. ثم إن الجالية الأفغانية من قبيلة «يوسفزائى» لا يرجع تاريخ استقرارها إلا الى القرن الخامس عشر. ويزعم بلو دون أن يستند الى دليل ما، أنهم إنما رجعوا إلى موطنهم الأصلى. ويفرض أن اسم «قندهار» هو عين «كندهاره» الذى يجب أن تكون الجالية قد أطلقته على وادى «أرغنداب». وينبغى أن يلاحظ أن تاريخ قندهار حديث وأننا لم نسمع عنها قبل القرن الرابع عشر. ويقول بلو وغيره إن الـ «غلزائيين» هم عين القبيلة التركية التى

يســـمونها « خليجى » يعنى الخلج . ويؤيد دارمستتر هذا الرأى(*Chants des afghans* ص ١٦٣) . ويحتمل أن تكون قبائل الغلزائى قد امتزجت كثيرا بالدم التركى ، ولكننا نشك فى اتحاد القبيلتين فى الاسم . ويفرض بلوّ أن قبائل سلسلة جبـــال سليمان من الهنود الأصليين ، ويأخذ برأى لسّن Lassen فى قوله بأنهم عين ال « پكتويس » Πάκτυες الذين كانوا يسكنون « پكتويكى» Πακτυική على نهر السند كما جاء فى رواية هيرودوتس .

ومن قبيل ذلك أيضا قولهم إن الآفريدى هم عين آپاروتاى Ἀπαρύται الذين جاء ذكرهم فى هيرودوتس وأن الخطك هم ساتوداى Σατταγύδαι. والقول الأول يبدو صحيحا لأول وهلة ولكننا لانستطيع أن نقطع على أى حال بأن ال «آپاروتاى» كانت تسكن البلاد التى تسكنها الآفريدى الآن . وأما القول الثانى فلا نسلم به ، فان الاسم الذى ورد فى هيرودوتس يقابله فى كتابات بهستون الأكمينية اسم ثتكُش ويتوافق حرف Σ اليونانى مع حرف « th » ولكنه لا يمكن أن يكون حرفا حلقيا كما فى «خطك» . وكان Lassen أول من قال إن الپكتويس هم پكتويكى وان الپشتون هم الپختون. وأيده فى هذا أخيرا ترمپ Trumpp وجريرسن Grierson ولكن اشپيجل Spiegel وجيجر Geiger يشكان فى ذلك . ويرى جريرسن احتمال الصلة بين كلمـــة « پشت » و « پشته » (الظهر ، الجبل) الفارسية ، وبين پكثه المذكورة فى « فيدا » و«پكتوس » Πάκτυες الواردة عند هيرودوتس و«پرسويتاى» Παρσυῆται الواردة عند بطلميوس . ويرى دارمستتر أن الاسم الأخير أقرب ما يكون إلى الاسم الأصلى . ويظن أن « پكتوس » التى وردت فى هيرودوتس يمكن أن تقابل كلمة « پرشتيس » مثلا . ويجب ألا يغيب عن البال أن كتابة الاسم بالشين « Sh » فى اللغة الحديثة أقدم من كتابته بالخاء « Kh » ، وإذن فنشوء كلمة « پشت أو پخت » الحديثة من پكتويكى Πακτυική التى لا نعرفها إلا من اليونانية قليل الاحتمال . وقد زعم رافرتى Raverty أن پكتويكى يمكن أن تكون «پخلى» وهى مدينة فى السند الاعلى . ويحتمل صحة هذا الرأى لأننا كثيرا ما نجد أن حروف الثنايا فى اللغات القديمة قد حرفت إلى حرف « ل » فى لغة « پشتو » .

ثم إن الحروف rs و rš فى ابستاق أو فى السنسكريتية كثيرا ماتصير « ش » Sh فى اللغات الايرانية الحديثة . وعلى هذا فكلمة «پشت»الفارسية و « پشتى » فى لغـــة پشتو يقابلها « پَرْستى » فى ابستاق و « پرَصطها » فى السنسكريتية ، فكلمة « كشَل » فى ال «پشتو»

تقابل « كِرِش » فى « ابستاق » ؛ وكلمة « پشتدَل » فى الـ « پشتو » و « پرسيدن » الفارسية يقابلان كلمة « پِرِش » فى « ابستاق » . وبالتالى يمكن أن تمثل كلمة « پرسويتاى » أو « پرشتيس » بكلمة « پشت — بخت » . وقد ذكر بطليوس الـ « پرسويتاى » بين القبائل الخمسة الداخلة تحت اسم « پاروپانسداى » Παροπανισάσδαι (والأربعة الباقية الأخرى هى « بولتاى » βωλῖται و « ارستوفولاى » Ἀριστοφυλοι و « پارسَاى » Πάρισοί والـ « آمبوتاى » Ἀμβαῦται) التى احتلت منحدرات هندوكش الشرقية والجنوبية .

وهناك رواية أخرى لأهل البلاد تجعل هذا الاسم مشتقاً من كلمة « پشته » التى معناها الـ « جبل » ويحتمل هذا كثيراً لأن الصيغة الأصلية التى اشتقت منها « پارسويتاى » فيها معنى الـ « جبلى » .

ومما لا شك فيه أن كلمة « پتان » ابتدأ استعمالها فى الهند ، ولو أنها الآن مستعملة إلى حد ما فى أفغانستان أيضاً ، وقد استعملت فى بلوخستان « پطان » . ووجد جريرسن Grierson صيغة أخرى هى « پيثان » مستعملة فى وادى الـ « كنج » الشرقى للدلالة على « راجبوتى » مسلم ولا تدل على أفغانى . و « پيثان » (فى السنسكريتية : پرطصطها) اسم لمدينتين معروفتين ، ويظهر أن مثل هذا التعبير الدارج قد أثر فى الصيغة المأخوذة عن صوغ الهنود لكلمة « پشتانه » ، فجعلها « پتان » .

واستعمل اسم « پتان » للمرة الأولى عند كتاب القرن السادس عشر ، ووجد نعمت الله له اشتقاقا وهمياً فى قولهم إن النبى أطلقه على قيس عبد الرشيد . ويزعمون أن معنى هذا اللفظ سهم قاعدة السفينة . ولم يعين نعمت الله من أى لغة هو ، على أنه ليس عربيا على كل حال .

وقد بدىء باستعمال اسم الأفغان قبل ذلك ، وهو الاسم الوحيد الذى أطلقه على هذا الجنس المؤرخون المتقدمون ، من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجرى (١١ — ١٥ م) . ونبه لسن Lassen أولا ثم كروك Crooke على أنه يمكن البحث عن أصل هذا الاسم فى « أساكانوى » Ἀσσακάνοι أو « أساكِنوى » Ἀσσακηνοι التى ذكرها آريان (استاكينوى Ἀστακηνοί عند استرابون) وفى « اسپاسيواى » Ἀσπάσιοι للمؤلف نفسه (هپاسواى Ἱππάσιοι عند استرابون) ، وأن هذه الأسماء هى بين الـ « أشوكَه » المذكورة فى « مهابهارته » مع « كندهاره » (ج٦ . ف٩ ، ص٣٥١) ويظهر أن كون « أشوكه » هى عين « أساكانوى Ἀσσακάνοι » جائز اذا كانت أشوكة كلمة پراكريتية وتكون « اسپاسيواى » Ἀσπάσιοι هى الكلمة المقابلة لها فى الايرانية ، و « هپاسيواى » Ἱππάσιοι ترجمة إغريقية لها ، (السنسكريتية : أشوه = أسيا

فى الأبستاق وهپوس ιππος فى الإغريقية) ولكن لا يمكن أن ينشأ من هذا اللفظ اسم «أفغان» الحديث ، لأن sw و sp و sm لا تنتج أبداً حرف p و f الحديثين بل تنتج s و ss و sp فى الهند الشمالية وأفغانستان (انظر Grierson : Pisaca languages، ص ٢٩٣ ، ٣١٩) ومن أجل ذلك رفض حريرسن ودارمستتر الأخذ بهذا الاشتقاق (*Chants des Afghans* ص ١٦٤—١٦٦) . ولم يأخذ أحد بما ذكره بلو Bellew من أن أفغان من أصل أرمنى هو « أغوان » وعلى هـذا يمكن أن يقال إنه لم يوجد إلى الآن اشتقاق مقنع لاسم « أفغان » الذى كثيراً ما ينطق به « آوغان » أو « أوغان » .

وأما نظرية الأصل اليهودى للأفغان وبالأخص للدرانيين الذين فرض أنهم هم الأفغان الحقيقيون ، كما ذكر سابقاً ، فهى نظرية أخذ بها كثير من المؤلفين المحدثين مثل بلو Bellew ويول Yule وهولديخ Holdich ، وراڤرتى Raverty إلى حد ما ، وقد نشأت من أصل أدبى محض . ويمكن إرجاع أصلها إلى « مخزن أفغانى » الذى جمع لـ « خان جهان لودى » فى عهد الملك جهانكير ، ويظهر أنه لم يدون قبل أواخر القرن السادس عشر. ثم إن هذا مثال لعادة منتشرة كثيرا بين الشعوب الأسلامية فى فارس والهند وأفغانستان، تلك العادة هى ادعاء الانتساب إلى شجرة تنشأ بها القرابة من أسرة الرسول أو من نسل أحد الأشخاص المذكورين فى القرآن أو فى الكتب المقدسة الأخرى . فأهل بلوخستان يدعون أنهم من نسل « ميرحمزه » ، والـ « داود پوترا » والـ « كلهُرا » يدعون أنهم من نسل عباس . وقد زعم المؤرخون الذين شغفوا بتمحيد الأفغان الذين ارتقوا وصاروا اجنساً حاكماً فى عهد اللوديين والسوريين ، أن جدهم هو الملك طالوت (الملك شاؤول) — ولهذه الأسطورة نظير فيما حكاه فرشته (طبع لكهنو ص ١٧) نقلا عن «مطلع الأنوار» وهو أن الأفغان من نسل بعض الأشراف الذين كانوا فى بلاط فرعون ، امتنعوا عن الايمان حينما دعاهم إليه موسى وهاجروا إلى جبال سليمان — وليس هناك أى برهان تاريخى يؤيد هذه الرواية أو تلك وقد كان أقدم المؤرخين يجهلونهما معا .

وذكر الأفغان لأول مرة فى التاريخ المدون فى تاريخ العتبى المسمى « تأريخ يمينى » (كان المؤلف كاتباً لمحمود الغزنوى) وذكرهم البيرونى فى الوقت نفسه تقريباً ، ولم يذكرهم الادريسى (فى نهاية القرن الحادى عشر وبداية القرن الثانى عشر) حتى فى كلامه عن كابل وقندهار . وروى العتبى أن سبكتكين جند الأفغان فى جيشه ، وأن محمودا قاد جيشاً مؤلفاً من الهنود والخلج والأفغان والغزنويين فى غزوه « طُخارستان » وأنه غزا الأفغان فى زمن آخر وأدبهم . ووافقه فى هذا البيهقى المتأخر عنه قليلا . وقد حدثت

حملات محمود على الأفغان فى عام ٤١١ هـ (١٠٢٠—١٠٢١ م) و سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣—١٠٢٤م). وذكر البيرونى الأفغان مرة (طبعة Sachau جـ١، ص٢٠٨) قائلا إن الجبال الغربية للهند تسكنها قبائل الأفغان المختلفة التى تمتد حتى جوار وادى السند. وعلى هذا فقد وجد الأفغان حينما ذكروا لأول مرة فى القرن الحادى عشر محتلين لجبال سليمان حيث يسكن فيها نسلهم الآن ، وهذه القبائل لا يسلم بأنها من الافغان اولئك الذين يقولون إن الدرانيين وحدهم هم الأفغان. وقد أومأ البيرونى إلى الأفغان فى مكان آخر (المرجع المذكور ص ١٩٩) حيث قال ومن الأجناس الثائرة والمتوحشة قبائل الهندوس أو المصاهرة لها التى تقطن الجبال الواقعة على حدود الهند الغربية. ولا يوجد نص على أن الأفغان كانوا موجودين إذ ذاك فى غرب غزنة أو فى وادى كابل أو فى «كندهاره» التى كانت إذ ذاك قسما من دولة هندية. ونشأ الاختلاف من خطأ المؤرخين المحدثين الذين كما قرر رافرتى ، جعلوا التاجيك الغوريين والخلج الأتراك من الافغان. ويرى رافرتى بحق أن الافغان لم يكونوا إذ ذاك إلا فى الجبال التى فى جنوب «كورم» وشرق غزنة . وأكثر الأغلاط شيوعا هنا هو الخطأ الخاص بالغوريين . فيتكلم ملسن Malleson : مثلا (*History of Afghanistan.* ص٩٣) عن قطب الدين الغورى الأفغانى ، على حين أن كتاب «فرشته» الذى هو مرجعه لا يستعمل اسم الأفغانى مطلقاً ، وإنما يذكر اسم «الغورى السورى» يعنى أنه من نسل «سورى» وليس عضواً من القبيلة الأفغانية التى فى «سور» . وحتى براون E. J. Browne الذى عرف بالتثبت يقول عن «ملوك الغور» أولئك القساة البواسل من أفغان «فيروزكوه» (*Lit. Hist. of Persia* جـ٢ ، ص٣٠٥) . ومن الواضح أن الأفغان ظلوا طوال عهد الغزنويين جنساً جبلياً مجهولا . وإذا سمعنا عنهم حيناً بعد حين فان ذلك لم يكن إلا فى صدد الكلام عن المخاطرين والثوار من أهل الجبال. . ولقد أرسل مسعود فى سنة ٤٣١ هـ (١٠٣٩—١٠٤٠م) ابنه «أميراً» إلى البلاد الجبلية بجوار غزنة ليخضع الأفغان الثائرين ويضيف ملسن الآبدالية والغلزائية إلى الأفغان مع أن هذين الاسمين كانا مجهولين فى ذلك الوقت جهلا تاماً (المرجع المذكور، ص ٨٦) . وفى عام ٥١٢ هـ (١١١٨—١١١٩م) حشد أرسلان شاه جيشاً مؤلفاً من العرب والعجم والأفغان والخلج . وقال ألفى إن بهرام شاه جمع فى سنة ٥٤٧ هـ (١١٥٢ — ١١٥٣م) جيشاً من الأفغان والخلج . واستمر الحال على ذلك وقت ظهور الغوريين. وكان الجيش الذى جمعه معز الدين محمد بن سام سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢—١١٩٣ م) على رواية فرشته، مؤلفاً من الترك والتاجيك والأفغان وجيش خصمه «بتهوراى» Pithorai (پرتهوى راج Prithoi Radj) الهندى مؤلفا

من فرسان « راجبوت » وراجلة الأفغان ، وعلى هذا فقد وجد الأفغان فى صفين متعاديين فى هذه الحرب الكبرى بين المسلمين والهندوس، ويمكن أن يستنتج من هذا على وجه الاحتمال أنهم لم يكونوا بعد قد أسلموا كلهم ، رغما من الأساطير الملفقة التى تقول إنهم أسلموا منذ زمن خالد . ولا يمكن أن يعرف بالتحقيق من أين أخذ فرشته هذا الخبر ، وهو لا يوجد فى قصة هذه الحرب التى يقصها « منهاج بن سراج » فى « طبقات ناصرى » .

ولا يذكر هذا المؤلف الأفغان فى تاريخه عن ملوك الغزنويين والغوريين ، وأول مرة ذكرهم فيها هى فى تاريخ زمنه وهو عام ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) فى حكم ناصر الدين محمود الدهلوى . وقال فيه إن ألُغ خان استخدم ثلاثة آلاف من الأفغان البواسل ليخضع قبائل « ميوات » الجبلية فى « راجبوتانا » . وذكر الأفغان حينا بعد حين فى تاريخ الهند أثناء القرنين التاليين . فيشير « بَرنى » مثلا فى « تاريخ فيروزشاهى » إلى ثورة فِرق من الأفغان فى « مُلتان » تحت قيادة « ملتان مل » (معنى هذه الكلمة فى اللهجة الملتانية « بطل ملتان » ومن المحتمل ألا يكون اسم علم لأفغانى) فى عهد محمد بن تُغلَق . وزيادة على هذا فان « مَخ أفغان » كان أحد الأمراء الأغراب الذين ثاروا فى « ديُوكير » . وفى سنة ٧٧٨ هـ (١٣٧٦ — ١٣٧٧ م) أقطعت « بهار » إلى ملك بير الأفغانى (تاريخ مبارك شاهى) .

ولقد وجد الأمير تيمور الافغان عصابات جبلية ، ونقرأ فى « ملفوظات تيمورى » و « ظفر نامه » و « مطلع السعدين » أنه نهب بلاد « أوغانى » (أو أغانى) الذين كانوا فى جبال سليمان . وظلوا هكذا جنسا همجيا من العصابات الجبلية وكانوا يؤجرون أحيانا للحرب إلى أن وصل أحد هؤلاء المخاطرين إلى الحكم فى الهند فجعل لهم ذكرا . ومما لاشك فيه أن القضاء على سلطنة دهلى بعد اغارة تيمور هيأ للأفغان فرصة طيبة . كان هذا المخاطر دولت خان اللودى « فوجدار دوآب » فى سنة ٨٠٨ (١٤٠٥) وذكر كثير من اللوديين غيره شاغلين لمراكز مهمة . ثم إن دولت خان أصبح من أهم رجال الدولة ، ودفع خضرخان عن دهلى مدة من الزمن ؛ ويضعه بعض المؤرخين بين الملوك ولكنه لم يعط لقب السلطان . وسلم نفسه إلى خضرخان سنة ٨١٧ هـ (١٤١٦م) ومات فى السجن بعد قليل . وفى أيام الملوك التالية وصل لودى آخر إلى الحكم وهو سلطان شاه اللودى ويدعى أيضاً إلياس إسلام خان ، وصار ابن أخيه بهلول عامل پنجاب أولا ، وفى سنة ٨٥٥ هـ (١٤٥٠م) خلع آخر ملوك الأسياد الضعاف وصار سلطانا لدهلى . وخلفه ابنه سكندر ، وخلف سكندر ابراهيم . إلا أن حكم اللوديين الذى كان قويا فى بادىء الأمر لم ينجح فى احياء سلطنة دهلى المحتضرة التى سقطت أمام بابر سنة ٩٣٢ هـ (١٥٢٥ م) . ومع ذلك فان

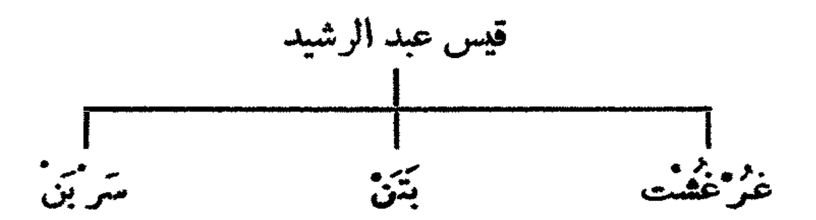
الأفغان الذين كثر عددهم وزادت قواهم فى الهند قد نجحوا فى طرد المغل لسنين قلائل، وأسسوا أسرة أفغانيـــة أخرى بزعامة شيرشاه السورى الرشيدة . وعشيرة «سور» هذه مرتبطة مع الـ «لودِى» بقرابة النسب، وكلتاهما فرع من الـ «غلزائى» . واستوطنت أسر عديدة من قبيلة « پرَنكى » Prangi و «سُور» الهند فى ذلك الوقت، ويظن أنها هاجرت أفواجا، وفى الوقت نفسه نزلت قبائل « نيازى » و « لوهانى » المتصاهرة، من الجبـال إلى وادى السند . وانتقلت فى القرن السابق «يوسفزائى» التى هى فرع من أسرة « سربَنى » الكبرى الأفغانيـــة (والدرانية من هذه الأسرة) من جوار كابل التى استوطنتها منذ زمن، إلى وادى پشاور وإلى الجهات الجبلية من «بجورَ» Badjawar و«سوات» Swât و« بنير » Bunêr . وأسموا الوادى « يوسفزائى » ولا يزال يحمل هذا الاسم إلى اليوم، ويظن أن كثيرا من رجال هذه القبيلة قد رافقوا بابَر الى الهند . وفى الهند من نسلها خلق كثير منتشر . ولا نسمع الآن عن قبائل «پرَنكى» و « سور » ويحتمل أنها قد اندمجت فى الـ « لودى » . وكانت هذه الجماعات معروفة عموما فى وادى الكنج باسم الـ «روهيلا» Rohélâ أو الـ «رهلة» Rohilla (رهلة فى اللغة البنجابية الغربيـة جبل ورهيلا جبلى)، وقد أسموا ولاية الـ «رَهيلخند» باسمهم. ثم إن قبائل الـ «آفريدى» والـ « أركزائى » والـ «بنكش» والـ « ترين » والـ «باركزائى» ممثلة هناك اليوم تمثيلا قوياً. وهناك شعب فى ولايات الهندستان المتحدة يزيد عدده على مائة الألف نسمة محسوب من الغوريين. ربما كان يشمل نسل الأجناس المختلفـة من التاجيك والترك والأفغـان الذين رافقوا الملوك الغوريين . وهنـاك أيضا كثير من الـ «كاكر» فى هذه الولايات المتحدة وفى البنجاب . ونزل قبيلة «زمَنـد» جهة « ملتان » و « قسور » فى البنجاب . وقد انضم اليها عدد كبير من الـ « آبدالى » الذين طردهم الغلزائيون من قندهار فى صدر القرن الثامن عشر . ومن هذا نشأ أصل الـ « پتان » الملتانى والـ « پتان » القسورية . واستعمر الأفغان بهـــذه الطريقة شمال الهند إلى درجة كبيرة . ويمكن تمييز نسلهم فيهـا إلى الآن ومع اختلاطهم بالشعوب المحيطة بهم اختلاطا تاما . فانهم نسوا لغتهم ونظمهم القبيلية .

ولم ينجح الأفغان قط فى تأسيس دولة مستقلة فى بلادهم حتى القرن الثامن عشر . وظلوا كبقية سكان هذه البلاد خاضعين اسما للحكام الأقوياء من المغل وبنى تيمور وملوك المغل فى الهند والملوك الصفويين فى فارس، حتى وصول الغلزائيين إلى الحكم فى عهد ميرويس، والآبداليين (درّانى) فى عهد أحمد شاه . وفى هذا العهد، أصبح الأفغان جنسا حاكما لجزء كبير من السكان، فامتد اسم

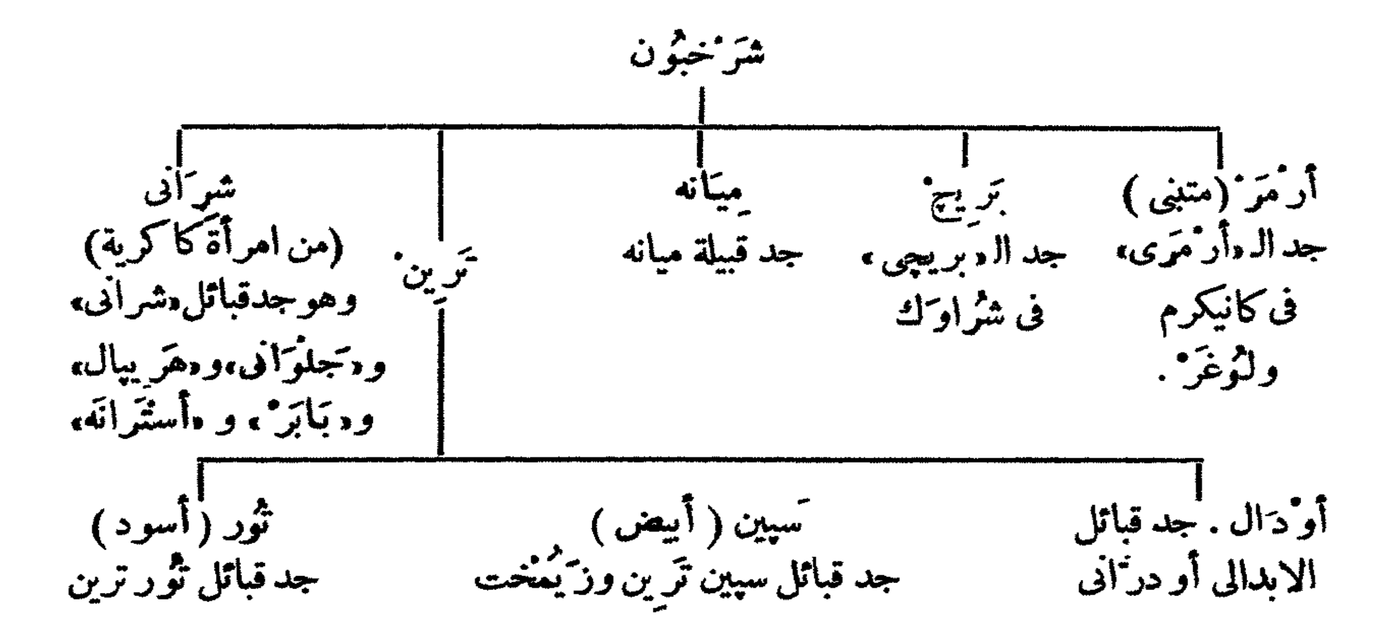
« أفغانستان » حتى شمل جميع البلاد ، ومنها جزء كبير معـــروف إلى ذلك الوقت باسم « خراسـان » ، وهو اسم شائع يطلق إلى اليوم على هضبة فوق جبال سليمان .

إن شجرات النسب الواردة فى « مخزن أفغانى » هى الأساس لما نجده فى المؤلفات الأحدث منه كـ «حيات أفغانى» مثلا . وهى تاريخية فى أقسامها الحديثة ، وأما الأقسام الأقدم فقيمتها تنحصر فقط فى أنها ترشدنا إلى معرفة الاعتقادات السائدة فى موضوع مصاهرة القبائل منذ ثلثمائة سنة خلت .

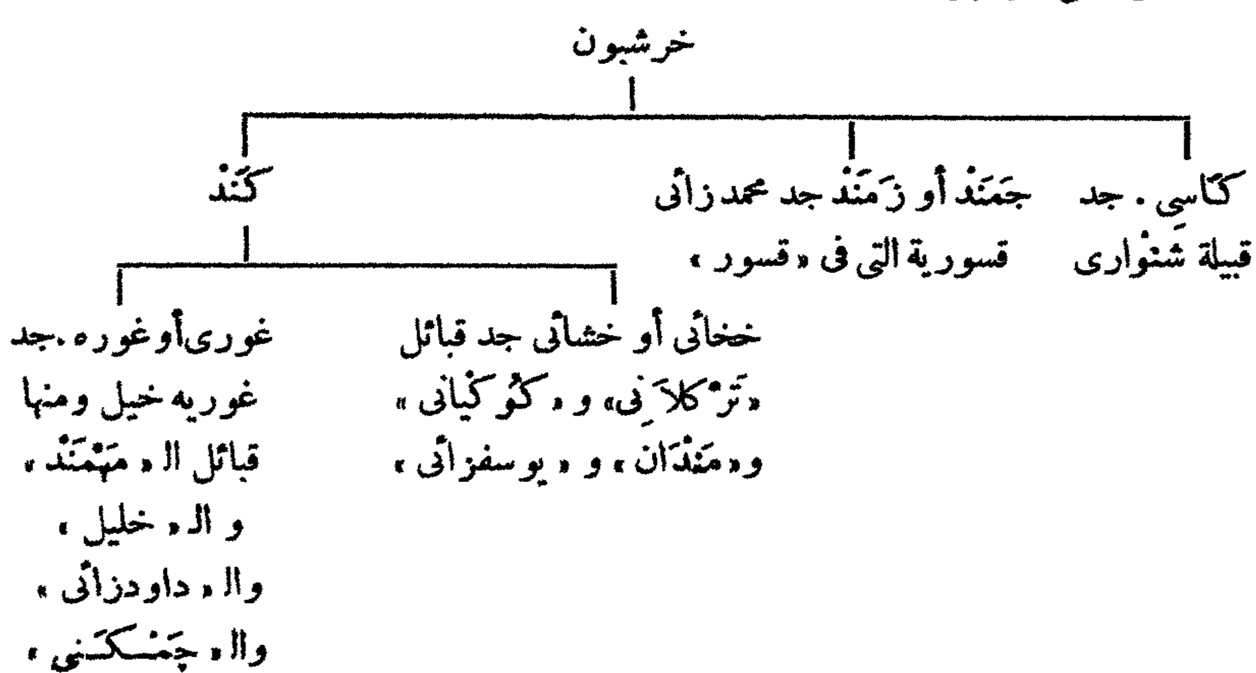
وينحدر كل الأفغان تقريبا على حسب هذه الشجرة من نسل قيس عبد الرشيد الذى أسلم على يد خالد البطل . وكان خالد نفسه من نسل « أفغانه» بن « إرميا » من نسل الملك « طالوت » أو « ساروِل » (شاؤول) Saül . ويدعون أنه قد سمى باسم قيس(كيش Kish) أبى شاؤول . ونسل قيس عبد الرشيد كما يأتى:



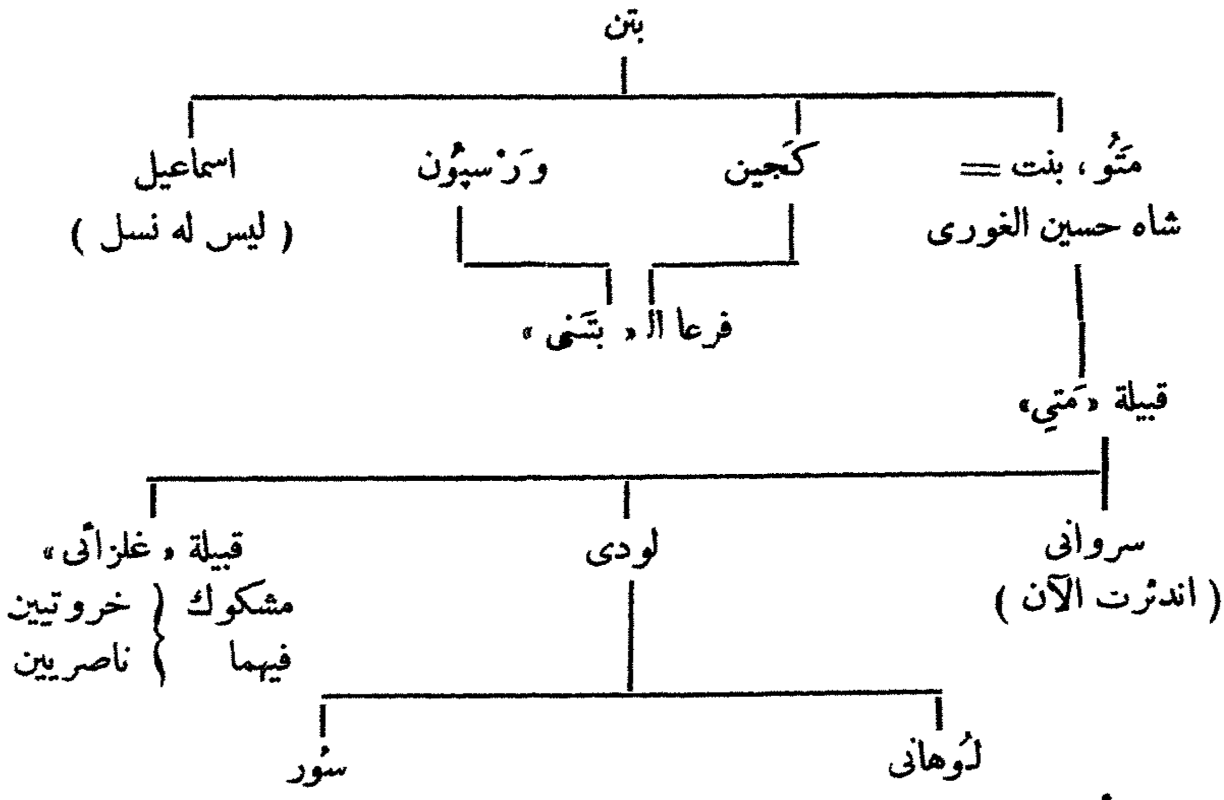
وهؤلاء الأولاد الثلاثة هم المؤسسون لأفرع الجنس الأفغانى الثلاثة الأصلية التى تسمى بأسمائهم . وهى : الـ «سربنى» Sarbanis والـ «بَتَنى» Batanïs والـ « غُرْغُشْتِى » Ghurghusht . وكان لسربن ولدان هما شَرخبُون ، و « خرَشبُون » . ونجد عدداً كبيراً من أهم القبائل تدعى أنها من نسلهما ، فمن نسل شرخبون :



ومن نسل خرشبون :



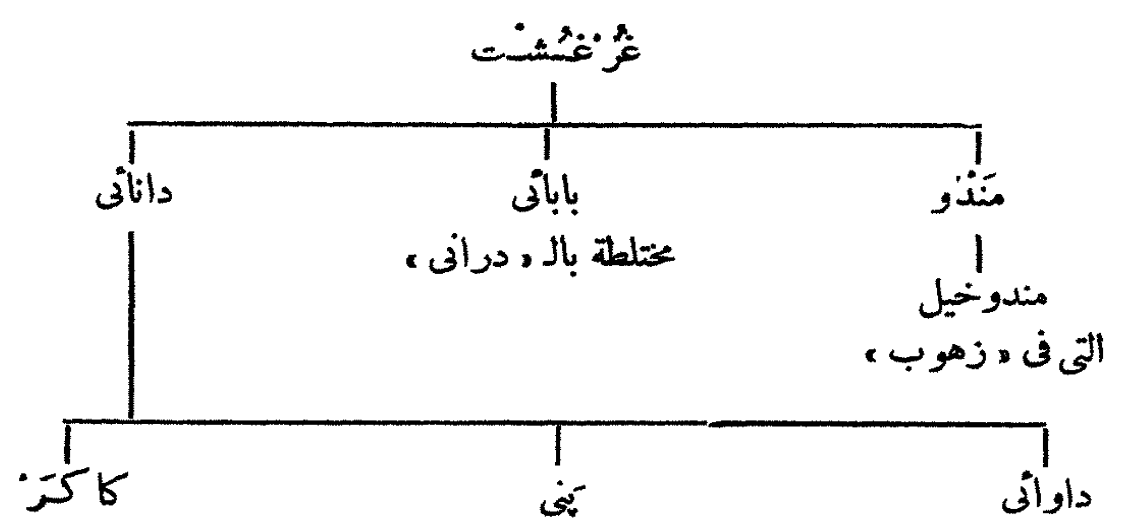
وإذا رجعنا إلى الفرع الأصلى الثانى وهو ال « بَتَنِي » نجد :



ومن أرومة « لوهانى » قبائل « دولت خيل » و « مِيان خيل » و « نيازى » و « مَرْوَت » و « خَسُور » و « تَتُور » الحالية . ويمكن أن يشاهد أن القبيلة الوحيدة التى تستطيع

أن تدعى أنها من أصل « بَتَنى » من الأصلاب، هى قبيلة « بتنى » الصغيرة ، بينما قبيلة ال « غلزائى » الكبرى ، وتكاد تكون أمة وحدها ، وقبائل « لودى » و « لوهانى » العديدة كلها يعتقد أنها من نسل بنت بَتَن فقط من زوجها الشاه حسين وهو من نسل الملوك الغوريين . ومعنى هذا أنه يوجد فى هذه القبائل عنصر تاجيكى أو غورى قوى . وأسطورة الاتصال غيرالشرعى بين الشاه حسين و« بى متو » ، ذلك الاتصال الذى أجازه أبوها فيما بعد، والذى نشأ عنه ولادة ابن يسمى«غلْ ــ زُوئى (ابن لص) تدل من غيرشك على أن هذه القبائل امتزج بها دم أفغانى . وقد زعم البعض أن قبائل الخلج التركية هى التى امتُزج بها وان اسم ال « غلزائى » هو تحريف ل « خلج » ليس إلا . وهذا الزعم مشكوك فيه الى حد كبير ، ولكن يحتمل أن يكون فى هذه القبيلة عنصر تركى كالعنصر التاجيكى .

والفرع الثالث ال « غرُغشْتى » قليل الانتشار وشجرة نسبه كما يأتى :



بقيت مجموعة من القبائل التى عرفت فى مجموعها باسم ال « كرّانى » أو ال « كرلانى » ويظن أنها من نسل «كران » أو « كرلان » المتنازع فى أصله .

الحكومة الهندية وحدها سواء كلها أو بعضها .

٢ — الشعوب التي من أصل فارسي :

يستعمل اسم «تاجيك» (أو تازهيك) بصفة عامة في أفغانستان وفي الأقسام المتاخمة للفرس والتركستان للدلالة على الشعوب الايرانية المستقرة التي يحتمل أن تكون أول من استوطن هذه المناطق ، وجعل بعضهم هذا الاسم مقابلا لكلمة داديخاى التي في هيرودوتس ، بل ولكلمة پاسخاى الواردة عند بطلميوس ويجعل الحرف الأول ت (T) بدل پ (P) . ولكن هذا الزعم لا يستحق الاعتبار . وكلمة « تاجيك » كما تستعمل اليوم تدل حقا على العرب . وقد أطلقت على تلك الجماعات التي استقر فيها العرب في عصر الفتح العربي الأول ، ثم أطلقت على كل الجماعات المتوطنة ، وأثر الدم العربي فيها قليل الآن . ثم إن « التاجيك » جميعا شعب زراعي متوطن ، ولا شك في أنهم قد استولوا على بعض الأقسام الخصبة من البلاد قبل نزول الأفغان من الجبال الشرقية . وقد انتظموا جماعات قَرَوية ولم يتبعوا نظام القبائل ، ومنهم أيضا التجار والصناع بالمدن . وقد تكون غريزة اشتغال بعض عشائر الغلزائي بالتجارة ناشئة من أن فيها دما تاجيكيا . ويؤجر الأفغان الاراضي التي يملكونها للتاجيك أو يستأجرونهم للعمل فيها ، ولو أن الأرض تكون ملك التاجيك غالبا . ويرأسهم في قراهم الخاصة بهم زعماؤهم أو « كتخداهم » . ومع أنهم من الفرس جنسا ولغة فانهم يدينون بدين الافغان وهم من أهل السنة المتشددين . ولا يزال نظام القبائل باقيا بين بعض بطون هذا الجنس النزاعة الى الاستقلال التي تقطن المناطق الجبلية : وهم القوهستانيون الذين في ولاية كابل . وقبائل ال « خنجانى » وال « باربكى » التي في « لوغر » و « بُتخاك » وقبائل « فَرمُونى » التي تحتل منطقة غرب كابل . ومعظم سكان كابل نفسها من التاجيك ولغتهم فارسية . وكذلك شعوب سجستان من هذا الجنس نفسه الا أنها ممتزجة بالبلوخيين . وتشير الروايات الواردة في الشاهنامه إلى أن هذه المنطقة من أقدم مراكز الايرانيين . وفي سجستان أسر قليلة من الكيانيين الذين يزعمون أنهم من نسل الكيانيين القدماء أو ملوك الأكمينيين . ثم أن ولاية « زَرَنكه » أو « دَرَنكيان » . أو « سكستينى » أو « سجستان » أو « سيستان » كانت تشمل الحوض الأسفل لنهر هندمند وربما امتدت حتى « داور » ، وهناك وفي جبال الغور المجاورة نشأت الدولة الغورية التاجيكية القوية في القرنين الخامس والسادس الهجريين وهي التي قضت على دولة الأسرة الغزنوية المنحلة التي كان منها الغزاة الذين فتحوا الهند الشمالية . ولقد كان التاجيكيون عنصرا مهما في كل الجيوش ،

والدليل على مهارتهم فى الحرب هو ذلك الدفاع المستميت الذى قام به أهل الجبال من الغور أمام المغل. وكانت أسرة «كُرْت» التى حكمت أفغانستان فى عهد الدولة المغلية الفارسية، تاجيكية كذلك.

وفى الجنوب، ممتدا إلى بلوخستان، يأخذ الشعب التاجيكى الأصل اسم «دِهْوَار» أو «دِهْكان» أى قروى وهو معروف فى شمال «هندوكش»، كما فى التركستان عموما، باسم «سرت».

وربما أمكن اعتبار ال«پشائى» الذين يحتلون سفوح الجبال شمال نهر «كابل» فى ولاية جلال آباد من ال«تاجيك» ولو أنهم يتكلمون لغة غير إيرانية قريبة من لغة قبيلة كافر فى «سياه پوش». ويجب أن يعد من التاجيك قبائل أرمرى التى فى «لوغر» و«كانيكرَم» فى بلاد «وزيرى محسود»، الذين يتكلمون لهجة إيرانية تسمى «بَركستا».

وأجناس ال«غلچه» فى «وَخّان» و«بذخشان» تحتل المنحدرات الشمالية لل«هندكوس» وتتكلم لغات إيرانية مخالفة للفارسية، تعتبر بصفة عامة من الأصل التاجيكى الجبلى المتميز عن تاجيك سهول بذخشان الذين يتكلمون الفارسية. فهم ذوو رءوس عريضة، ويعتبرهم Ujfalvy وغيره من العلماء، من الجنس الألبى.

وهم يوجدون فى «سَرِ مى كُول» و«وخّان» و«شِكْنَان» و«منجَان» و«سَنْگليج» و«إشْكاشِم» ومنهم أيضا ال«يدكاه» المقيمين فى السفح الجنوبى من الجبال. ومعنى اسم ال«غلچه» الذى يطلق على هذه المجموعة «الفلاح» فى اللغة الفارسية.

٣ — الجنس التركى والمغلى:

ا — فى جنوب «هندوكش»

الجبال التى بين «هندوكش» و«جبل بابا» فى الشمال ووادى «هندمند» فى الشرق والجنوب، أعنى المنطقة المعروفة قديما باسم ال«غور» تسكنها الآن قبائل تعد بحسب سحنتها كلها أو بعضها من الجنس المُغلى ولو أنها تمتزج دون شك بالشعب التاجيكى الأصلى، والذين يعيشون منهم بالقرب من هراة على الجانب الغربى للجبال يعرفون باسم «چهار ايماق» وهى قبيلة لا تزال تتكلم اللغة التركية الى حد ما. وال«هزاره» الذين يشغلون أكبر قسم من الجبال يتكلمون الفارسية وهم على مذهب الشيعة. ويرجح على وجه عام أن ال«هزاره» من بقايا جيش «منكو» حفيد چنكيزخان، ولكن لا يوجد ما يقطع بأصلهم الحقيقى. والفرض الاكثر احتمالا هو أنهم احتلوا تدريجيا الأقسام المهجورة من البلاد بعد أن خربتها غارات المغل فى زمن أسرة ال«كُرْت» بهراة،

الذين وإن كانوا من أصل غورى إلا أنهم كانوا يحكمون أفغانستان تحت سيادة الدولة الايلخانية المغلية فى فارس ويعتمدن كثيرا على تأييدها. والهزاره شعب شجاع مقدام حاذق، وهو فى الواقع شعب وديع، ومع ذلك فان مذهبهم الشيعى يسبب العداوة مع الأفغان جيرانهم فى الشرق ومع الـ «چهار ايماق»، المتصاهرة معهم فى الغرب، ويندر أن يكونوا على صلات حسنة مع هؤلاء أو أولئك.

وقبائل الـ«چهار ايماق» سنية، وهى تتألف من أربعة قبائل أى ايماق وهى: الـ«هزارى» والـ«جمشيدى» والـ«تَيْمَنى» والـ«فيروزكوهى» وهى تحتل الأودية الغربية التى تمتد نحو منطقة هراة المكشوفة ونحو سبزوار. ويؤكد بعض الأفغان أن قبيلة «تيمنى» فرع من قبيلة «كاكر» الأفغانية، وإن صح هذا الزعم فانهم قد فقدوا وجوه الشبه بأجدادهم

ب — فى شمال «هندوكش»

وأهم عناصر سكان التركستان الافغانية هم الأزابكة الذين يتكلمون التركية وطبقة سفلى من التاجيك أو السرت عند حدود بلاد الأفغان. وتقيم بعض قبائل «أرسارى» التركمانية المتنقلة فى المنطقة الصحراوية الغربية المتصلة بالمنطقة التى يملكها الروس.

د — الشعوب الآرية غير الايرانية التى تقطن جبال «هندوكش».

إن الأجناس التى يشملها اسم «كافر سياه پوش» القاطنة فى المنطقة الجبلية المعروفة بـ «كافرستان» آرية دون شك، وربما كانت وسطا بين الأرومة الهندية والأرومة الايرانية كما نستدل من لغتها. وقد كانت كلها تتدين بنوع من الوثنية إلى زمن ليس ببعيد، ولما أخضعها عبد الرحمن دخلت الاسلام ولو فى الظاهر. ويقسم سير روبرتسن الـ «كافر» كلها إلى: (١) «سياه پوش» (٢) «وَيْـنكلى» (٣) «پرسونكلى» أو «ويرُنْ»، وهو يذكر أيضاً جنساً يحتمل أن يكون متصاهرا مع قبـائل «ويكلى» و «أشكن» التى نعلم عنها شيئاً قليلا. وقبائل «پرسونكلى» و «ويكلى» و «اشكن» يجمعهم اسم احد هو اسم «سفيدپوش» (الثوب الأبيض) ولكنها تختلف بعضها عن بعض فى الزى والهيئة واللغة، على حين أن قبائل «سياه پوش» أو الثوب الأسود متشابهة كثيرا فى اللغة والهيئة.

والقبائل التى يجمعها اسم «سياه پوش» هى «كتير» و «مادكال» و «كشتان» و «كام» و «إسترَت» أو «كورْدِش» وأهمها «كتير».

الهنود — نجد الهنود الخلص المعروفين باسم «هندكى» فى الأفغانستان الشرقية إلى حد ما ونجدهم بنوع أخص فى المقاطعات التى تكون اليوم جزءاً من الامبراطورية البريطانيـة. ويشتغلون بالزراعة وهم فى الغالب من الـ «جاط». والتجار الهندوس من

اسر الـ «خاترى» أو الـ «أرووره» مركزهم «شكاربور» بالسند، وهم منتشرون فى جميع المدن بل وفى التركستان.

ج — اللغة، والادب، والدين والنظم السياسية.

اللغة — إن اللغة التى يتكلم بها فى أفغانستان هى من الشعبة الايرانية، ما عدا التركية التى يتكلم بها فى اقليم «جيحون» قبائل «چهارايماق»، ولغات الكافر فى كافرستان. ومن هذه اللغات الفارسية ويتكلم بها التاجيك فى ولايتى كابل وهراة وفى مدنهم الخاصة بهم فى بذخشان وقوهستان. ويتكلم الفارسية أيضاً الـ «هزاره» المغل و «قزل باش» كابل وهراة الذين هاجروا إليها فى القرن الثامن عشر، وهم من القبائل التركية فى شمال فارس.

واللغة الفارسية المستعملة فى أفغانستان قديمة على وجه عام وقد حافظت فى كل مكان على خاصة الـ «مجهول» والـ «معروف» القديمة بين $\bar{u}$ و $\bar{o}$ و $\bar{i}$ و $\bar{e}$ وهى الخاصة التى اختفت من الفارسية الحديثة. ويفرض بعضهم أن فارسية الـ «هزاره» تشبه الـ «زابلى» القديم. ثم إن تاجيكية بذخشان ودرواز وكلاب وقره تكين لهجة فارسية خاصة. ولا يوجد أدب يتميز عن الأدب الفارسى العام.

واللغات الايرانية الأخرى تنتسب الى الشعبة الايرانية الشرقية وتشمل الـ «پشتو» ومجموعة «غلچه» و «بركستا» التى تتكلم بها قبائل «أرمرى».

الپشتو — الپشتو أو الأفغانى هى لغة الأفغان، وتنتشر فى كل بلادهم وهى داخل الدولة الأفغانية الحالية وخارجها، محدودة من الشمال بلغتى «كافر» و «درد» ومن الشرق بالپنجابية الغربية أو الـ «لهندا» ومن الجنوب بالـ «بلوخى»، ومن الغرب بالفارسية. وربما بلغ مجموع المتكلمين بالـ «پشتو» ثلاثة ملايين ونصف المليون منهم مليونان فى أفغانستان الحقيقية ومليون ونصف المليون فى الأراضى البريطانية والأراضى المستقلة. وقد تميزت اللغة الايرانية الشرقية تميزا حقيقياً. ولو أنها حرفت كثيراً وعظم تأثرها باللغة الهندية، حتى أن ترمپ Trumpp ظن أنها يجب أن تعد من اللغات الهندية. وقد وضع جيجر النقط المميزة الآتية للدلالة على أصلها فى وضوح وهى:

١ — الـ «س» (s) التى من حروف الثنايا فى الآرية الأصلية تصير «هـ» (h) — ما عدا بعد حرف ت — وهى تترك فى النطق الحديث فى أغلب الأوقات.

٢ — تصير حروف الحلق الآرية حروف انفلاق كما فى الايرانية القديمة.

٣ — تصير الـ «ك» والـ «ت» والـ «ب» الآرية الخرساء انفلاقية بعد حرف ساكن وكثيرا ما تختفى فى الصيغ الحديثة.

٤ — إذا وقعت حروف الثنايا الآرية بعد حرف الـ « ت » تحولت إلى «س» كما هى العادة فى الايرانية .

٥ - تتحول الـ «ش» الآرية إلى « س » كما فى الايرانية ، وتتحول «شو» إلى « سب » .

٦ — تتحول « ژ » و « ژه » Zh التى توافق J و Jh الهندية إلى « ز » .

ومن مميزات الـ (پشتو) الخاصة تحول الـ (د) عموما والـ (ت) غالباً إلى (ل) .

ولا يوجد فى الـ (پشتو) الحروف الهندية الحلقية ، والمتكلمون بها لا يقدرون على النطق بتلك الحروف . والـ (ه) تسقط عادة فى الحديث . وتوجد بها حروف الـ (ن) والـ (ر) والـ (ض) والـ (ط) الهندية ذات النطق الخاص ولكنها فى الكلمات الهندية فقط .

والعنصر الدخيل فيها كثير . والكلمات المستعارة من الهندية تؤثر فى المفردات وفى النحو ، حتى أن نهاية المصدر وهى (أل) من أصل هندى .

وهنـــاك كلمات كثيرة مستعارة من الفارسية الحديثة ، وعدد كبير من الكلمات العربيــة وكلمات من التركية دخلت فى الپشتو من اللغة الفارسية .

وللپشتو لهجتان أصليتان يمكن تسميتهما :

(١) اللهجة الشمالية الشرقية (ومركزها پشاور) .

(٢) اللهجة الجنوبية الغربية (ومركزها قندهار) .

وتختلف إحداهما عن الأخرى فى نطق بعض الحروف فهى حلقية فى (الأولى) وصافرة فى (الثانية) . وهذه الحروف هى : الـ (ښ) بنقطة فوقها ونقطة تحتها وهى تنطق شين أو خين ، فهى (خ) فى (١) و (ش) فى (٢) ، والـ (ږ) تنطق گـ فى (١) و (ر) فى (٢) . والـ (څ) بثلاث نقط فوقها فهى (دز) فى (٢) وتتحول إلى (ز) فى (١) ولكن هذا التحول ليس دائما . مثال ذلك :

فى (١) (خَدْزَه) أو (خَزَه) اى أمرأة تصير (شَدْزَه) فى (٢) .

و(غوَږ) اى الأذن — فى (١) تصير (غوَږْ) فى (٢) .

ولما كانت الحروف المستعملة فى الكتابة واحدة ، مهما كان النطق بها ، فان الاختلافات فى اللغة المتكلم بها لا تؤثر فى اللغة المكتوبة ، ولا تؤدى بأى حال إلى جعـــل إحدى اللهجتين غير مفهومة لمن يتكلم اللهجة الأخرى على أن هناك لهجة مستعملة فى (بنُّو) و(دوَرْ) و(وزيرستان) متفرعة من اللهجة الثانية ومخالفة لها تمام المخالفة وفى هذه اللهجة طريقة شاملة لتغير الحروف الصائتة وهى :

آ تصير أ	ā devient o
أ « إلى أو آ	ō « ē ou ö
أو « ئى	ū « ī
او « ى	u « i

مثال ذلك « پلورينا » بدل « پلارونا » جمع « پلار » ومعناه الأب ، و « مير » بدل « مور» ومعناه الأم ، و « مِزه » بدل « مَزه » ومعناه نحن . وكذلك ينطق الآفريدى الـ « آ » « أُ » فى غالب الأحيان .

ويمكن دراسة اللغة فى صيغها المهذبة فى مؤلفات دورن Dorn ورافرتى Raverty وفوجان Vaughan وبلو Bellew وترمب Trumpp ودارمستتر Darmesteter .

الأدب — إن أدب الـ « پشتو » الذى استمر إلى وقتنا هذا بدأ فى القرن السادس عشر . وغالبه شعر ، وفيـــه بعض مؤلفات نثرية هامة ولا سيما فى التاريخ مثل « مخزن پشتو » و « مخزن إسلام » لآخون درويزه ، و « تأريخ مرصع » لأفضل خان خطك . وأهم الشـــعراء خوشحال خان زعيم الـ « خطك » الذى سجن مدة من الزمن فى بلاط الامبراطور أورنك زيب ، فانه ألف ديواناً على النحو الفارسى . وميرزا خان الأنصارى الشاعر الصوفى . ومن الشعراء الشعبيين عبد الرحمن وعبد الحميـد وقد ترك كل واحد منهما ديوانا له طابع صوفى ، ثم عبد القادر خطك وأحمد شاه الملك الدرانى الـكبير . ويعتبر الأفغان عبد الرحمن أحسن شعرائهم ، ولـكن الرأى الاوربى يفضل شعر خوشحال خان لبساطته وقوته . وعلى كل حال يمكننا أن نقول إن الأدب الأفغانى تظهر فيه الصنعة والتقليد ، وما هو إلا ترديد للنماذج الفارسية .

الشعر الشعبى :

وإلى جانب هذا الأدب شـــعر شعبى حقيقى لم يسترع الأنظار إلا فى عهد متأخر . وقد جمع دارمستتر هذا الشـــعر فدفع عنه عادية النسيان ؛ وهذا الشعر يعبر تعبيرا صادقا عن عواطف الشعب الحقيقية فى الحرب وفى أمور السياسة والحب . وجمع توربيرن Thorburn أيضاً بعض الأغانى والأحاجى والأمثال، كما نشر أخيراً هول E.B. Hawell بعض أغان جياشــة فى لهجة الـ « وزيرى » . وليس لواحد من هـــذه الأشعار الشعبية تاريخ قديم . ولا توجد أشعار حماسـية عن المهاجرات الـكبرى وفتوحات الجنس الأفغانى ماعدا قصيدة خاصة بأحمد شاه ؛ وأغلب هذه القصائد يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر وليس فيها ما يوازن بالقصائد الحماسـية الجيلة التى لقبائل بلوخستان .

الأدب الدينى :

وفى لغة « پشتو » مؤلفات دينية كثيرة نظما ونثرا ، وقد طبع عدد كبير من هذه المؤلفات على الحجر فى پشــاور ولاهور . وليس لأغلبها قيمة أدبية كبيرة . ويمكن أن يذكر منها « مير حمزة » ، وهى قصيدة طويلة أنشأها ميان محمد الصحاف .

حروف الهجاء :

تستعمل الـ « پشتو » الحروف العربية على

قاعدة النسخ ، مع تعديلات بسيطة للدلالة على الأصوات الخاصة بهذه اللغة ، وقد كان بعض هذه الحروف مستعملا فى الفارسية مثل « ب » و« چ » و« ژ » . وتميز الأصوات الخاصة بالپشتو بطريقة خاصة بها ، وهى إضافة حلقة إلى الحرف بدل تغيير نقطة العجمة مثل :

ڪ و ټ و ډ و ړ و ڕ

وتكتب الـ« ښ » منقوطة بنقطة من فوقها ونقطة من تحتها للدلالة على الـ« ش» الصافرة والـ« خ » الحلقية . وتكتب الـ« څ » بثلاث نقط فوقها للدلالة على الحرفين الخنكيين الخاصين وهما : «تس» و «دز» ؛ وقد استعمل ترمب Trumpp الـ« څ » بنقطتين فوقها للاشارة إلى حرف « دز » ولكنها ليست شائعة الاستعمال .

لغات الغلچة :

هذه المجموعة اللغوية المعروفة غالبا باسم (لهجات پامير) توجد فى (وخّان) والجزء الشرقى من (بذخشان) . ويتكلم بهذه اللهجات كلها فى شمال الهندوكش ، ما عدا لهجة الـ(يدْغَاه) التى شقت لنفسها طريقا فى سلسلة الجبال، ويتكلم بها بالقرب من «خُوَارْ » أو (چترال) . وتستعمل ثلاث لهجات من هذه المجموعة وهى الـ«شغنى» والـ«سرى كولى» والـ« يغنوبى » فى قسم من جبال الپامير التابع للروس ، بينما تستعمل أربع منهـا وهى الـ« وخى » والـ« إشكاشمى » والـ«سنكليچى» والـ « منجانى » داخل حدود أفغانستان السياسية . فالـ«وخى» مستعملة فى « وخّان » فى مجرى نهر « پنج » الأعلى والـ« إشكاشمى » فى مجراه الأدنى والـ « سنكليچى » لغة الوادى الأعلى لنهر « وَرْدُوج » وهو الطريق الذى يوصل من الشمال إلى الممرات المؤدية إلى الـ «چترال » ، ويتكلم بالـ« منجانى » فى الوادى الأعلى لنهر « آب جرم » الذى يصب فى نهر « وروج » . والـ« يدغاه » لغة قبائل الـ «يداخ » المقيمة جنوبى مجاز «دُورَاه» فى منطقة النفوذ البريطانى . وهذه اللغات مرتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً ، ومن الواضح أنها تنتسب إلى مجموعة اللغات الايرانية الشرقية . وقد تأثرت إلى حد ما من مجاورتها للغات « دردستان » التى يسميها جريرسن Grierson مجموعة « پشاچه » Pishaca ، وهى تشبه لغة « پَشتُو » أيضاً فى بعض الوجود ، كاستعمال « ل » بدل « د » الأصلية فى الـ« منجانى » والـ« يدْغاه » .

وهناك لغة أخرى من مجموعة اللغات الايرانية الشرقية وهى الـ« برَكَى» يتكلمها الأرمرى المقيمون فى « كانيكرم » ويحيط بهم من كل جانب قبيلة « وزيرى محسود » الذين يتكلمون الـ« پشتو » .

لغات كافرستان الآرية :

تتكلم بهذه اللغات قبائل الـ« كافر » فى

لغمان (لامغان ؟) كما أنها فى الوقت نفسه لغة الأقاليم المتاخمة للسند وقوهستان وچترال وكلكيت وقد درسها كون Kuhn وجريرسن. وجعلها جريرسن مجموعة منفصلة متميزة عن المجموعة الهندية والايرانية لأن لها خصائص صوتية مشتركة مع هاتين المجموعتين وخصائص أخرى خاصة بها. ويقسمها جريرسن إلى ثلاث مجموعات:

١ — المجموعة الكافرية أو الغربية، وتشمل الـ « بشكلى » والـ « ويألا » والـ « ويرون » والـ « پشائى » والـ « كوُرَبتى » والـ « كلاشا » والـ « أشكنُد ».

٢ — الـ « خوار » أو الـ « چترالى ».

٣ — الـ « درد » أو اللغة الغربية.

فالبشكلى والويألا والويرون هى أفصح لغات الـ « كافر » ويتكلم بها فى بلاد كافرستان الوسطى. والپشائى يتكلم بها شعب مسلم على شىء من الحضارة يسكن السفح الجنوبى لجبال « هندوكش » ووادى نهر كابل من « كونر » فى الشرق إلى « لغمان » فى الغرب. وقد تأثرت هذه اللغة كثيراً بالـ « پشتو » وهى تسمى أيضا « دهكانى » نسبة إلى القبيلة التى تتكلمها. والكلاشا والكوربتى لغتان شقيقتان، والـ « تيراهى » التى هى لغة « ننكنهار »، وكان يتكلم بها فى تيراه من قبل. والـ « ديرى » التى هى لغة « دير » كذلك متآخية مع الـ « پشائى ».

الدين :

تدين شعوب أفغانستان كلها بالدين الاسلامى منذ أن أسلمت قبائل « كافر » التى تقطن كافرستان بعد أن أخضعهم عبدالرحمن. ومعظم القبائل الأفغانية على مذهب أهل السنة ما عدا قبيلة أو قبيلتين لا شأن لها. وكذلك التاجيك والأزابكة وتركمان التركستان، والـ « چهارايماق » كلهم على مذهب أهل السنة أيضا. أما الهزاره الذين يتكلمون الفارسية فمن الشيعة، ويتشيع كذلك قزل باش كابل وهراة، وكيانية سجستان وهراة وقبائل الـ « غلچه ». ويوجد عدد قليل من الشيعة بين قبائل الأفغان على حدود الهند مثل الـ « أركزائى » والسادات فى « تيراه » وقبائل الـ « تورى » فى « كورم » والـ « بنكش سملزائى » فى « كوهات ». وكانت هذه القبائل من أتباع « پيرروشن » شيخ النور ولقبه أحيانا « پير تاريك » شيخ الظلام. وكانت هذه الفرقة المارقة أكثر انتشاراً فى الماضى منها الآن. وكان آخون درويزه الشهير أكبر خصومها وقد أدى هذا إلى حروب دامية فى عهد « أكبر » ثم خمل شأنها وأصبح أتباعها يعدون الآن من الشيعة.

ومعظم القبائل المختلفة من أهل السنة يقلدون فى ذلك تقليداً أو يجهلون بوجه عام أمور دينهم. والأفغان والتاجيك يحرصون على الصوم ويؤدون الصلاة فى أوقاتها غير أنهم يقدسون

الأولياء « پير » ، وهذا التقديس فى الواقع جماع دين العامة . وإلى جانب جهلهم بأصول دينهم الصحيحة يكرهون من ليس بمسلم كراهة شديدة وينتشر بينهم الاعتقاد فى أن قتل نصرانى أو رجل من السيخ أو الهندوس عمل مبرور . ودعوة عالم (ملا) من ذوى النفوذ إلى الجهاد إشعار يعتبر بصفة عامة نذيراً لأعمال العنف .

والمتسولون الدينيون كثيرون هناك ، ومنهم أناس يظن أن لهم كرامات أو قوى سحرية . ويظن أن بعض القوى كالقدرة على إبراء المرضى بالطلسمات أو بالنفخ فيهم أو فى الماء الذى يشربونه وقف على أفراد بعض العشائر والأسر . والعلماء « ملا » هم زعماء الشعب فى أغلب الأوقات وهم يقومون أحياناً بقيادة الحركات السياسية الخطيرة . ويحاسب المارق عن الدين حساباً عسيراً وقد يرجم الزنادقة أحياناً حتى الموت ، وفى كابل يمتحن الأفراد من كل الطبقات امتحاناً دقيقاً لمعرفة مقدار عرفانهم بالصلوات المفروضة ، ومن ثبت جهله تعرض للتشهير به أمام الناس .

ولا يزال لأتباع السيد احمد الرهلخندى الذى اشتغل بالدعوة إلى الوهابية وحارب السيخ فى السنين الأولى من القرن التاسع عشر نفوذ قوى بين القبائل التى تعيش على الحدود ولا يزال كذلك نفوذ منافسه السنى عبدالغفار الشهير بـ « آخون سوات » الذى اعتقد الناس بأنه من أصحاب الكرامات قويا إلى يومنا هذا.

وكان لمشك عالم وهو من علماء غزنة شأن كبير فى الحرب التى وقعت عام ١٨٨٠ — ١٨٨١ م وكان العلماء (ملا) أيضا زعماء حروب الحدود التى وقعت أخيرا فى « سوات » « وتيراه » .

النظم السياسية :

يبدأ تاريخ مملكة أفغانستان الحديثة بسيادة الـ « غلزائى » فى أول الأمر ثم بسيادة الـ « درانى » بعد ذلك فى عهد أحمد شاه . وقد كان حكم أحمد شاه قائما على تفوق قبيلة « درانى » وبالأخص أسرة « سدوزائى » من عشيرة الـ « فوفلزائى » . وكان الـ « باركزائى » أكبر المنافسين للسدوزائى فى القبيلة نفسها . وكانت تتزعم تلك الأسرة التى انتزعت الحكم من « السدوزائى » فى بداية القرن التاسع عشر ولا تزال حاكمة إلى اليوم[1]. وكانت الأسرة الـ « درانية » المالكة فى أول أمرها مجموعة من القبائل مفككة الأوصال. وقنع أحمدشاه بالحكم دون أن يتدخل فى الأمور الداخلية للقبائل القوية . إلا أن اجتماع مثل هذه العناصر المتنافرة لم يكن من شأنه أن يقيم ملكا قويا يثبت على الزمان ولو أن نفوذ أحمد شاه كان من القوة بحيث كفل لهذه المملكة البقاء قرنا بعد وفاته . ثم قام الـ « باركزائى » بقيادة زعماء أقوياء ذوى عزم

(١) الى وقت كتابة أصل هذه [illegible]

مثل دوست محمد وعبد الرشيد وأرادوا أن يوطدوا سلطانهم ويقضوا على جميع منافسيهم فتوجت مساعيهم بالنجاح وبخاصة مساعى عبد الرحمن . وقد ترك عبد الرحمن لخلفه حبيب الله دولة موطدة، كلمته فيها هي القانون، ولم يبق فيها ما يشبه سلطة داخل سلطة imperium in imperio . فقتل الزعماء الأقوياء أو نفاهم ، وكسر شوكة كل قبيلة ناهضته أو شتتها تشتيتاً . ولم يعد الأمراء يعتمدون على رجال الحرب من القبائل بل أصبح لهم جيش قوى مجهز بمدافع وأسلحة عصرية . ومن المشكوك فيه أن يعتمد على هذا الجيش إذا شبت نار حرب مع انجلترا أو الروسيا، ومن الممكن أيضاً أن تكون قوة القبائل القديمة التى كانت أشد ثباتا فى وجه المغيرين من الجيش المنظم قد ضعفت باخضاع جميع الزعماء الأقوياء .

والمملكة مقسمة سياسيا إلى خمس كور وإلى مقاطعتين لم يتم بعد تنظيمهما إلى كور . والكور هى :

كابل . وهراة ، وقندهار ، وتركستان ، وبذخشان .

والمقاطعتان هما : كافرستان و وخّان .

إن القبائل التى تقطن خارج حدود مملكة الأمير ، والتى تقع فى الحدود السياسية للامبراطورية الهندية دون أن تكون داخل أقاليمها المنظمة قد حافظت على استقلالها الداخلى أشد محافظة ، بينما القبائل التى استوطنت المقاطعات الهندية المنظمة قد خضعت للقوانين العامة مع محافظتها على نظمها القبلية ، إذ يحكمها إلى حد كبير زعماؤها وفقا للعرف إذا لم يتعارض مع القانون الجنائى . ونظام القبيلة الأفغانية ديموقراطى إلى حد كبير . ومع أن لكل قبيلة كبيرة شيخا بالاسم هو رأس أسرة معينة (خان خيل) تنحصر فيها زعامة القبيلة إلا أنه فى الواقع ضعيف السلطان ولا بد له من أن يستشير رأس كل عشيرة فى مهام الأمور ؛ غير أن هذا النظام يتناوله شىء من التعديل فى الجنوب بين القبائل المتاخمة لبلوخستان ، ذلك ان القبيلة تتبع هنا النظام البلوخى الذى لا يدفع عن زعيمها النقد وان كان هو السيد الحقيقى لقبيلته التى قامت على الخضوع لسلطان الأب . ويفرض فى القبيلة أن تكون من دم رجل واحد . ومن الشائع فى هذا النظام انتقال عشائر قوية من قبيلة إلى أخرى فتندمج فى قبيلة لم تكن تنتسب اليها فى الأصل . ومثل هذه العشائر لا تتقيد بأسطورة الأصل العام ، وتصبح أكثر ميلا من غيرها إلى السعى فى استقلالها عن شيخ القبيلة . وهناك أحوال تعتبر فيها العشائر المقبولة فى قبيلة ليست من دمها ، أحط من تلك القبيلة . وفى مثل هذه الأحوال قد تمنح العشيرة عضوية القبيلة إذا أدت لها خدمة ما .

وغير الأفغان من السكان خاضعون للأفغان فى كل مكان ، ولكن مقدار خضوعهم يتوقف على مدى امتزاجهم بالقبائل

الأفغانيـة . فجمهرة التاجيك وهم من مهرة المـــزارعين يسكنون القرى تحت حكم الـ « كتخدا » كما يعيش الهزاره فى القرى تحت إمرة شيخ القرية واسمه الـ « هوكى » . ولبعض جماعات التاجيك الجبلية شيوخها . ويرأس قبـــائل الـ « هزاره » الكبرى والـ « چهار ايماق » رؤساء ذوو سلطة واسعة . ومن المحتمل أن يكون التاجيك الذين بقوا فى جبال الغور بعد هجرة المغل منها قد اندمجوا فى هذه القبائل لأنه لا توجد الآن جماعات متميزة من التاجيك . وقد أخضع الامير عبدالرحمن جميع الهزاره فى عنف ، وكان هؤلاء يتمتعون باستقلال مطلق ويكرهون الأفغان .

وسكان كافرستان عبارة عن بعض قبائل كبيرة تتألف كل قبيلة منها من عشائر عديدة تعيش فى أودية متفرقة لاترتبط فيما بينها إلا برباط ضعيف . وسلطة الأمير معترف بها الآن فى كل مكان .

د . تاريخها :

ان البقاع الداخلة تحت اسم أفغانستان الآن كانت فى فجر التاريخ ملكا للجنس الايرانى . وكان مؤلفو « ابستاق » يعرفونها معرفة جيدة . ولا نزال نجد فيها أسماء كثير من الكور والأنهـار التى احتفظت باسمها القـــديم إلى اليوم . وربما كانت الحفريات العظيمة التى وجدت فى « بُست » و « أولان » و « رُبَات » ثم فى وادى هندمنـــد ترجع إلى هذا العصر ، على أن أفغانستان لم تتناولها الابحاث الأثرية بعد . فلا نستطيع الحصول من هذه الناحية على أى معلومات عن سكانها القدماء .

ونعرف من بين الأسماء التى وردت فى ابستاق الاسماء الآتيه :

ابستاق والفارسية القديمة	الاسم القديم	الاسم الحديث
بخدهى (بالآكينية) بختريش	بكتريا	بلخ
هَرَيوَا (بالآكينية) هَرِيوَا	أريانه (أريه)	هراه (بالبلوخى هريو) هَرِى رُوذ
مُورُو (بالآكينية) مَرْكُو	مَرْكيانه	مَرْو ، مُرْغَاب (نهر)

وِتيكَيسَه	—	بَاذْغيس
زرَيَّا او (بحيرة كاسوَا)	—	زرَه سجستان بحيرة زرَه
زَرَنكا (بالأكمينية)	درنكيانه	زَرَنج مدينة فى القرون الوسطى خربة الآن
هُوَرِين أنهيتى (بالأكمينية) فَرَنْهوَتِى	فَرَنكُوِتيس	هاروت روذ
فَرَدَثَه	أوفادُوس	فره روذ
فرَا	پرُوفذَسيا	فَرَهْ
هوَسَپَه	خُوَاسپس	خُسپَاسْ
هُوَسْتَرَه	كُوسَتَه	خَاشْ رُوذ
هَيتُومَنْت	أتيمَنْدرُوس	هندمند
هَرَهُوَيتى (بالأكمينية) هَرُوَتِى	أرْكوَتيس	أرْغَنْداب
پِسنَه	—	پشين
أَرْوَا	.	أرْغون (فى فرمَول)
پارُوپَرَنسَانه (وهى تقابل كَنْدَارَه فى الترجمة البابلية للكتابات الأكمينية)	پارُوپَنِسوس	—

ويتضح من هذا أن وادى الـ «هندمند» وسجستان وهراة كانت من بين البلاد المعروفة جيداً للايرانيين القدماء، وكانت ضمن الامبراطورية الأكمينية التى تزودنا بأخبارها الأولى كتابات

الملوك المسمارية وثبت هيرودوتس . ونجد الولايات الستة الآتية بين الثلاث والعشرين ولاية التي كانت تتكون منها الامبراطورية وهي :

زَرَنكه	سَرَنكاى Σάραγγαι فى هيرودوتس وزركُوى Σαράγγοι عند آريان (درنكيانه فيما بعد ، وهكذا اقيم الشكل الفارسى القديم الذى يبدأ بال « د » بدل الشكل الأبستاقى الذى يبدأ بال « ز »)	سجستن — اليوم
هَرِيوَا	وفى هيرودوتس آريه Αρεία	هراة — اليوم
بَخْتَرِشْ	وفى هيرودوتس بكتريا Βακτρία	تركستان (العاصمة القديمة بلخ !)
كنذَارَه	وفى هيرودوتس كَنْذَارِيتِيسْ Γανδαρῖτις	قندهار الهندية وهى وادى نهر كابل
ثَتَكُشْ	وفى هيرودوتس ستا كوداى Σατταγύδαι	بلاد الهزاره اليوم
هَرَوَاتِش	وفى هيرودوتس أرَخُوزِيَا Ἀραχωσία	ولاية قندهار

هذه الولايات الست هى عين أفغانستان الحديثة وقد ورد ذكر أربع منها فى أبستاق . وكانت قندهار منطقة هندية لا إيرانية . ويمكن أن يقال مثل هذا فى « ثتكش » وينبغى الاشارة هنا إلى أن دارا هستاسب (حوالى سنة ٥٠٠ قبل المسيح) ضم إلى الامبراطورية ولاية هندية ممتدة حتى نهر السند لم يرد لها ذكر فى الكتابات . وكانت « زرنكه » مثل « فارس » لم تفرض عليها الجزية ؛ فكأنها كانت تعد وطناً قديماً للايرانيين وليست من الفتوحات . ثم إن الروايات التى يمكن ردها إلى « أبستاق » كانت لا تزال متداولة فى زرنكه حتى زمن الفردوسى الذى جمعها فى الشاهنامه حوالى سنة ١٠٠٠ بعد المسيح .

وقد توغل الجيش المقدونى فى هذا القسم من الامبراطورية بعد أن قضى الاسكندر على الأسرة الأكمينية . وبعد موت الاسكندر آل مع غيره من الولايات الشرقية الاخرى إلى سلوق . إلا أن دولة الهند المنافسة له كانت تزحف على الحدود الشرقية ولم يكتف چندرا كوپتا فى نهوضه بالهند باسترداد ما فتحه الاسكندر فيها بل استولى على الولايات الواقعة فى جنوب هندوكش أيضا . ومن المحتمل أن تكون هذه

الولايات قد ظلت جزءاً من الأمبراطورية المورية حتى وفاة « أسوكا » (حوالى سنة ٢٣١ قبل الميلاد) ، ثم أخذت فى الاضمحلال . وبعد أن سلمت هذه البلاد إلى چندرا كوپتا حاول السلوقيون بعد مائة عام أن يمدوا ملكهم من جديد إلى نهر السند فلم ينجحوا فى ذلك نجاحاً كبيرا . ويلوح أن حملة انطيوكس الكبير (٢٠٦ قبل الميلاد) التى هزم فيها ملكا هندياً يسمى «سوفكسينيس» (سوبهاكا سينا) لم تسفر عن نتيجة ثابتة . ولسنا نعرف شيئا ما عن سكان البلاد فى هذا العهد . ويمكن أن نفرض أن ملوك الهند ما كانوا ليجدوا تأييداً ما من الشعب الايرانى ، ولعله كان يرحب بهم فى كندهاره أما عطف الناس على المقدونيين الفاتحين فكان قليلا . ثم إن المقدونيين جددوا محاولتهم بعد أن أنشئت دولة بكتريا (بلخ) الحرة . وبعد عشرة أعوام من حملة أنطيوكس التى ذكرناها آنفاً شق ديمتريوس بن يوتيديموس طريقا لنفسه مخترقا المجازات ، من بكتريا حتى وادى كابل ففتح جزءا كبيرا من البنجاب . ويرمز الى فتوحاته فى الهند قلنسوة لها شكل رأس الفيل ضربت على سكته . ويظهر أن ثورة يوكراتيدس التى كللت بالنجاح حرمت ديمتريوس من فتوحاته جنوب هندوكش . واحتل يوكراتيدس جزءاً من بكتريا على الأقل لأنه أسس فيها مدينة « يوكراتيديا » . وأما ديمتريوس فأنشأ مدينة « ديمترياس » فى أراخوزيا (الرخج) ومدينة « يوتيديميا » فى الهند ، مما لا شك فيه أن يوكراتيدس لم يحكم الهند ووادى كابل زمناً طويلا . هذا إلى أن ديمتريوس لم يضرب سكته فى غير اللغة الاغريقية إلا مرة واحدة بينما كان يوكراتيدس يضرب سكته فى لغتين على وجه عام ، فكان يترجم الكتابات الاغريقية إلى «البراكريتية» (السنسكريتية العامية) بحروف الـ «خروشطهى» . واغتال أپولودوتس أباه يوكراتيدس وخلفه فى الهند ، بينما تولى أخوه هليوقليس حكم بكتريا ، ويحتمل أن يكون قد حكم جنوب هندوكش أيضاً . وفى عهده أخذت أسرة بكتريا الاغريقية فى السقوط على أيدى الهمج المغيرين حوالى عام ١٤٠ ق . م ، إلا أن ملوك الاغريق ظلوا يحكمون جنوب الجبال . وكان « مناندر » ملك كابل أعظمهم شأناً وهو الذى أغار على الهند وتوغل فيها حتى وصل إلى «متهرا» و «أوده» . ومن المحتمل أن يكون هو عين الملك « مِلندَه » المذكور فى الروايات البوذية . وربما حدثت إغارته على الهند حوالى سنة ١٥٥ قبل الميلاد ، ويستدل على اتساع فتوحاته بكثرة سكته وتعدد الأماكن التى وجدت بها . ويظهر أن البلاد التى كانت فى يد الأغريق انقسمت منذ هذا العصر إلى إمارات عديدة وأن هرميوس آخر ملوكهم كان خاضعاً لـ « كجلكره كدفيزيس » الكشانى حوالى سنة ٤٥ م لأن هناك مسكوكات عليها اسما

الملكين معاً ، أحدهما إلى جانب الآخر، وتشبه شبهاً قوياً العملة التى سكت فى آخر عهد أغسطس ويظهر أنها تقليد لها . وفى خلال هذا احتل رؤساء الهمج إلى جانب ملوك الاغريق جزءاً كبيراً من أفغانستان نحو قرنين من الزمان (ابتداء من سنة ١٤٠ قبل الميلاد) .

وكان أخطر أولئك الهمج قبائل «ساكا» التى يحتمل أن تكون من الجنس الايرانى البدوى . كانت فيما مضى تحتل بقعة واسعة فى « اسكيثية » Scythia شمال جيحون ويظن أن خلفاءها هم قبائل « غلجه » التى تقطن البامير وقبائل « بَلت » المقيمة فى « بَلتستان » ، وهى التى ليست لها السحنة المغلية مع أنها تتكلم لغة أهل التبت . وربما كان البلوخ الذين ذكروا لأول مرة فى التاريخ أيام انوشروان فرعا من هذه الأرومة . ثم إن قبائل « ساكا » هاجمتها حوالى سنة ١٦٠ قبل الميلاد قبائل يعرفها أهل الصين باسم « يُوهِچى » ولعلها من أصل تركى . وكانت هذه القبائل قد أجلتها قبائل « هيونغ نو » من بلادها الأصلية فى « كيانغ سو » ، وساقتها إلى الغرب . وقد دُفعت قبائل «ساكا» قليلا قليلا نحو الجنوب ثم سقطت دولة بكتريا التى كانت شمال «پاروپامسوس» على يديها. وربما كان «ميوس» (أوهروس) و « هِرْكودِيس » من ملوك الساكا لذلك العهد اللذين ضربت سكتهم فى شمال هذه الجبال . وانقسمت هذه القبائل فيما بعد ، ويظهر أنها شقت لنفسها طريقا إلى الهند مخترقة بلتستان ، وإلى الفرس وأريه مارة بهراة، وأصبح لها السلطان المطلق على ولاية درنكيانه التى عرفت منذ ذلك الوقت باسم « سكستنه » او « سَا كَستِينِى » (التى منها سكستان وسجستان فى القرون الوسطى وسيستان الحديثة) . وهذا الرأى رضى به أغلب المؤلفين الذين كتبوا فى هذا الموضوع ، ولكن توماس F. W. Thomas ذكر بعد ذلك براهين قوية أراد أن يثبت بها أن الساكا كانوا قد استوطنوا « درنكيانه » منذ زمن الاكمينيين ، وانهم كانوا يحتلون كل البلاد الجبلية المعروفة الآن بـ « هزارستان » وان كل الغارات التى قاموا بها فى الهند كانت تبدأ من هزارستان متجهة نحو وادى السند ، لا من الشمال مخترقة جبال هندوكش . وعلى كل حال فان الساكا كانوا موجودين بسجستان فى ذلك الوقت .

لقد ظهرت الدولة الـ« فرثية » Parthia فى شمال بلاد الفرس حوالى نفس الوقت الذى ظهرت فيه دولة « بكتريا » إلا أنها كانت مؤسسة على أساس أمتن . فلم تتزعزع أمام هجمات الساكا أو الكشانيين . ولو أننا سلمنا بما يقوله أوروزيوس فإنا نجد متريداتيس الأول ملك « فرثية » قد أغار على الهند حوالى ١٣٨ قبل الميلاد وأضاف إلى ملكه البلاد الداخلة فى ولاية « تَكسله » حتى « جهلَم » . ولكنه اضطر هناك إلى

التخلى عن مكانه للساكا فخلفه أحد ملوكهم المسمى « مويس » فى « تكسله » حوالى سنة ١٢٠ قبل الميلاد. ويظهر من عملة الساكا أنهم تأثروا فى سجستان كثيراً بالنفوذ الفرثى. واحتل « ڤنونيس » الذى يحتمل أنه كان معاصرا ا « مويس » سجستان « واراخوزيا » (الرخج) أيضاً حتى حدود الهند. ثم خلفه أخوه «سپلرزيس» واستولى «أزيس» على «اراخوزيا» واستولى الفرثيون على سجستان مرة أخرى فى عهد «متريداتيس» الثانى حوالى سنة ٩٠ قبل الميلاد. ويظهر أن « ازيس » فقد « أراخوزيا » إلا أنه خلف «مويس» فى « تكسلة ». وخلفه ابنه «أزلزيس» وخلف أزلزيس «ازيس» الثانى، وجاء بعده «كندفاريس» الفرثى الذى فتح «سجستان» و « أراخوزيا » ووادى السند الأسفل. وكان هذا ملكا قوياً، اقترن اسمه بأسطورة زيارة القديس توما St. Thomas للهند. وانحلت الدولة عند موته فاحتل «أورتجنيس» « أراخوزيا ». وأصبحت البلاد جميعها فى قبضة الكشانيين حوالى سنة ٩٠ م.

وقد زعموا أن الـ « يوهچى » الصينيين — الذين كان «الكشان» فرعاً منهم — من أصل تركى، ولكن يحتمل أن يكونوا قد تأثروا بالثقافة الايرانية، وفيهم شيء من الدم الايرانى مما ساعدهم على الامتزاج بالشعب الايرانى القديم بما فيه الساكا. والصور المنقوشة على عملتهم تمثلهم رجالا أقوياء ذوى لحى، طوال الأنوف، ولا تزال هذه السحنة سائدة حتى اليوم بين الأفغان والتاجيك، ويظهر أن لغتهم كانت إيرانية، أو تحولت سريعاً إلى الايرانية. كانوا يعبدون آلهة فارسية، وكانوا يعيشون فى التركستان الصينى قبل أن يهاجمهم الـ « هيونغ نو ». وأظهرت المستكشفات الحديثة فى تلك البلاد أن حضارتهم الأولى كانت إيرانية الأصل وأن لغتهم كانت عين لغة الصغد.

ويحتمل أن يكونوا قد امتزجوا بالشعوب الايرانية الأخرى أثناء إقامتهم فى إقليم جيحون، وتعلموا أشياء عن أمراء الاغريق، وقلدوا سكتهم ولو أن معرفتهم للأغريقية كانت أقل بكثير من معرفة الساكا لها، وكثيراً ما استعملوا الكلمات الفارسية فى حروف إغريقية.

وقد استخرج بعض التواريخ من نقوش هؤلاء الملوك، والرأى الشائع فى هذه النقوش هو أنها ترجع إلى عهد الـ « ساكا » الذى يبدأ من سنة ٧٨ م.

وهذه هى سلسلة ملوكهم بحسب الرأى الشائع:

كَدْفيزيس الأول (كجله)	٤٥ — ٥٠	م
« الثانى (هيمه)	٥٠ — ٨٥	«
كَنشكَه	٨٥ — ١٢٠	«
هُوشكه	١٢٠ — ١٥٠	«
وَاسديوه	١٥٠ — ١٨٠	«

ومع هذا فليس من الضرورى أن يكون

الـ « ساكا » والـ « كشان » قد استعملوا تأريخاً واحداً . ويرى فليت أن الكشان استعملوا تأريخ « سَموَات » الذى يبدأ من سنة ٥٨ قبل الميلاد ، ويقول إن بدء هذا التأريخ يتفق مع ملك « كنشكه » . ووفقا لهذا التأريخ كان « كندفاريس » الملك الفرثى يحكم تكسله سنة ٤٧ أى فى السنة السادسة والعشرين من حكمه . فيكون تتابع الملوك طبقاً لهذه النظرية كما يأتى :

الأسرة الكشانية الأولى :

كَنشكه ٥٨ — ٣٠ قبل الميلاد .

وَسكشه ٣٠ — ٢٢ قبل الميلاد

هُوشكه ٢٢ قبل الميلاد إلى ١٦ بعد الميلاد

وَاسُديوه ١٦ — ٤٠ بعد الميلاد .

الأسرة الكشانية الثانية :

كدفيزيس الأول من ٥٠ بعد الميلاد .

كدفيزيس الثانى .

ومن الواضح أن دولة الكشان سواء كان منشؤها كنشكه أو « كجله كدفيزيس » قد قضت على جميع خصومها فى أفغانستان خلال القرن الذى يبدأ من سنة ٥٠ قبل الميلاد وينتهى بسنة ٥٠ بعده . وكان الكشان لا يزالون فى شمال هندوكش حينما حل بهم « چَنْـغ كيين » الصينى حوالى سنة ١٢٥ قبل الميلاد . وانقسم الـ « يوهچى » بعد زمن قليل إلى خمس إمارات إحداها إمارة « كوهچونغ » أو « كشان » . وبعد نحو مائة عام أخضع ملك الكشان جميع الامارات الأخرى ، وأغار على الفرثيين وفتح كابل فأسس أمبراطورية واسعة . واسم هذا الملك فى اللغة الصينية « كيوتسيوكيو » وخلفه ابنه « يَنْ كاو چيو » الذى أغار على الهند

واذا صدق تفسيرنا لما كتب على المسكوكات يكون أولها هو « كجله كدفيزيس » الذى قضى على ملك هرميوس آخر ملوك الاغريق فى كابل . وابنه هو « هيمه » أو « ويما كدفيزيس » وله سكة منتشرة فى أفغانستان وفى الهند الغربية . وقد كانت امبراطوريته ممتدة من الحدود الفرثية إلى نهر الكنج وإلى مملكة الصغد فى الشمال ويلوح لنا أن أفغانستان كلها كانت داخلة فيها . ونجد إلى جانب سكته سكة لزعيم يعرف باسم سوتير مكاس ، ربما كان قائد جيشه أو واليا من ولاته . وسكة كدفيزيس الاول تشبه كثيرا سكة أغسطس وتيبرياس ، ويظهر أنها نقلت عنها : وقد استعمل العيار الرومانى للعملة الذهبية . ويظن أن كدفيزيس الثانى حكم نحو أربعين عاما . وابتدأ حكم كنشكه كما قيل بصفة عامة حوالى سنة ١٢٥ بعد الميلاد ، وتدل سكته على اتساع ممتلكاته ، وهو مشهور فى الروايات البوذية بأنه الملك الذى عقد مجلسا كبيرا لتقرير نظام الـ « مَهايَانَا » . ويوجد على إحدى مسكوكاته صورة بوذا مع اسمه بالحروف الاغريقية . إلا أن فليت Fleet أبان أن الروايات البوذية تجعل ارتقاء هذا الملك للعرش كانت بعد وفاة بوذا باربعمائة سنة .

وهذا لا يتفق والتاريخ المتأخر (١٢٥ م) الذى قيل إنه ارتقى العرش فيه بعد تولى كدفيزيس الأول وكدفيزيس الثانى. ويقبل س. ليفى S. Levi هذا الرأى إلى حد ما، ولو أنه لم يسلم بنظرية تأريخ «سَموَات». ويرى فليت أن كنشكه وخلفاءه تقدموا على كدفيزيس الأول والثانى ولم يجيئوا بعدهما، وأنهم حكموا من سنة ٥٨ قبل الميلاد، وهو بدء تأريخ «سَمْوات»، إلى ما يقرب من الزمن الذى ثل فيه كدفيزيس الأول عرش هرميوس آخر ملوك الاغريق. ولا شك فى أن سلطان ملوك الاغريق فى عهدهم الأخير لم يتعد بقعة محدودة من الأرض

ويمكن أن يشير هنا إلى أن أسرة كنشكه لم تستعمل فى سكتها إلا اللغة الاغريقية أو الفارسية مكتوبة بالحروف الاغريقية، والآلهة المرسومة على سكتها فارسية على وجه أخص حتى زمن آخر هؤلاء الملوك وهو «بَازْدِيُو» أو «وَاسديوه» الذى يظهر من اسمه أنه كان متأثرا بالهندية. ويستعمل الكدفيزيسيون كالأغريق، اللغتين الاغريقية والبراكريتية، ويرسمون على ظهر سكتهم «سيڤا وثوره» ولم يرسم هذه الصورة أحد قبل هذا إلا «بازديو» وهو من ملوك «كنشكه». ويمكن أن يستخلص من هذا ان حاضرة ملك كنشكه وخلفائه كانت فى إقليم إيرانى، وأن حاضرة ملك الكدفيزيسيين كانت فى إقليم هندى مثل وادى كابل الأسفل أو «تَكسله». وقد

رسم «سيڤا» وثوره» أثناء قرون عديدة بعد هذا العهد، ولم يُرجع إلى الآلهة الفارسية حتى فى عهد نفوذ الساسانيين أنفسهم. ويظهر أن هذه الحقائق تؤيد نظرية وراثة العرش كما وضعها فليت. ثم إننا نعلم عن ملوك الكشان شيئا قليلا جدا وهو ما نستخرجه من المسكوكات وبعض النقوش. وتدل نقوش زهرية «وردك» Wardak على أن كابل كانت ضمن ممتلكات «هُوشكه». وقد مالت سلطة «الكشان فى الهند إلى الزوال سريعا بعد عهد الملوك الذين تحدثنا عنهم، ولكنها استمرت فى أفغانستان، قرونا عديدة؛ وظلت حتى غارة الا «افتاليت» أو الا «هون البيض» (الهياطلة). وكانت أفغانستان أثناء هذا العهد مسرحاً للتطاحن بين النفوذ الهندى والنفوذ الايرانى. واختفت دولة الفرثيين وقامت مقامها الدولة الساسانية الفارسية بينما وصلت أسرة «كوپتا» الكبرى إلى السلطان فى شمال الهند. ويظهر أثر الساسانيين بوضوح فى بعض المسكوكات الكشانية المتأخرة التى يحتمل أن تكون قد ضربت بسجستان فى القرنين الرابع والخامس. وابتدأ هذا الأثر فى الوقت الذى فتح فيه سكستانه (سجستان) «ورهران» الثانى المتوفى سنة ٢٩٤ بعد الميلاد وهو الذى منح ابنه «ورهران» الثالث لقب «ساكان شاه». وبعد قليل من هذا التاريخ أى فى صدر القرن الرابع، تزوج هرمزد الثانى ابنة ملك كابل الكشانى.

ونسب نفسه فى عملته الى الأسرة الملكية الكشانية الكبرى . وعضد أهل سجستان وملوك الهند أمثال الكشان ، سابورا فى حصاره لآمده . ولبعض ملوك الكشان أسماء ساسانية خالصة مثل «هرمزد» و «ورهران» و «فيروز » .

أما الفاتح الكوبتى الكبير «چندرا كوبتا» فعلى عكس ذلك تدل نقوشه على أنه كانت له صلة وثيقة بملك كشانى .

ويظهر أن ملك الكشان لأفغانستان قضت عليه غارة الـ « هون البيض » أو الـ « افتاليت » فى أواخر القرن الخامس ، وهو العهد الذى حاربوا فيه الساسانيين ، والذى مات فيه فيروز سنة ٤٨٠ بعد الميلاد ، وسقطت كابل وكندهاره على أيديهم حوالى سنة ٥٠٠ بعد الميلاد . وأسس ملكهم « ثورمانه » دولة امتدت حتى داخل الهند . وكانت عاصمتها «سَاكَله» (سيالكوت) فى البنجاب . وقد قلد هؤلاء الهمج سكة الساسانيين بوجه عام ولسنا نعرف على التحقيق هل الملك « نيكى » ملك كابل الذى أمر فى ذلك العهد بضرب السكة على مثال السكة الساسانية ، كان كشانيا أم من الهون البيض . وكانت سلطة الهون البيض قد أخذت فى الزوال وتلاشت أمام غارة أخرى من الشمال اشترك فيها عاهل الفرس الكبير كسرى انوشروان . وظل زعماء الكشان يحكمون فى كابل متخذين لقب الـ « شاه » ابتداء من ذلك العهد حتى سنة ٨٨٠ بعد الميلاد ، عندما أخذ المسلمون فى الظهور وبدأ ملوك البراهمة يحكمون الوادى الأسفل لنهر كابل . وذكر البيرونى واحدا من أولئك الملوك يدعى « كنك » وهو بوذى مشهور بنى معبدا فى پشاور .

ومن البدهى أن هذا كان تذكاراً لكنشكه ولكن البوذية كانت قوية فى عهد الكشان شهد بذلك « هيُوِنْ تسنغ » من رحالة الصين الذى مر بالبلاد سنة ٦٣٠ و «ونغ هيوين تسى » الذى مر بها سنة ٦٥٧ بعد الميلاد . ووجد « هيوين تسنغ » ولايات « كندهاره» و «ملْتپَا» (لمغان) و «نكرَهَار » فى يد ملوك « كبشَا » أو كابل . وكان اللقب المعتاد لهؤلاء الـ « كشان » المتأخرين هو « كدَارَه » وهو يقابل « الكتولو » عند الصينيين . وقد كتب البيرونى « لكترُمان» (بدل « كترمان ») ويظهر أن لقبا شبيها بهذا كان موجوداً فى جبال الكافر حتى العصور الحديثة . وكانت سيطرة الوزراء البراهمة على الملوك الملقبين بالشاه صورة من صور تغلب البرهمية على البوذية . وكانت البرهمية تسود شمال الهند فى ذلك الوقت .

ومدينة « أودَبْهَانضا » أو « أوهنْد » الواقعة على نهر السند الأعلى فوق « اتّك» كانت حاضرة لدولة الهندوس فى ذلك العهد ، وشملت وادى نهر كابل حتى جلال آباد ماعدا مدينة كابل التى كانت فى يد المسلمين . وقد امتدح البيرونى فى صفات ملوك الهندوس .

واسماؤهم بحسب ما أمكن تحقيقه هي كما يلي

رواية البيرونى	رواية مستخرجة من راجا ترنكيني ومن المسكوكات
كلَرّ	لاليـة
سامَنْد	سامنته ديوَه
كملُو	(كمرَه ؟)
بهيم	بهيمـه ديوَه
جَيَپال	جَيه پاله
آننْدپال	آنندَپاله
ترُجَنْپال	ترلوچَنپاله
—	سپالپتى
—	پدَمه
—	خُودوَيكه
—	وَنكه ديوه

ولسنا نعرف الأسماء الأربعة الأخيرة إلا من المسكوكات . وأكثرها شيوعا مسكوكات « سپالپتى » . ولا شك فى ان هـذا الاسم إيرانى ومعناه « قائد الجيش » (وهو فى الفارسية الحديثة : سپاه باد) وهذه المسكوكات توجد عادة فى البنجاب الشمالية الغربية كما توجد فى افغانستان ايضا . وقضى على دولة الهندوس محمود الغزنوى الذى انتصر عليهم انتصـــاراً عظيما عام ١٠٠٩م فى « أوهند » (ويذكرها المؤرخون باسم ويهند) على أن هذه الأسرة ظلت قائمة حتى سنة ٤١٢ هـ (١٠٢١) م .

دخول الاسلام : كانت أول محاولة لنشر الاسلام فى أفغانستان أيام الخليفة عثمان حينما أرسل عامل البصرة عبد الرحمن بن سمرة لغزو سجستان ، فحاصر مدينة « زرنج » واستولى عليها . ومدينة زرنج هى زاهدان الحديثة التى لايزال فيها اطلال زرنج إلى الآن. وأخضع عبد الرحمن كذلك البلاد التى بين « زرنج » و « كشْ » والرخج (يحتمل أن تكون Arachosia)حتى الدوار (زمنداور) وجبال الزور (ويرجح أنهـا الغور) حيث خرب صنما من ذهب كانت عيناه من الياقوت الأحمر . وأخذ « بُسْت » عاصمة الدوار وتقدم ماراً بزابل أى أنه مر بوادى ترنك وغزنة حتى بلغ كابل ففتحها وأسر الشاه . ولا بد أن يكون هذا الشاه من أمراء كشان شاهى وكان فتح زابل وكابل أيام معاوية . ولم تؤد هذه الفتوحات إلى تثبيت أقدام العرب فى هذه البلاد ولو أنه قيل إن الشاه اعتنق الاسلام ونطق بالشهادتين ؛ أما سجستان الحقيقية فقد أخضعت تماماً وكانت سهلة المنال لقربها من ولاية كرمان ؛ واتخذت سجستان قاعدة للغارات التى شنت على كابل ولكن الحملة التى كان يقودها عبيدالله بن أبى بكرة سنة ٧٩ (٦٩٨ م) أخفقت واضطر إلى افتداء نفسه وجيشه نظير سبعمائة ألف درهم . ثم إن الحجاج أنفذ عام ٨١ هـ (٧٠٠ م) حملة أخرى بعث عليها عبد الرحمن بن الأشعث ثم أهان الحجاج عبد الرحمن فتحالف مع الشاه انتقاما من الحجاج ثم غدر به وسلم إلى الحجاج

فانتحر . ويسمى هذا الشاه « رَنبل »و«زنبل» أو « رتبيل» ، على أننا لانعرف اسمه الصحيح على وجه التحقيق وقال اليعقوبى إن حملة أخرى جردت على كابل فى أيام هرون الرشيد وإن العرب استولوا عليها ولكنهم لم يحتفظوا بها . ويروى أنه لما ولى المأمون الخلافة ووصل بنو طاهر إلى الحكم نشبت ثورة للخوارج فى سجستان .

ان ظهور بنى صفار بزعامة يعقوب بن الليث حوالى سنة ٨٦٠ كان سببه من غير شك قيام أهل البلاد على العرب الفاتحين . ووطد يعقوب سلطانه فى سجستان بعد أن أسقط بنى طاهر ، وبسطه حتى « جروم » (كرمسير الهند منذ : الهلمند الأسفل) وزابلستان ، وفتح الرخج وغزنة وكابل وأسر الشاه . وقد استمر احتلاله مدة أطول من احتلال المغيرين السابقين . ونجد له عملة ضربت فى « پنج هير » من أعمال قوهستان كابل سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٣ — ٨٧٤ م) . وعملة أخرى ضربها الليث بن على فى « بُسْت » سنة ٢٩٨ هـ (٩١١ م) .

ويظهر أن كابل أحتلت بصفة دائمة حوالى سنة ٢٥٧ هـ (٨٧١ م) وهو تاريخ يوافق تمام الموافقة ظهور دولة كابل التى تسمى على وجه عام الدولة البرهمية كما ذكرنا من قبل . ومن البدهى أن آخر ملوك الشاهى قد قضت عليهم هجمات مسلمى الجنوب وانتقاض رعاياهم الهنود فى الشرق .

وكانت هذه الدولة الهندية سداً أمام انتشار الاسلام فى الهند إلى أن فتحها محمود ، لأنه مع توطد الاسلام فى السند منذ زمن طويل قد أوقفت الصحراء تقدمه من هذه الجهة إلى الشرق . وكان الاستيلاء على المنطقة الخصبة الواقعة عند سفح جبل هملايا شرطا أولياً لا بد منه لتقدمه فى المستقبل . ولكن هذه المنطقة ظلت بعيدة المنال حتى اليوم الذى قضى فيه على دولة « أوهند » .

كان بنو صفار ، كما قيل سابقاً ، من أرومة فارسية . وكانت الأسرة الحاكمة تزعم أنها من نسل كسرى أنوشروان . ولم يهادن يعقوب بن الليث الخليفة قط . أما أخوه عمرو فقد خضع خضوعا اسمياً وثبت فى ولايته على فارس وجرجان وسجستان وخراسان . ثم إن أسرة بنى طاهر التى سقطت استعادت شيئا من سلطانها فاستمر القتال بين الأسرتين المتنازعتين حتى سقطتا كلتاهما على يد الأسرة السامانية . وهى أسرة إيرانية أخرى كانت قد بدأت فى الظهور . وهزم إسماعيل السامانى عمرا فى بلخ سنة ٢٨٧ هـ (٩٠٠ م) ومات فى الأسر . وهكذا أضاع بنو صفار جميع ممتلكاتهم فى فارس وخراسان . ولكنهم احتفظوا بسجستان التى كانت ممتدة إلى الرخج وربما إلى كابل . وظلوا تحت سيادة السامانيين ، وكان من هذه الأسرة عمال على سجستان فى عهد الملوك الغزنويين والغوريين . ولسنا نعرف على وجه التحقيق إلى أى حد امتد

سلطان الدولة السامانية فى أفغانستان . وقيل فى « مجمل فصيحى » إن إسماعيل السامانى حكم بعض نواحى الهند ، ويقول رافرتى Raverty إن المقصود بهذا إقليم كابل . ولعله كانت له بعض السيادة على ملوك « أوهند » من الهندوس . وربما كانت « بلاد الدوار » تحت حكم الصفاريين الذين لم ينقشوا على سكتهم ما يشير إلى خضوعهم للسامانيين . وانحصرت دولة الصفاريين بعد سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) فى سجستان الحقيقية . ولا بد أن الجزء الأكبر من أفغانستان كان مستقلا تحت إمرة زعمائه الوطنيين وكان بعضهم من الزرادشت والبوذيين والوثنيين .

وحوالى سنة ٣٥٠هـ (٩٦١ م) ثار مملوك تركى يدعى ألبتكين كان حاجباً للملك السامانى عبد الملك ، على خليفته منصور واستولى على مدينة غزنة ، وعزل زعيمها « لويك » الملقب بالصاحب أو بادشاه ، ولعلّه أحد زعماء الكشان المتأخرين ، وأخضع زابلستان ، وبدأ على هذا النحو ينشىء لنفسه دولة مستقلة . وكان تحت قيادته جيش من الفرق التركية ، فاستطاع أن ينقل ملكه إلى ابنه إسحق الذى حكم من ٣٥٢ إلى ٣٥٥ هـ (٩٦٣ — ٩٦٥ م) وخلفه « بلكاتكين » المملوك التركى لألبتكين ، وضرب السكة باسمه ، الأمر الذى لم يفعله واحد من أسلافه فيما نعلم . ولما مات قبض سبكتكين على زمام السلطة وكان كذلك من مماليك ألبتكين ، وأصبح المؤسس الحقيقى للأسرة الغزنوية . وضرب السكة فى قلعة «فروان» الجبلية شمالى كابل ، واعترف بسيادة السامانيين ، وأصبح حاكما قوياً فى زابلستان كلها وبلاد الدوار والغور وهاجم « جيپال » ملك « أوهند » الهندى . ثم ولاه على خراسان مولاه الأمير نوح السامانى .

وكانت الدولة السامانية آخذة فى الانحلال إذ ذاك بينما كان سلاطين الغزنويين يزدادون قوة. ولما توفى سبكتكين سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧م) خلفه ابنه اسماعيل ولكن أخاه محموداً الذائع الصيت خلعه إذ ذاك (٣٨٩هـ=٩٩٩م) وكان فى الثامنة والعشرين من عمره ، وسرعان ما خلع الثوار الملك منصوراً السامانى عن العرش ، وسقط أخوه عبد الملك بعد زمن قليل . وظل محمود مواليا لمولاه المخلوع فأدب الثوار وحفظ الملك . ومن الممكن أيضاً أن يكون له دخل فى الثورة إذ يقول « فصيحى » إنه هجم بنفسه على عبد الملك . ثم اتخذ محمود مدينة بلخ عاصمة لملكه ، وولاّه عليها الخليفة القادر بالله ومنحه لقب « يمين الدولة وأمين الملة » وخلع طاعة الملك السامانى . ولقب « السلطان » الذى عرف به عند المؤرخين على وجه عام ، ليس موجودا على سكته ولا على سكة الذين خلفوه مباشرة ، ويظهر أنه لم يكن معروفا به فى أيامه . وأول من لقب بالسلطان جهرة هو طغرل بك السلجوقى فانه لقب به بعد وفاة محمود

عام ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) ثم لقب به ملوك الغزنويين. ونراه لأول مرة على سكة إبراهيم الذى جلس على العرش سنة ٤٥١هـ (١٠٥٩م). وأما ما يقوله أليوت وداوسون (History of India، جـ ٢، ص ٤٨٢) من أن مسعوداً الأول كان يحمل لقب «السلطان المعظم» فلم تؤيده السكة. ولقب محمود نفسه «بنظام الدين» و «ملك الممالك» و «ملك الملوك». ولقبه الفردوسى فى هجائه المشهور له بلقب الشاه ويذكره العتبى أحيانا بلقب السلطان. ولكن لا شك فى أن هذا اللقب لم يكن شائعا قبل أن يعترف به رسمياً.

ولا تعتبر غزوات محمود للهند وفارس جزءا من تاريخ أفغانستان. اذ كان محمود حاكما تركيا دخيلا فى تلك البلاد، وكانت غزنة حاضرة صالحة لدولته.

وظل زعماء سجستان والغور وقبائل الأفغان فى جبال سليمان يحكمون البلاد فى ظل الغزنويين. ويحتمل أيضاً أن يكون الملوك المتأخرون من هذا الجنس قد امتزجوا الى حد ما برعاياهم التاجيك، ونرى تأثير الفرس فى الأسماء مثل فرّخزاد وبهرام شاه وخسرو. ثم إن محمودا كان يختار جنده حيثما يجد العناصر الصالحة ويراعى فى ذلك أن تكون نواة جيشه تركاً من جنسه. وكان الخلج وهم جنس آخر من أصل تركى عنصراً مهماً من عناصر هذا الجيش. قال العتبى إنه لما سار محمود إلى بلخ لمحاربة ايلخان كان جيشه مؤلفا من الهنود والخلج والأفغان والغزنويين. ومما لاشك فيه أن الهنود كانوا من مملكة «أوهند» التى فتحت أخيرا. وقال البيهقى إن خلفه مسعودا قد استخدم الهنود وأنهم أبلوا بلاء حسنا فى حربه لأحمد نيال تكين التركى الثائر. وكان الفرسان فى حرب «كرمان» عبارة عن ٢٠٠٠ من الهنود و ١٠٠٠ من العرب والأكراد. ومما لاشك فيه أن الغزنويين كانوا من تاجيك ولاية غزنة وزابلستان. وبدأ الأفغان منذ ذلك الوقت يصبحون عنصراً من العناصر التى تتألف منها الجيوش. وكان سبكتكين، على رواية المؤرخين أول من استخدمهم. وقد كان الخلج منتشرين كثيرا إذ ذاك فى خراسان وسجستان. ويقول ياقوت (معجم البلدان، انظر كابل) نقلا عن الاصطخرى انهم فتحوا كابل. ومما لاشك فيه أن الترك كانوا العنصر الغالب فى هذه الجيوش المختلطة.

إن أول حملة قام بها محمود كانت ضد الدولة الهندية فى «أوهند» أو «ويهند» وكان سبكتكين قد حاربها قبل ذلك بقليل. وأعقب محمود غزوته الأولى بغزوة ثانيـــة انتهت بانكسار «جيپال» وأسره فى سنة ٣٩٢ هـ (١٠٠١ م) قرب پشاور وسقوط عاصمته ويهند. ويظهر أن «جيپال» استمر يخلص له لأنه قدم اليه بعد زمن قليل جيشاً مؤلفا من ٢٠٠٠ هندى. وذلك بعد ان أغار محمود على الهند للمرة الأولى وواجه فى شمالها جيوشا متحالفة من الهنود كان يقودها «آنندپال»

ويساعدها « الكهكهر » .

وقد تمكن محمود إبان الفترات التي تخللت غزواته للهند وفتوحاته الأخرى من أن يوحد ممتلكاته فى أفغانستان . وكان أول ما استرعى نظره إمارة التاجيك التى كانت فى بلاد الغور فان أمراءها الذين كتب لهم القضاء على الأسرة الغزنوية لم يكونوا فى ذلك الوقت سوى زعماء الجبال الذين لا شأن لهم .

وكان سبكتكين قد فتح بلاد الدوار والغور وبست ، وهى قصبة على نهر الهلمند (هندمند) ، ولكن ظلت المناطق الجبلية غير خاضعة له ، فرأى محمود ضرورة غزوها ، واشتغل بهذا من سنة ٤٠١ إلى ٤٠٥ هـ (١٠١٠ — ١٠١٤ م) . ويظهر أن سكان التلول لم يكونوا قد أسلموا بعد ، فقد ذكر البيهقى أنهم كفار ملاعين . وانتهت الحرب بأسر الملك محمود بن سورى .

وفى سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) أغار محمود على أفغان جبال سليمان الذين كانوا قد أقضوا مضجعه ونهب بلادهم .

وبسط محمود سلطانه ، حوالى نهاية حكمه ، على دولة عظيمة كانت تشمل من ناحية الغرب خراسان وأجزاء من العراق وطبرستان ؛ ومن ناحية الشمال تركستان جنوب جيحون ، وبسط نفوذه على بلاد ما وراء النهر فى الشمال ؛ وعلى البنجاب كلها فى الشرق ؛ وعلى أفغانستان الحديثة فى الوسط . ويظهر امتداد دولته من المدن التى ضربت فيها السكة . ففى أفغانستان ضربت فى غزنة وفَرْوان ، وفى خراسان بنيسابور وهراة ، وفى جرجان قرب بحر الخزر ، وفى التركستان بمدينة بلخ و «وَلوَاجْ» ، وفى البنجاب بمدينة لاهور التى تسمى أيضاً « محمود پور » . وكان بلاطه فى غزنة مجمع رجال الأدب نذكر منهم الفردوسى والبيرونى ، غير أنه لم يكن حامى العلماء بمعنى الكلمة ، وقد هجاه الفردوسى الذى عامله معاملة غير جديرة به ، بقصيدة لاذعة ، وخص البيرونى مسعودا بجل مدائحه ولم يمدح محمودا إلا قليلا . وكانت الصفة القصصية التى امتازت بها غاراته فى الهند قد أثارت خيال معاصريه وجعلت منه بطلا شعبيا يتردد اسمه على كل لسان . وعلى مر العصور أصبح محمود بطلا شعبيا فى البلاد التى دخلها فاتحا أجنبيا ، مع أن صلاته بالأفغان لم تكن تتعدى الحرب والنهب .

وخلف محمودا ابنه محمد سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) ثم خلعه أخوه مسعود . وكان مسعود قد اشترك مع أبيه فى كثير من حروبه ، كان مقاتلا شجاعا غير أنه كان يدمن الشراب . وفى عهده وجهت أول ضربة قاضية إلى الدولة الغزنوية بقيام السلاجقة تحت قيادة طغرل بك . وفى سنة ٤٣١ هـ (١٠٣٩ م) هزم طغرل بك مسعودا فى معركة حامية وقعت فى « دندانقان » بين مرو وسرخس وأبدى فيها مسعود بسالة عظيمة . ومنذ هذه الوقعة انتزعت منه خراسان وجميع الممتلكات الغربية . وقد أشير إلى هذا التغيير فى السكة التى ضربت

فى نيسابور . والسكة الأخيرة التى ضربها مسعود فى هذه المدينة تاريخها سنة ٤٣١ هـ (١٠٣٩ — ١٠٤٠ م) وأول عملة لطغرل بك ضربت فيها عليها تاريخ سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ — ١٠٤٢ م).

وكان مذهب القرامطة واسع الانتشار فى ذلك الوقت وبالأخص فى خراسان . وقد قتل حَسْنَك وزير مسعود القادر لأنه انضم إلى هذا المذهب وراسل خلفاء مصر. ثم إن الثورة العظيمة التى قام بها القائد التركى أحمد نيال تكين جهة الهند أخمدت فى مشقة بمساعدة الفرق الهندية . وكان مسعود يريد أن ينافس آباه فى فتوحاته فى الهند ، واستولى فعلا على حصن «هانسى» إلا أن غارة السلاجقة قضت على آماله . وكان مشغولا كذلك بقيام ملوك الغور . وبعد هزيمته على يد السلاجقة هاجر من غزنة إلى الهند ولكن قبض عليه عند ممر « ماركله » قرب حسن ابدال بعد آن غدر به خدمه الترك والهنود الذين أجلسوا على العرش أخاه محمدا المعزول . ثم قتل مسعود فى السجن سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) . وبعد ذلك هزم ابنه مودود عامل غزنة محمدا فى «ننكرهار» وقتل جميع قاتلى أبيه من الترك والتاجيك . ثم أنشأ مدينة « فتح آباد » قرب « جلال آباد » تخليدا لهذا الظفر . وحكم مودود حتى سنة ٤٤١ هـ (١٠٤٨ م) وخلفه ابنه عبد الرشيد بعد فترة قصيرة ، وقد حمل ازدياد سلطان السلاجقة ملوك الغزنويين على الاعتماد شيئا فشيئا على ممتلكاتهم الهندية ، وأشير إلى هذا التبدل (لأول مرة فى حكم مودود) برسم ثور « سيفا » على سكتهم مع كتابة « سرسمنته ديوه » المأخوذة من سكة ملوك «أوهند» . وفى عهد عبد الرشيد تجددت غارات السلاجقة تحت قيادة داود وابنه ألب أرسلان اللذين أغارا على أرض غزنة عن طريق طخارستان وعلى بلاد الدوار عن طريق سجستان . وانهزما فى « خومر ت » أمام جيش يعوده مملوك تركى يدعى طغرل : ثم تحول طغرل ضد الملك بعد انتصاره فقتله واغتصب عرش غزنة . ولكن مملوكا تركيا آخر قتله وأخرج فرخ زاد بن مسعود من سجنه وأجلسه على العرش سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ م) وحكم فرّخ زاد حتى سنة ٤٥١ هـ (١٠٥٩م) وأصبح محبوباً من الش لأنه خفف الضرائب الثقيلة ع اهل زابلستان . وربما كان الفضل فى هذا راجعا إلى حد ما إلى سلطة ملوك الغور النامية . وخاف فرّخ زاد أخوه ابراهيم وكان حكمه الذى تجاوز أربعين عاما عهد رخاء وسعادة . وقد صالح السلاجقة وزوج فيما بعد ابنه مسعوداً الثالث من ابنة ملك شاه الملك السلجوقى . وله بعض فتوحات فى الهند ولكن أعماله السلمية أذاعت صيته أكثر من حروبه فقد بنى المساجد والقصور والمدارس . ثم جلس مسعود الثالث على العرش سنة ٤٩٢هـ (١٠٩٩م) وحكم حتى سنة ٥٠٨هـ (١١١٥م).

وكان حكمه [illegible] وعقد حلفا مع

السلاجقة دفع عنه عادية الغارات من الشمال والغرب . واستطاع أن ينفذ حملات أخرى إلى الهند ، نجحت إحداها فى التوغل حتى نهر الـ « كنج » ولما توفى شبت الخصومة بين ابنيه شيرزاد وأرسلان وانتهت بعزل الأول عن العرش . ولم يحكم أرسلان إلا سنتين وقد قضى سلوكه السيء على السلم الطويل الذى كان بين السلاجقة والغزنويين . وذلك أنه أهان امرأة أبيه ، أخت سنجر الكبير ، الذى كان ملك السلاجقة إذ ذاك ، وطرد ابنها بهرام أخاه من أبيه ، فحاربه سنجر ، ومنى أرسلان بهزيمة انسحب على أثرها إلى لاهور ، الا أنه فتح غزنة مرة أخرى ثم هزمه بهرام بمساعدة السلاجقة ومات فى الهندسنة ٥١١هـ(١١١٧م) ويمكن أن يقال إن الأسرة الغزنوية المستقلة قد دالت دولتها بتولى بهرام ، لأنه بالرغم من أنه يلقب نفسه السلطان الأعظم إلا أنه أصبح تابعاً لسنجر ووضع اسمه على سكته . وحكم بهرام شاه حتى سنة ٥٤٧ هـ (١١٥٢ م) ولكن سلطته كانت محدودة ولم يكن حازما قوى الادارة حتى كان يستطيع مقاومة أعدائه فى الداخل وفى الخارج . فقد كان يهدده فى الشمال قبائل التركمان الغزية التى صاهرت السلاجقة أول الأمر ولكنها أصبحت فيما بعد من ألد أعدائهم . بينما أخذ زعماء جبال الغور يفكرون فى الانتقاص من سيادة الغزنويين فى الجنوب وأخذت سلطتهم تزداد رويداً رويداً وهم من صميم أهل البلاد . فهم فرع من أرومة تاجيكية بعكس سلاطين ذلك الوقت .

كان مسعود الثالث قد ولى على الغور عز الدين حسين بن سام سنة ٤٩٣هـ (١٠٩٩ م) وعضد النفوذ السلجوقى الملوك . وخلف عز الدين حسين ابنُه سيف الدين سورى ودس بهرام شاه السم لأخيه قطب الدين محمد الملقب بملك الجبال فى غزنة حسدا له . وأغار سورى على غزنة انتقاماً لأخيه ، فهرب بهرام شاه الى وادى كورم واستولى على غزنة وكان أخوه علاء الدين حسين يقود جيشه . ثم رجع علاء الدين إلى الغور ، وفى أثناء غيابه جمع بهرام شاه فرقة من الأفغان والخلج واسترد غزنة وأسر سورى وقتله . وفى أثناء هذا كان بهاء الدين سام أكبر اخوة سورى على قيد الحياة يقيم قواعد الدولة الغورية فى جبالهم ، وأنشأ على تل حصن فيروزكوه . وبعد بضع سنين رافق أخاه علاء الدين فى السير إلى غزنة ولكنه مات فى الطريق وخلفه علاء الدين وواصل خطة أخيه فهزم بهرام شاه فى بلادالدوار واستولى على غزنة بعد وقعتين . وانتقم لنفسه انتقاماً وحشياً إلى حد أن المدينة لم تستعد مجدها أبداً بعدالمذابح العامة والحريق الذى صيرها رماداً ، وهذا هو سبب تسميته بـ «جهانسوز» (محرق العالم) ثم إنه خرب مدينة بست التى يظهر أنها كانت عاصمة للغزنويين فى بلاد الدوار كما كانت « فيروزكوه » عاصمة الغور فى الجبال . ولم تسترجع غزنة قط ما كان لها من شأن وظلت

بست كومة من الخرائب إلى الوقت الحاضر وقامت قندهار مقامها فى الأزمان الحديثة كعاصمة للرخج . ويظهر أن بهرام شاه استرد غزنة بعد ارتحال علاء الدين جهانسوز منها ، ومات بعد قليل (٥٤٧هـ = ١١٥٢ م) وخلفه ابنه خسرو شاه . ولم يكد خسرو شاه يتولى الحكم حتى طردته قبائل الغز من غزنة ولم تبق له سوى ممتلكاته فى البنجاب . وبعد سبعة أعوام خلفه ابنه خسرو ملك فى اللاهور وحكم نحو ثلاثين سنة الى أن أسقط الغور الأسرة الغزنوية نهائيــــاً سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ — ١١٨٨ م) .

وكان يمكن أن ينتظر للملوك الغور عهد طويل من السلطان فى أفغانستان ، ولكن قوات همج آسية الوسطى المتزايدة أوقفت تقدمهم فجأة ، فقد اغار الغز وشاهات خوارزم ، والمغل بقيادة جنكيزخان على البلاد فى تعاقب سريع . ونتج من هذا أن الغور فقدوا كل قواهم فى بلادهم الخاصة ولو أنهم فتحوا امبراطورية واسعة فى الهند . أورثوها لسلسلة طويلة من خلفائهم الذين لم يكونوا من نسلهم وإنما كانوا من مماليكهم الترك . وكان أقوى حاكم فى عهد استيلاء علاء الدين على غزنة هو السلطان سنجر السلجوقى الذى كان يدعى السيادة على غزنه وبلاد الغور . وقد ابتدأت المتاعب فى أواخر حكمه مع القبائل التركية الشمالية من الغز وال « خطائى » . ففى سنه ٥٣٦ هـ (١١٤١م) هزمه الخطائيون وهدده الغز . ويظهر أن هذه الحوادث شجعت علاء الدين جهانسوز على خلع نير السلاجقة . فاختار لجيشه عدداً كبيراً من الترك والغز والخلج وسار نحو وادى « هرى روذ » حيث لاقى سنجر وتخلى عنه حلفاؤه الغلاظ وكان هذا سبباً لانتصار سنجر الذى أسر علاء الدين وقيده بقيد من ذهب كان قد أحضره ليقيد سنجر به . ومع هذا فقد نال الحظوة لدى سنجر فى زمن قصير واستعاد بلاد الغور . وبعد سنة من هذا الحادث وقع سنجر نفسه فى يد الغز الذين أسروه . ونهبت خراسان بطريقة وحشية ، وكان هذا بمثابة مقدمة لما سيحدث فى أيام جنكيزخان الذى ولد بعد هزيمة سنجر بسنة وظل الملك أربعة أعوام فى السجن وتوفى سنه ٥٥٢هـ (١١٥٧ م) وبادت دولة السلاجقة العظام بوفاته ،وأصبح للغز سلطان عظيم على الحدود الشمالية لبلاد الغور . ثم إن علاء الدين كان قد بسط ممتلكاته حتى خراسان الشرقية ووادى مرغاب . ومات بهراة سنه ٥٥١ هـ (١١٥٦م) ، وانهزم سيف الدين محمد الذى خلفه ، وقتله غز بلخ سنه ٥٥٨ هـ (١١٦٢ م) ، ولكن خلفه غياث الدين بن سام هزمهم هزيمة منكرة فى السنة نفسها . وفى أثناء هذه الحوادث استولى الغز على غزنة بعد موت بهرام شاه ، وظلوا فيها نحو اثنتى عشرة سنة الى أن طردهم منها الملك الغورى وأخوه المشهور معز الدين

محمد بن سام (المذكور غالبا باسم شهاب الدين وهو اسمه القديم) . وهدأت غارات الهمج إلى حين ، وأصبح معز الدين حاكم غزنة تحت سيادة أخيه الذى كان يحكم الغور . وسرعان ما شرع فى تنظيم حملات على الهند ضد الهندوس وقرامطة « ملتان » ، وضد البقية الباقية من الدولة الغزنوية . وزج آخر ملوكهم خسرو ملك فى السجن واستولى على ممتلكاته سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) . فصار بهذا مالكا للپنجاب التى باتت قاعدة لغاراته على الهند فيما بعد . وكان غياث الدين نفسه مشغولا بممتلكاته التى على الحدود الغربية ، فاحتفظ بسيادته على سجستان التى ظل الملوك فيها عمالا أيام الغزنويين والسلاجقة والغور . واعترف تاج الدين حرب بسيادته ولكنه ظل يضرب السكة باسمه هو . وفى سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥م) احتل غياث الدين مدينة هراة ؛ وهجم سلطان شاه اخو تكش شاه خوارزم على ممتلكاته الشمالية سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) . وانضم معز الدين إلى أخيه حاكم غزنة وهزما سلطان شاه عند نهر مرغاب ولكن لم يعدلا عن خطة الفتح . واستطاع غياث الدين ومعز الدين أن يحتفظا بممتلكاتهما طوال حياتهما . ثم مات غياث الدين عام ٥٩٨ هـ (١٢٠١ م) وخلفه أخوه ولكن واحدا من المتعصبين اغتاله فى « دميك » بين نهرى السند وجهلم عام ٦٠٢ هـ (١٢٠٥ م) بينما كان راجعا من حرب الـ « كهكهر » ، بالقرب من لاهور . وكان قد بن عمه علاء الدين على الغور فحرم بذلك غياث الدين محمد ابن الملك المتوفى غياث الدين محمد بن سام . فلما مات معز الدين استرد غياث الدين ملكه . وفى سنة ٦٠٧ هـ (١٢١٠ — ١٢١١ م) اغتاله بعض الاسرى الذين سجنهم فى حصنه المسمى فيروزكوه نزولا على إرادة خوارزمشاه . ولم يستطع غياث الدين الثبات فى غزنة وكانت هذه المدينة قد وقعت فى أيدى قواد الترك وهم من مماليك معز الدين ابن محمد بن سام الذى توفى دون أن يعقب ولدا . وكان أعظم هؤلاء القواد شأناً تاج الدين يلدز وقطب الدين ايبك وناصر الدين كباچه وشمس الدين ايلتتمش . فأما يلدز فكان أكثرهم حظوة لدى الملك المتوفى فاستولى على غزنة وظل بها تسعة أعوام كان ينقش فيها اسم الملك المتوفى على سكته مظهرا خضوعه له ويسمى نفسه « عبده » . وأما قطب الدين فقد وجه همه إلى الهند ، ولم يمنعه هذا من الاستيلاء على غزنة التى بقى فيها أربعين يوما . وأنشا كباچه لنفسه دولة فى السند وملتان ، ونافس يلدز فى ملك الپنجاب ، ثم خضع لايلتتمش الذى أقام دولة فى الهند .

وكان يلدز ملكا قوياً ، صد الغارات التى هددت ملكه مدة من الزمن وبسط سلطانه على بلاد الغور وهراة ثم أغار على سجستان وانتهت هذه الغارة بالصلح بينه وبين تاج الدين حرب الذى احتفظ بملكها .ولكن العداوة بين يلدز وايلتتمش

زعزعت أركان الدولة فقد وقعت بينهما معركة فى « تِرَاوُرِى » قرب كرنال عام ٦١٢ هـ (١٢١٥م) هزم فيها يلدز وقتل ، أما يلتتمش فبالرغم من قوته فى الهند فانه لم يكن له سلطان على غزنة ولم يستطع الاحتفاظ بها . وكان ملوك الغور قد انحلت قواهم ولم يبق منهم من يستطيع صد الفاتح الخوارزمى علاء الدين محمد بن تكش فاستولى على مدينة غزنة دون عناء عام ٦١٢ هـ (١٢١٥م) وعلى ولايتى الغور وغزنة ، وجعل ابنه جلال الدين منكوبرتى سلطانا على تلك البلاد واتجه نحو الشمال ليلاقى عدوا أشد منه بأساً وهو جنكيزخان الذى لم يقهره أحد . وهزم علاء الدين ثم قتل عام ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) وعندئذ قام جلال الدين يقاتل طلائع المغل ويبلى فى قتالهم بلاء حسنا ولكنه لم يستطع صدهم فاضاع ملكه فى خوارزم واتخذ من غزنة قاعدة لنضاله وأيده ملوك الغور فهزم المغل فى فروان إلا أنه اضطر إلى التقهقر أمام جنكيز خان الذى اجتاز هندوكش عند باميان . وانسحب إلى السند غير أنه هزم عند « نيلاب » هزيمة منكرة فدفع بجواده إلى النهر وعبره ولم يتبعه جنكيزخان فى فراره . أما مغامراته الاخرى فلا تتصل بتاريخ أفغانستان . وأصبح غزاة المغل « الكفار الفجرة » يسيطرون على البلاد سيطرة تامة . فاستولى تولى ابن جنكيزخان على هراة عام ٦١٩ هـ ، (١٢٢٢ م) ، وأعمل الذبح فى أهلها المسلمين . وسقطت سجستان أيضا فى يده وقضى على الأسرة المالكة المستقلة فيهـــا . واستولى كتاى على غزنة بعد هزيمة جلال الدين عند نهر السند ، وعاد جنكيز أدراجه الى التركستان متخذا طريق باميان . وتوغل أكتاى فى بلاد الغور واتخذ منها قاعدة لغاراته فسيطر على جبال فيروزكوه وغرشستان وسهول كرمسير وسجستان . ولم يقو آخر ملوك الغور على صد ذلك السيل الجارف . وتخربت فيروزكوه عام ٦١٩ هـ (١٢٢٢ م) الى حد أننا لا نستطيع الآن أن نحدد مكانها .

وقد قاومت « تولك » وهى قلعة على الجبل مقاومة شديدة الا أنها سرعان ما سقطت . وربما كان استعمار المغل لتلال الهزاره قد حدث فى ذلك الوقت . نستدل على ذلك من هجرة أهل تولك الى سجستان . وقاومت قلاع أخرى فى الجبال مقاومة عنيفة غير أن شدة مقاومتها كانت قاضية عليها . وكان زعيم بلاد الغور الأمير محمد الغرشستانى ، وهو من نسل ملوك الغور من جهة أمه . وقتل فى حصن أشير إبان حصار المغل له عام ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م) . ومؤسسو أسرة الكرت من نسل هذا الأمير . وضم الجزء الأكبر من أفغانستان الى دولة المغل . أما شرقها فكان نحكم فيه مدينة باميان وغزنة وبلاد الغور مدة من الزمن زعيم تركى هو سيف الدين حسن قرلغ . وربما كان حليفا لجلال الدين منكوبرتى . ولا بد أن يكون

هذا الزعيم قد حكم ابتداء من سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥م) ، يدلنا على ذلك عملة ضربها باسم الخليفة الظاهر ، واستمر فى حكمه الى عام ٦٣٣ هـ (١٢٣٨م) ، عندما خضع إلى أكتاى وقبل ممثلا له . وبالرغم من ذلك فقد طرد إلى الهند بطريق وادى كورم . وحكم السند هو وابنه ناصر الدين عشرين عاماً .

واتخذ المغل من غزنة وكورم قاعدة لغاراتهم بعد ذلك على الهند . ولسنا نجد ذكراً للأفغان عند الكلام على هذه الحوادث وربما كان ذلك لأنهم لم يصلوا فى انتشارهم إلى شمال وادى كورم .

وبعد وفاة أكتاى انقسمت دولة المغل ووقعت أفغانستان من نصيب الايلخانية الفرس من نسل « تولى » ، وقامت فى ظلهم اسرة تاجيكية اسمها «الكُرت» أو «الكِرت» وحكمت جزءاً كبيراً من البلاد نحو قرنين . كان مؤسس هذه الأسرة ركن الدين محمد المرغانى الذى رضى عنه جنكيزخان فترك له ملك هراة . وقد اشترك ابنه شمس الدين مع منكوخان فى بعض غزواته ، وثبت فى ملكه لغرشستان والغور وفره وسجستان . وخضع لهولاكو عام ٦٥٤ هـ (١٢٥٦م) ثم شغل بعد ذلك فى الحروب بسجستان ولم تكن تلك الحروب ضد الأفغان كما قال هوورث Howorth بل ضد أهل البلاد من التاجيك . ويقال إنه استولى على قلعة بجزيرة فى بحيرة تعرف باسم « بَكَرْ » . ويقول رافرتى إن هذا الحصن كان فى سجستان ، وربما كانت أطلاله هى الأطلال الموجودة فى « كخهه » بجزيرة « شهر خواجه » الواقعة فى بحيرة هامون . على أنه يظهر أن اسم « بكر » لم يستعمل فى سجستان قط. ويقول هوورث إن هذه القلعة فى بحيرة «آبستاده» وهذا القول بعيد الاحتمال . وربما كان اسم بكر قد نشأ عن التباس هذا الاسم باسم « بهكهر » وهو حصن قائم على جزيرة بنهر السند .

ويحتمل أن سجستان وكانت تسمى أيضاً نيمروز كانت حاضرة ولاية شمس الدين لأننا نجد نيمروز فى عهد أباقا مذكورة بين الولايات الواقعة على حدود الدولة الايلخانية ، تلك الولايات التى ظل يحكمها أمراؤها. ويلوح أن رقعة ولاية شمس الدين كانت متسعة تشمل هراة وبلاد الغور والدواروزابلستان . ولما كان شمس الدين غوريا صميما فقد جعل حاضرة ملكه فى خيسار بالجبال شرقى هراة . وفى الحرب التى شبت بين براق وأباقا انضم شمس الدين أول الأمر إلى براق ، فلما انتصر أباقا فى هراة أذله ثم أمره بمغادرة معقله وأن يعسكر فى هراة عام (٦٧٣ هـ = ١٢٧٥م) . ودعى بعد ذلك بقليل إلى العراق ودس له السم هناك عام ٦٧٦ هـ (١٢٧٨م) .

ويروى خوندمير أن ابنه الذى خلفه ويدعى شمس الدين الثانى حاصر قندهار . وإذا صح هذا الخبر ، ولم يكن خاصا بعاصمة أخرى أقدم منها مثل « بُست » أو « كرشك » فان هذا يكون أول ذكر لقندهار . ونسج

هذا الأمير على منوال أبيه فانسحب الى خيسار وترك هراة لابنه علاء الدين ثم لابنه الآخر فخر الدين وظل هو فى خيسار الى أن توفى عام ٧٠٥ هـ (١٣٠٥ م).

وبقيت هراة فى حوزة فخر الدين عدة سنين نشبت خلالها كثير من الفتن والقلاقل بين قواد المغل وحاصرها أثناء هذه المدة المغل الجغتائية بقيادة نكودار. وأنشأ بها كثيراً من الحصون والمبانى العامة. وغضب عليه بعد ذلك ألجيتو الايلخانى فاعتصم بالجبال وأرسل الأمير دانشمند ليحارب هراة فسمح له عامل فخر الدين بدخول القلعة ثم غدر به وبأتباعه وقتلهم غيلة. وحزن فخر الدين لذلك حزنا عظيما ولكنه ظل فى الجبال الى أن توفى عام ٧٠٦ هـ (١٣٠٧ م) بعد موت أبيه بقليل. وخلفه ابنه غياث الدين. وسرعان ما سقطت هراة فى يد المغل. وذهب غياث الدين عندئذ الى بلاط ألجيتو يسأله أن يوليه على هراة فزج به فى السجن ولكن ما لبث أن أطلق سراحه وولى عليها. وفى أواخر أيامه صحب يساول الى ما وراء النهر وحارب معه يساور الذى اغار على خراسان عام ٧١٧ هـ (١٣١٧م). وفى هذه الحروب تمكن من توطيد مركزه على حساب الايلخانية الذين كانوا آخذين فى الاضمحلال.

ولما تولى أبو سعيد نال الحظوة عنده لنجاحه فى صد غارة أخرى شنها يساور عام ٧١٩ هـ (١٣١٩ م). وبنى كثيراً من المبانى الجميلة التى زينت هراة.

وزادت هزيمة يساور والقضاء عليه فى قوة الكرت. فاستطاع غياث الدين أن يحج الى بيت الله عام ٧٢٦ هـ (١٣٢٥ م) بعد أن وطد سلطانه وفتح حصن «تولك» المشهور القائم على جبل. وتوفى بعيد رجوعه من الحج عام ٧٢٩ هـ (١٣٣٢ م).

وخلفه فى الحكم اثنان من أبنائه حكما مدة قصيرة ثم تولاه بعدهما ابنه الثالث معز الدين عام ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) وظل فى الحكم مدة ثمانية وثلاثين عاما. وكان معز الدين ملكا قويا. كاد أن يفلح فى استرداد استقلاله عند ما انحلت الدولة بعد وفاة أبى سعيد. لولا أن حالت غارة تيمور بينه وبين تحقيق أمنيته. وليس هنالك من شك فى أن مركزه كأمير تاجيكى قد أوقد نار الحسد لدى زعماء المغل فتآمروا عليه بزعامة كزغان أمير ما وراء النهر وطرد إلى هراة ولكنه وفق فى الدفاع عنها وارتد كزغان بعد أن عقد معاهدة قضت بتنضيع معز الدين له فى ممتلكاته الخاصة. وبر معز الدين بوعده فأعانه كزغان على أعدائه فى الداخل.

وخدم تيمور فى شبابه كزغان ضد معز الدين، وكتب فى مذكراته أنه فى ذلك الوقت كان معتزما تملك خراسان. ومات معز الدين عام ٧٧١ هـ (١٣٧٠ م) بينما كان يفاوض تيمورا فى الصلح، وأبى ابنه غياث الدين پير على الاعتراف بسيادة تيمور

فحاصر تيمور هراة عام ٧٨٢ هـ (١٣٨٠ م) وخضع الأمير الكرتى، وأحسن تيمور معاملته وأبقى على هراة بعد أن هدم حصونها ونهب أموالها. وبعد ثلاثة أعوام شبت فتنة بين عساكر الغور بزعامة فريق من أسرة الكرت، وأعملوا القتل فى الحامية. فعاد تيمور إلى المدينة ودمرها وذبح أهلها، وقتل غياث الدين فى هذه الفتنة وانتهت بموته أسرة الكرت. وكانت هذه الأسرة رمز شجاعة تاجيك الغور وهراة وحضارتهم وقد تمثل فيها الكفاح فى سبيل استقلال بلادهم. ومنذ ذلك الوقت إلى أن وصل الأفغان إلى الحكم فى القرن الثامن عشر لم تقم قائمة لأسرة من أهل البلاد بل ظل يحكمها الأجانب.

ودمرت غزوة تيمور مدينة سجستان تدميراً تاما وقضت عليها إلى حد أنها لم تستعد قط ما كانت تستمتع به من ازدهار ورخاء. وأهملت شئون الرى فباتت المدينة قفرا بلقعا ولا تزال أطلال «سروتار» و «زرنج» و «تركان» و «رمرود» باقية إلى الآن تشهد بما كان لهذه المدينة من عظمة. وأخذت كابل وقندهار فى الازدهار ولكن سرعان ما خضعتا لتيمور وأصبحت المملكة بأسرها جزءا من دولته وفى عام ٨٠٠ هـ (١٣٩٧ م) اتجه تيمور نحو الشرق، وولى حفيده پير محمد على كابل وغزنة وقندهار، وابنه شاهرخ على مملكة خراسان وجعل حاضرتها هراة. وأغار پير محمد على الأفغان الذين كانوا فى جبال سليمان ثم سار بجيوشه إلى الهند. ولما علم تيمور أن ابنه قد صد عند ملتان أسرع لنجدته فعبر هندوكش عند «أندراب» واتجه إلى لغمان ليهاجم قبائل كافر سياه پوش وكتور. ومما هو جدير بالذكر أن جماعة كبيرة من قبائل الكافر لا تزال تسمى باسم «كتير». وربما كان أصل هذا الاسم لقب «كداره» الذى كان يلقب به الكشان المتأخرون. وبعد فراغ تيمور من هذه الحملة أغار ثانية على الأفغان المشاغبين وعبر السند فى المكان الذى عبره فيه جلال الدين منكوبرتى على ظهر جواده. واخترق تيمور «بنو» فى ذهابه إلى الهند وعودته منها، ولعله سلك طريق «توچى» الذى يمر ببلاد الغلزائى والوزيرى. ولم نسمع أنه جند الأفغان فى جيشه ولو أنه قد جند التاجيك.

ولما توفى تيمور عام ٨٠٧ هـ (١٤٠٥ م) كان پير محمد يحكم فى كابل ولكنه كان يمضى وقته فى الفسق والفجور بينما كان خليل يقبض على زمام السلطة. وانتهت الحرب بقتل پير محمد. وسرعان ما خلع خليل عن العرش وأصبح شاهرخ الذى أحسن الحكم فى هراة سيدا مطلقا للبلاد عام ٨١٢ هـ (١٤٠٩ م).

وطال عهده فى الحكم نحو أربعين سنة كانت عهد سلم ورخاء استطاعت البلاد فيها أن تنتعش بعد أن حل بها الخراب. واستفادت هراة فى عهده فانشىء فيها كثير من المبانى الجميلة التى لايزال بعضها قائماً إلى يومنا هذا،

وخلفه ابنه ألغ بك الذى كان عالما حكيما وظل فى الملك ثلاثة أعوام ثم قتله ابنــــه عبداللطيف وخلفه شهورا قلائل . وجاء بعده عبد الله ثم بابر ميرزا وظل فى الحكم عدة سنوات غير أنه كان محدود السلطان ولم يكن سيدامطلقا للبلاد (كوركان) . وفى عام ٨٦١ﻫ (١٤٥٦ م) لقب أبو ســـعيد بهذا اللقب (كوركان) . ولـكن حسين بيقرا كان ينازعه ملك خراسان وأفغانستان . وتغلب أبو سعيد على الأمير عام ٨٧٠ﻫ (١٤٦٥ م) ولـكنه لم يحكم سوى عامين ولم يستطع خلفه السلطان أحمد الاحتفاظ بخراسان . وأصبح حسين بيقرا لاينازعه فى الحكم منازع إذ كان سلطانه يمتد من هراة حاضرته إلى خراسان وسجستان وبلاد الغور والدوار إلى ســـنة ٩١١ ﻫ (١٥٠٦ م) . وبلغت هراة فى عهد شاهرخ الطويل وعهد حسين بيقرا ذروة مجدها فكانت من أهم مراكز الشعر والفلسفة والفن . وفى أواخر عهد السلطان حسين ازدادت قوة الشيبانى وأزابكته وأخذت تقصر من سلطان حسين فى الشمال . وبدأت بعض الولايات فى أفغانستان تميل إلى الانفصـال وإن كان لا يحكمها زعماء من أهلها .

أما بابر الذى طرد من ملكه الوراثى فى فرغانة وما وراء النهر . والذى فتح الهند فيما بعد فقد أخذ يوطد سلطانه فى كابل وتلقب بلقب « پاد شاه » أو « باد شاه » كما ينطقه الأفغان والهنود . وكانت كابل مستقلة إلى حد ما يحكمها أمراء من بيت تيمور ، وكان قد استولى عليها مقيم أرغون عندما باغتها بابر واستولى عليها عام ٩١٠ ﻫ (١٥٠٥ م) .

وظلت هذه المدينة فى يد بابر وخلفائه من ملوك الهند نحو قرنين من الزمان حتى أغار عليها نادر شاه .

وكان وصول الأرغون إلى الحكم شؤما على مملكة خراسان . فقد نصب على بلاد الغور وسجستان ذو النون بك أرغون — وهو من نسل ايلخانية الفرس — لبلائه الحسن فى الحرب . واتسع ملك هذا الأمير بعد أن هزم قبائل الهزارة ونكودرى فأضيفت إلى أملاكه بلاد الدوار وكرمسير وجعل حاضرته قندهار التى أخذت فى النمو والاتساع . ثم استقل بهذه البلاد وبسط سلطانه ناحيـة الجنوب بمساعدة ابنه شاه بك إلى ممر « بولان » وسيوستان وقد عرف ذو النون فى أساطير أهل بلوخستان باسم « زنو قائد جيش الشاه حسين » . وفى عام ٩٠٢ ﻫ (١٤٩٧ م) أيد بديع الزمان فى عصيانه لأبيه حسين وزوّجه من ابنته . فأغار حسين على بلاد الدوار عام ٩٠٤ ﻫ (١٤٩٨ م) ولـكنه أكـره على الارتداد ، وفتح ذوالنون بك نفسه هراة بعد أن جند جيشــه من الغور وأهل الدوار وقندهار الذين يحتمل أنهم كانوا من التاجيك والأفغان .

وزادت هذه الحرب من قوته وبأسه إذ استولى زوج ابنته بديع الزمان على إقليم بلخ

واستولى هو على سجستان ، كما رفع من شأنه نجاح ابنه مقيم فى فتح كابل مدة من الزمان . وتوفى السلطان حسين عام ٩١١ هـ (١٥٠٦م) وبلغ ذو النون بك أوج مجده خلال حكم بديع الزمان الذى لم يطل أمده . ثم قضت عليه غارة الشيبانى إذ هزم وقتل فى أول وقعة حدثت بينه وبين الأزابكة واستولى الشيبانى على هراة عام ٩١٣ هـ (١٥٠٧م) . وأصبح ابناه شاه بك ومقيم ما بين بابر من ناحية والشيبانى من ناحية أخرى . وكان بابر محقا فى قوله بأنه وريث تيمور فى دولته وتقدم بجيوشه نحو قندهار أما أمراء الأرغون فتحالفوا مع الشيبانى خصمه القديم . وهزمهم بابر واستولى على قندهار وولى عليها ابنه ناصر ميرزا الذى ما لبث أن هاجمه الشيبانى . وعلم بابر بموت حسين بينما كان ذاهبا اليه فى هراة ليتفاهم واياه على طريقة صد الأزابكة ، فلحق بأبناء السلطان فى معسكرهم عند نهر مرغاب . وبعد أن زار هراة عاد شتاء إلى كابل عن طريق الجبل ، ولقى هو وجيوشه فى هذه الرحلة مصاعب جمة . كانت عودته سنة ٩١٢ هـ (أوائل ١٥٠٧ م) فى الوقت الذى استطاع فيه أن يحبط مؤامرة خطيرة كان يدبرها بعض أقاربه . ولما جاء الصيف لحق بجيوشه فى قندهار ثم عاد إلى كابل فى جمادى الأولى عام ٩١٣ (سبتمبر ١٥٠٧) ليعد حملة على الهند وبدأها فعلا ولكنه عاد منها لأنه سمع بسقوط قندهار وعودة السلطان إلى الأرغون الذين أيدهم الشيبانى . وعند ما بلغته هذه الأخبار كانت الحرب على أشدها بينه وبين القبائل الأفغانية التى تسمى « جكدلك » و « ننكرهار » والتى استوطنت وادى كابل من عهد قريب . وكان من أشق الأمور عليه أن يحتفظ بكابل التى كان سلطانه فيها مهدداً بالفتن والقلاقل . وكان الشيبانى حينذاك صاحب خراسان وسيد أمراء قندهار ولكن سلطانه كان آخذا فى الزوال . وقد قاسى جيشه الأهوال فى جبال الغور وهدده من ناحية الغرب ملك محارب هو الشاه اسماعيل مؤسس دولة الصفويين فى فارس . وفى عام ٩١٦ هـ (١٥١٠ م) أغار إسماعيل على خراسان وهزم الشيبانى وقتله بالقرب من مرو ، واستولى على هراة وأكره أهلها على اعتناق مذهب الشيعة . وفى هذا الوقت تحالف بابر مع إسماعيل واسترد مدة من الزمن أملاكه التى ورثها فى أواسط آسية وترك مملكة كابل لأخيه ناصر ميرزا . ولم يرض الناس عن تحالف بابر وإسماعيل الصفوى واجتمع شمل الأزابكة . وهزم بابر عام ٩١٨ هـ (١٥١٢م) عند غجدوان بالقرب من بخارى هزيمة منكرة خرج منها بجلده ، ثم اضطر فى النهاية إلى الرجوع إلى كابل التى سادتها القلاقل . وأخذ يقمع الفتن التى شبت بين جنده من المغل وبين القبائل الأفغانية . ونزحت قبائل يوسفزائى من الجبال إلى وادى پشاور وطردوا قبائل دلازاك من جبال « بجوار » و « سوات » فأخضعهم

بابر فى كثير من الشدة والعنف واستولى على بجور بعد مذبحة هائلة . ثم أخذ يقمع فتن الهزاره ، ووجه اهتمامه الى قندهار وكان قد استقر بها شاه بك الأرغونى .

وقد حاول شاه بك عبثاً أن يتفاهم مع الشاه اسماعيل ، وسجن فى هراة لكنه فر من سجنه وبدأ يسعى فى إقامة ملك له بالسند التى فتحها بمساعدة القبائل البلوخية عام ٩١٧ هـ (١٥١١ م) . وحاول بابر أن يفتح قندهار مرتين ولكنه لم ينجح إلا فى المرة الثالثة عام ٩٢٨ هـ (١٥٢٢ م) ، وأخذ شاه بك يعسكر صيفا فى «شال» وشتاء فى « سبى » ثم واصل خططه فى السند بينما كان إقليم قندهار كله فى حوزة بابر وفى ذلك الوقت آنس بابر من نفسه القوة على خوض سلسلة من المشروعات انتهت بالقضاء على مملكة لودى الأفغانية فى الهند ، وكان يفضل دواما كابل على سهول الهند ، ودفن فى غزنة ويشار إلى ضريحه هناك بعامود .

ويمتاز هذا العهد بأربع غارات هامة وقعت على سهول الهند من ناحية الجبال الواقعة فى غربى وادى السند . وقد تمت غارتان من هذه الغارات على يد جيوش يقودها ملوك أقوياء طمحوا فى إقامة ملك لهم مثل بابر الذى أنشأ الدولة المغلية ومثل الأرغون الذين أنشأوا مملكة فى السند لم تدم طويلا . أما الغارتان الآخريان فكانتا عبارة عن هجرة أقوام أى نزوح قبائل بأسرها للبحث عن أراض خصبة تستقر فيها . وأول هاتين الغارتين هجرة قبائل يوسفزائى واللوهانى وغيرها من قبائل الأفغان إلى وديان پشاور وكوهات وبنو والثانية هى هجرة معظم القبائل البلوخية إلى حوض نهر السند ولا يزال أحفادهم منتشرين بكثرة فى شمال السند وجنوب البنجاب .

ومرت أفغانستان بعد ذلك فى عهد أكثر استقرارا فى ظل دولتين عظيمتين تقاسمتاها وهما دولة الهند ودولة الفرس . وظلت هراة وسجستان فى حوزة الفرس ولو أن غارات الأزابكة عكرت صفوها مدة من الزمان . أما كابل فبقيت فى حوزة دولة المغل بينما كانت قندهار تملكها الهند تارة وفارس تارة أخرى .

وأخذت سلطة ملوك المغل تنكمش شيئا فشيئا إلى أن انحصرت فى جنوب هندوكش . وأنشأ سليمان ميرزا عامل بابر على بذخشان فى شمال هندوكش ما يشبه دولة مستقلة بينما ظلت باقى البلاد تحت حكم بنى شيبان .

وتوفى إسماعيل عام ٩٣٠ هـ (١٥٢٤ م) وتوفى بابر عام ٩٣٧ هـ (١٥٣٠ م) وخلفه ابنه همايون . وحكم اخوته كامران وهندال وعسكرى ولايات مختلفة . أما فى فارس فان طهماسب خليفة إسماعيل أقام أخاه سام ميرزا عاملا على هراة . وكان الصفويون يعتبرون قندهار جزءا من مملكة خراسان التى كانت فى حوزتهم فى ذلك الوقت وأن

ملوك المغل قد اغتصبوها منهم ، ففى عام ٩٤٠ هـ (١٥٣٥ م) باغتها سام ميرزا ولكنها نجحت فى صده . وبعد ثمانية أشهر وصل كامران ورفع عنها الحصار . وفى غيبة سام فتح الأزابكة خراسان بقيادة عبيدالله وغزوا هراة ثانية وأعملوا فيها النهب غير أن طهماسب استردها وخلع ساما ثم عقب على قندهار ففتحها ولكنّ كامران استردها منه .

وكان همايون فى ذلك الوقت قد فقد عرشه فى الهند على أثر الفتنة التى قام بها الأفغان السور بزعامة شيرشـــاه . وفى عام ٩٥٠ هـ (١٥٤٣ م) شقّ طريقه من السند خلال الصحراء جنوبى قندهار فوصل إلى سجستان وبلاد الفرس وهناك أكرم الشاه طهماسب وفادته. وفى عام ٩٥٢ هـ (١٥٤٥م) خرج همايون فى جيش فارسى لحاصر قندهار وكان يصده عنها أخوه عسكرى عامل كامران ، ففتحها بعد مقاومة دامت زمنا طويلا . وتنازل عنها إلى الفرس لما بينه وبين طهماسب من صلات غير أن تنازله هذا أثار سخط أتباعه ، فاستعادها من الفرس واعتبرها من أملاكه الخاصة الأمر الذى أغضب طهماسب عليه غضبا شديدا . وبعد قليل استولى همايون على كابل واسترد معها ابنه « أكبر » الذى كان فى الثالثة من عمره إذ ذاك . واستمرت الحرب سجالا بين الأخوين بضع سنوات واستولى كامران مرتين على كابل ولكنها لم تبق فى حوزته طويلا .

ويقال إنه وضع مرة الأمير الصغير « أكبر » فوق سور القلعة ثم مكث بعدذلك مدة من الزمن بين قبائل مهمنـــد وخليل الأفغانيـة يحرضها على سلب وادى كابل . واستسلم آخر الأمر إلى همايون عام ٩٦١ هـ (١٥٥٣ م) فسمل عينيه ، وأصبح همايون حينئذ سيدا لمملكة كابل وقندهار وآنس من نفسه القوة على فتح الهند من جديد وانتصر على ملوك « سور » ولكنه توفى بعد ذلك بقليـــل إثر حادث وقع له عام ٩٦٣ هـ (١٥٥٦ م) . وشغل ابنه أكبر فى اتمام غزو الهند بينما انتهز طهماسب الفرصـــة لحاصر قندهار عام ٩٦٥ هـ (١٥٥٨ م) وظلت فى حوزة الفرس إلى أن ردها الأمير مظفر حسين إلى أكبر بعد ثمانيـة وثلاثين عاما (١٠٠٣ هـ — ١٥٩٤ م) فى السنين الأولى من حكم عباس الأكبر الشاه الفارسى .

ويمكننا أن نجمل تاريخ قندهار بعد ذلك فنقول إن الشاه عباس استعادها فى عهد الملك جهانكير عام ١٠٣١ هـ (١٦٢١ م) ولكنها ضاعت من جديد فى عهد خلفه الشاه صفى الأول إذ سلمها عامله على مردان خان إلى شاه جهان عام ١٠٤٧ هـ (١٦٣٧م) وسقطت كِرشك أيضا بعد حصار، واحتلت بلاد الدوار .

وفى عام ١٠٥٨ هـ (١٦٤٨ م) قاد الملك الشاب عباس الثانى وكان فى السادسة عشرة من عمره جيشا إلى قندهار فاستولى عليها ،

وانتزعها من الدولة المغلية نهائيا . وحاولت جيوش شاه جهان عبثا أن تستعيدها فقد أغار عليها الأميران المتنافسان «أورنك زيب» و «داراشيكوه» ولكنهما أخفقا في الاستيلاء عليها . ولم يحاول أحد غزوها بعد اخفاق « داراشيكوه » عام ١٠٦٢ هـ (١٦٥٢م) .

وإذا استثنينا ماوقع في قندهار من شغب نجد انه لم يبق من تاريخ أفغانستان خلال العهد الذى تقاسمتها فيه الدولة المغليـــة والدولة الصفوية ما هو جدير بالذكر . وقد أخذت القبائل الأفغانية في النمو وازدياد السلطان ومن المحتمل أن تكون قبائل أبدالى وغلزائى قد نزلت في ذلك الوقت من جبالها و انتشرت في قندهار وبلاد الدوار وفي وديان «ترنك» وأرغنداب الخصبة . ثم إن زوال قوة ونفوذ التاجيك الذين تلقوا صدمة غارات المغل ، واحتلال الشعوب نصف المغلية لحصون التاجيك في جبال الغور هيأ للأفغان فرصة النمو والظهور .

ولم يتأثر الأفغان كثيرا في جبالهم الشرقية بالفاتحين الذين كانوا يطمحون الى اجتياز الممرات لسلب الهند كما أن حاجة السكان المطردى الزيادة الى منفذ . وهي التي جعلتهم ينتشرون في سهول الهند شرقا هي بعينها التي حملت قبائل الرعاة على الانتشار غربا واستمرت القبائل الجبلية مستقلة لا تخضع لأى نظام ، وكانت الحكومة المغلية في كابل تحكم بالاسم فقط ، واقتصر حكمها الفعلى على الوديان المنبسطة ، مثال ذلك ما حدث عام ٩٩٤ هـ (١٦٨٦م) إذ منى جيش أكبر بهزيمة منكرة على يد يوسفزائى سوات وبجوار ، وقتل القائد راجابيربل ثم بعد ذلك هزم راجامان سنغ أهل الجبال . ولكن شوكتهم لم تكسر في الواقع . إذ كانوا كثيرا ما يغيرون على السهول كما كانوا يشتركون أحيانا في المنازعات التى تحدث بين الأسرة من أجل الحكم كما حدث ذلك عند ما أنضمت قبائل اليوسفزائى الى الأمير شجاع المطالب بالعرش في نضاله مع أورنك زيب . وعندما كان شاه عالم الأول قبل جلوسه على العرش عامل أورنك زيب على كابل ، قتل أحد قواده الأفغان وهو پردل خان عام ١١١٤ هـ (١٧٠٢م) وجميع جنده أثناء محاولته المرور من خوست الى كابل مما اضطر أورنك زيب الى أن يرشو القبائل ليظل الطريق مفتوحا بين كابل وبشاور

وقد بذر تقلب الحكمين الهندى والفارسى على ولاية قندهار بذور الفرقة والدس ومكن القبائل القوية من أن يحارب بعضها بعضاً ، فنجح الأبدالى بالقرب من قندهار في الحصول على امتيازات من الشاه عباس الأكبر واعترف بزعامة سدو . وأصبح نسله السدوزائى هم الأسرة الحاكمة غير أن سوء مسلكهم أدى إلى إجلاء جزء من القبيلة إلى اقليم هراة ، ونتج عن هذا انتشـــار نفوذ قبيلة الغلزائى بالقرب من قندهار التى ظل سلطـــانها يزداد إلى ان تولى الشاه عالم الأول فبدأ

غلزائى إقليم قندهار يكيدون معه للحكم الفارسى غير أن كيدهم افتضح فأنفذ الزعيم الكرجى كركين خان الى قندهار على رأس جيش ، وأسر ميرويس الزعيم الغلزائى . ومع ذلك فقد تمكن ميرويس أثناء سجنه من أن يحوز ثقة ملك الفرس الشاه حسين . فسمح له بالعودة الى قبيلته ، وسرعان ماغدر بكركين خان بأن دعاه إلى مأدبة قتله فيها ثم استولى على قندهار ، وفشلت كل المحاولات التى رمت إلى إخضاعه ، وتوفى بعد ذلك بقليل ،وخلفه أخوه عبد العزيز إلا أنه أظهر ميلا الى الحكم الفـــارسى فقتله محمود بن ميرويس وأقام نفسه أميراً . وفى الوقت نفسه أصبح الفريق الذى يقطن هراة من الأبدالى سيداً لها فى الواقع وهزم هؤلاء الأبدالى الجيش الذى وجه اليهم بقيـادة صفى قلى خان ، وظلوا متماسكين الى عهد نادر شاه بل إنهم انتزعوا فره من الغلزائى بعد أن غزا هؤلاء فارس . على أن الغلزائى كانوا أقوى القبائل فى ذلك العهد وأحس محمود ضعف الأسرة الصفوية فاجترأ على فتح فارس بأن سار عن طريق سجستان وكرمان وهزمه لطف على خان فارتد الى قندهار . وكان الأبدالى فى الوقت نفسه قد انتشروا فى خراسان وحاصروا امشهد، وأسرع محمود الى تدعيم قوته بالتحالف مع جماعة كبيرة من البلوخ وعاود الهجوم ، وفى هذه المرة استرد كرمان وترك يزد وواصل سيره الى إصفهان ؛ وحاول الشاه حسين ارشاءه ولـكن بلا جدوى : وبعد انتصار لم يكن فى الحسبان استولى على إصفهان ؛ ساعده على ذلك حمق ولاتها وجبنهم ، وعندئذ تنازل حسين عن العرش وتوج بيده محموداً ، وهكذا أصبح الزعيم الغلزائى شاه الفرس . ويعتبر حكم محمود وخلفه أشرف جزءاً من تاريخ فارس ، ولم يكونا بحال من الأحوال كفؤا لحكم مملكة كبلاد فارس ، ولم تكن تسندهم قوة كافية للوقوف فى وجه كل حركة قومية صادقة ، وأحجم أهل اقليم قندهار عن تأييد هـذه الاسرة عندما خلف الأشرف ابن عمه محمود الذى تمكن أخوه من الاحتفاظ بقندهار كما ظل الأبدالى مستقلين فى هراة . وعلى ذلك فعندما تزعم نادر قلى خان الحركة القومية تداعت أمامه سريعاً حكومة الأشرف مع أنه كان تركياً أفشاريا ســنى المذهب ولم يبق من الغلزائى إلا نفر عاشوا فى موطنهم الأصلى. وقتل الأشرف أثناء تنقله فى بلوخستان عام ١١٤٢ ﻫ (١٧٢٩م) . ثم وجه نادر همه إلى محاربة الأبدالى الذين كان يتزعمهم ملك محمود خان وكانت مشهد فى يده عام ١١٤٢ ﻫ (١٧٢٨ م) وهزمهم هزيمة منكرة وأسر منهم عددا كبيرا ، ولـكنه قدر مواهبهم الحربية ، وضمن عونهم بأن ردهم الى موطنهم الأصـــلى بالقرب من قندهار حيث أجلى الغلزائى عندما سنحت له الفرصة . ونفاهم إلى إقليم هراة غير أنه لم يستقر بها منهم إلا عدد قليل . ولا وجود لأحدهم فى وقتنا هذا ،

وما إن نصب نادر شاه نفسه ملكا على فارس حتى حاصر قندهار التى قاومته سنة ثم سقطت آخر الأمر . وفى حصاره لها بنى خارج أسوارها القديمة مدينـــة جديدة أسماها « نادر آباد » وهكذا انحلت سلطة الغلزائى، ولكنه اتخذ مع القبائل الأفغانيـــة عامة ، والأبدالى خاصة سـياسة التقرب وضم الكثيرين منهم الى جيشه . والتجأ جانب كبير من الغلزائى إلى إقليم كابل فى الدولة الهندية ولمـــا لم يجد تحذيره لهم اتجه نحو كابل فسقطت فى يده ، وبذلك فصلت نهائياً عن الدولة المغلية.وآخر تاريخ معروف لأى عملة ضربها الامبراطور محمد شاه هناك هو عام ١١٣٨ هـ (١٧٢٥ م) . ويظهر أن نادر شاه لم يستعمل سكة كابل بل ضرب السكة باسمه فى قندهار عام ١١٥٠ هـ (١٧٣٧م) وهو عام انتصاره . كما أن سكة أخرى ضربت فى نادر آباد تشـــير من غير شك إلى فترة حصاره لقندهار وبذلك أصبحت أفغانستان بأسرها فى قبضته وأصبحت قاعدته التى اعتمد عليها فى غزو الهند عام ١١٥٢ هـ (١٧٣٩ م) وبانتصاره على محمود شاه آلت اليـــه جميع الأراضى المغلية الواقعة غربى نهر السند بما فيها پشاور وديره جات وأصبحت له السيادة على الـ « كلهورا » أو الأمراء العباسية فى السند والسيطرة على إقليم كابل . ولمـــا عاد من دهلى عام ١١٥٢ هـ (١٧٤٠م) عبر السند عند أتك وهاجم اليوسفزائى الذين كانوا مصدر عناء لدولته . وبعد ذلك سار الى كابل ومنها انحدر عن طريق وادى كورم وإقليم بنكش مخترقاً ديره جات الى السند . وعبر ممر بولان وسار إلى قندهار ثم قفل راجعاً إلى هراة وظل بقيـــة حياته يعتمد كثيراً على فرقه الأفغانية ، فى حين أنه لم يكن يعتمد كثيراً على جنوده الفارسية التى كان يكرهها لأنه كان سنى المذهب . وكان للأبدالى بنوع خاص الحظوة عنده وارتقى زعيمهم أحمد خان إلى مرتبة سامية فى جيشه . وتقول الروايات إن نادر شاه تنبأ بأن أحمد شاه سيصبح ملكا بعده . ولما اغتال الفرس والقزلباش نادر شاه كان أحمد شاه فى فرقة قوية من الأبدالى على مقربة من مكان الحادث . فاغتصب قافلة محملة بالأموال ثم سار إلى قندهار ونادى بنفسه ملكا ، واستولى على الجانب الشرقى من دولة نادر شاه الممتد إلى نهر الســـند وسرعان ما سقطت هراة فى يده ، وفى هذه الفترة التى تقوضت فيها دعائم الدولة الفارسية أقام أحمد شاه نفسه حامياً لشاهرخ حفيد نادر شاه، وكان أعداؤه قد سملوا عينيه،وترك له إمارة خراسان . وكانت هذه الامارة فى الواقع جزءاً من أملاك أحمد شاه وابنه تيمور شاه اللذين ضربا السكة من حين إلى حين باسميهما فى مشهد . وكان شاهرخ يحكمها حكما اسمياً فقط حتى قبض عليه وقتله أغا محمد قاجار بعد وفاة تيمور شاه . واعتبرت هراة جزءاً متمماً للملك الدرانى فى حـــين ظلت مملكة

خراسان القديمة مقسمة بين فارس وافغانستان ويطلق اسم خراسان اليوم فى اللغة العامية للدلالة على ولاية قندهار وعلى الهضبة الواقعة غرب وادى السند.

وجعل أحمد شاه قندهار حاضرة لملكه وسماها « أحمد شاهى » وهو الاسم الذى نقشه هو وخلفاؤه على سكتهم، واتخذ لنفسه لقب « دردران » وأصبحت قبيلته وهى قبيلة أبدالى تعرف منذ ذلك اليوم باسم درانى. وكانت أسرته قد اكتسبت مكانا كبيراً منذ زمن بعيد فاستطاع بفضل هذا وبفضل ما كان له من لباقة وعزم أن يوطد سلطانه، وأحسن معاملة القبائل واعتمد فى تدبير دخله على ما يجليه من الحروب الخارجية أكثر من اعتماده على فرض الضرائب. وكانت قبيلة درانى تفخر به كل الفخر وتتبعه عن رضى. ولكن هذه القبيلة لم تكن سهلة القياد ولذلك نقل ابنه تيمور شاه حاضرته إلى كابل لأن معظم سكانها من التاجيك. وفتوحات أحمد شاه فى الهند بزت فتوحات نادر شاه فقد بسط سلطانه إلى ما وراء السند وضم إلى ممتلكاته ولايات كشمير ولاهور وملتان وهى الجزء الأكبر من البنجاب. وبسط سلطانه على قبائل « داود پترا » التى كانت تقيم فى « بهاولپور ». وأغار أحمد شاه على الهند عدة مرات واحتل دهلى (دلى) وهزم المرهته فى « پانيپت » عام ١١٧٤ هـ (١٧٦١ م) وحولت هذه الهزيمة مجرى التاريخ فى الهند، ولكنه لم يخضع أى ولاية فى ما وراء البنجاب. وكانت حروبه متصلة مع السيخ وانتهت بفقد ولاية البنجاب. وفى سنة ١١٧٢ هـ (١٧٥٨م) أعلن خان كلات وبرهوى ناصر خان استقلالهما وكان ناصر خان من الأمراء الذين أقطعهم نادر شاه فحاصر أحمد شاه كلات غير أنه لم يفلح فى الاستيلاء عليها، واستدعى إلى الهند فقنع بخضوعها له خضوعا اسميا بحتاً. ومع هذا فقد عاون ناصر خان أحمد شاه فى حروبه بخراسان، وكان له فضل عظيم فى انتصاره على كريم خان زند عام ١١٨٢ هـ (١٧٦٨ م) وفى هـــذه الحرب انضم الأمير الأفشارى الضرير إلى كريم خان وأنزله فى مدينة مشهد فحاصرها أحمد شاه واستولى عليها.

وتوفى أحمد شاه بمرغاب على مقربة من تلال قندهار عام ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) وترك لخلفه دولة واسعة الأرجاء مزعزعة الأركان.

وفى النصف الأول من القرن الثامن عشر تداعت دولة المغل وحدثت غارات نادر شاه ثم أعقبتها غارات أحمد شاه فحفز كل ذلك الأفغان على الاستقرار فى وادى الكنج من جديد، وقوى ساطان بعض المغامرين أمثال « روهيله » وحافظ و « رحمت خان » وأمراء (نواب) بنكش فى فرّخ آباد.

وتولى تيمور شاه فى حياة أبيه مناصب ذات خطر مثل نظام لاهور وملتان وهو منصب تشير إليه مسكوكات متباينة. ولما

توفى أحمد شاه كان تيمور فى هراة ولم يستطع الاستيلاء على قندهار إلا بعد أن قبض على أخيه سليمان الذى كان ينافسه فى الملك وقتله. ثم نقل حاضرته إلى كابل وحكم عشرين عاماً خلت من الحوادث الهامة ، إلا أن الدولة أخذت أثنــاء هذا العهد تفقد من قوتها واستقرارها وإن كانت أطرافها لم تنقص . وتزعزعت سلطة الحكومة المركزية على الولايات الخارجية . وقوى سلطان السيخ فاستولوا على ملتان عام ١١٩٦ ﻫ (١٧٨١ م) ولكن تيمور شاه استعادها فى العام نفسه . وكان بالسند جماعة من المقطعين يسمون كلهورا انتزع منهم السلطان أمراء بلوخ من قبيلة « تالبر » أو « تالپر » .

وشن هؤلاء الأمراء الحرب على جيوش تيمور شاه من سنة ١١٩٧ ﻫ إلى ١٢٠١ (١٧٨٢—١٧٨٦ م) وظلوا مستقلين بالرغم من خضوعهم له بالاسم . وحارب تيمور شاه كذلك أمير بخارى معصوم المنغيتى الذى كان قد اعتدى على التركستان وخاصة مرو . فخضع لتيمور بالاسم وإن كان قد احتفظ بالبلاد التى فتحها . وشبت الفتنة فى كشمير ثم أخمدت وأخذت قوة عشيرة باركزائى ، وهى من الدرانى ، تزداد شيئاً فشيئاً وتوفى تيمور شاه عام ١٢٠٧ ﻫ (١٧٩٣ م) وخلفه ابنه زمان شاه الذى ظل فى الملك إلى أن خلعه أخوه محمود شاه عام ١٢١٥ ﻫ (١٨٠٠ م) . وكان عهد زمان شاه قصيراً إلا أنه تميز بالخرق والجرائم التى كفلت القضاء على الأسرة الدرانية .

كانت المنافسة بينــه وبين أخويه محمود وشجاع الملك فى الداخل تشل من سلطانه وكان القاجار يهددون ملكه فى خراسان، ويهدده الشاه مراد المنغيتى فى الشمال ويتحداه فى الجنوب خان كلات وأمراء السند ومع هذا فقد استنفد جهده فى محاولات خرقاء أراد بها منافسة أحمد شاه فى فتوحاته للهند والظهور بمظهر المدافع عن الاسلام ضد السيخ والمرهته . وأدى عمله هذا إلى الاصطدام بالانجليز الذين كانوا قد أصبحوا أصحاب السلطان فى شمال الهند . وفى عام ١٢٠٩ ﻫ (١٧٩٥ م) أوقف حملته الأولى عند « حسن أبدال » لأنه علم أن أغا محمد قاجار استولى على مشهد وقتل شاهرخ الشيخ الضرير. وعاد الصفاء بينه وبين الفرس بعد وصول رسل الشاه الفارسى فأغار ثانية على الهند غير أن انتفاض محمود فى هراة عرقل هذه الحملة . وما إن أخمد هذه الفتنة حتى استولى على البنجاب . ووصل فى هذه المرة إلى لاهور وخضع له السيخ بزعامة « رنجيت سنغ » خضوعاً اسمياً . ولكن اعتداء القاجار على خراسان من جديد اضطره إلى العودة .

كان محمود فى ذلك الوقت يتنقل فى البلاد ويتآمر على أخيه مع الساخطين فى هراة وقندهار ، ومنهم زعيم عشيرة « باركزائى » القوى « پايندہ خان » الملقب بـ « سرفراز خان »

الذى انضم إليه غيرة من الوزير «وفاء دار خان» لاستئثاره بالسلطان . واكتشفت المؤامرة فقتل « پاينده خان » وفر ابنه « فتح خان » إلى محمود فى خراسان وحبب إليه الأخذ بناصر قبيلة درانى التى كانت تكره زمان شاه ، لأن أمه كانت من قبيلة يوسفزائى ، أما محمود فكانت أمه من عشيرة « فوفلزائى » إحدى عشائر قبيلة درانى . وبررت الحوادث صدق نصيحة فتح خان إذ استولى محمود على قندهار بينما كان زمان شاه مفتوناً بحب الفتح ، يجهز حملة على الهند . وسار محمود إلى كابل فقر زمان ولكن سرعان ما قبض عليه وسمل عينيه عام ١٢١٥ ﻫ (١٨٠٠ م) . وبينما كان محمود يرقى عرش كابل كان شجاع الملك ينادى بنفسه ملكا على پشاور ، وقد ساعده على ذلك انتقاض الغلزائى على محمود . وفى عام ١٢١٨ ﻫ (١٨٠٣ م) استولى على كابل وسجن محموداً ثم أطلق سراح شقيقه زمان شاه الضرير . واستولى كامران بن محمود على قندهار مدة من الزمن ، ساعده على ذلك فتح خان الذى تعاقد فيما بعد مع شجاع وخضع له . غير أنه لم يرض بنصيبه وأراد إقامة منافس جديد للملك فنصب قيصر شاه بن زمان . وجاءت بعد ذلك سنوات سادت فيها الدسائس وتقلب فيها فتح خان فى نصرته للطامعين فى الملك ، تارة ينضم إلى محمود وكامران وتارة إلى قيصر ، بينما كان شجاع الملك يستنفد قوته فى إنفاذ الحملة تلو الأخرى على السند وكشمير . وفى عام ١٢٢٢ ﻫ (١٨٠٩ م) هزم فتح خان ، وهو يعمل لمحمود ، شجاع الملك عند « نيمله » ففر إلى الهند وعاد محمود إلى الحكم مرة أخرى . وكان يعتمد كل الاعتماد على فتح خان الذى عظم سلطانه . وقد أسند منصباً خطيراً إلى أخيه « دوست محمد » وجعل أخاه « محمد أعظم » والياً على كشمير وأخاه « كوهندل» عاملا على قندهار.

وفى عام ١٢٣٢ ﻫ (١٨١٦ م) أعاد فتح خان ودوست محمد فتح هراة التى كان قد استقل بها أحد الأمراء . وبعد زمن قصير نفذ دوست محمد إلى حريم كامران الذى كان عاملا إذ ذاك واهان أخته فاستفز بذلك غضب كامران عليه وهرب إلى كشمير . وانتقم كامران من فتح خان بأن سمل عينيه ثم قتله بعد ذلك برضى محمود . وكان الأفغان يحبون فتح خان بالرغم من غدره وسوء خلقه ، فلم يجد أخوه دوست محمد صعوبة ما فى تجهيز جيش عظيم هزم به محمودا بالقرب من كابل عام ١٢٣٥ ﻫ (١٨١٨م) . ولم يستعد محمود كابل بعد ذلك قط . لكن هراة بقيت فى حوزته إلى أن مات عام ١٢٤٥ ﻫ (١٨٢٩ م) . واستمر كامران يحكمها إلى ان اغتيل عام ١٢٥٨ ﻫ (١٨٤٢ م) .

واحتل زعماء الباركزائى بقية البلاد وحكموها باسم ملوك ضعفاء من أسرة « سدوزائى » مثل أيوب وسلطان على الذى لقب على سكته باسم سلطان محمود . ولكن الولايات الخارجية فقدت سريعا فاستولى

السيخ على ملتان عام ١٢٢٣ هـ (١٨١٣ م) وعلى كشمير عام ١٢٣٥ هـ (١٨١٩م) وعلى « دره غازى خان » فى السنة نفسها و « دره اسماعيل خان » عام ١٢٣٦ هـ (١٨٢١ م) . وقاومت پشاور بزعامة سردار سلطان محمد مدة طويلة ولكنها سقطت فى أيديهم عام ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) .

ومحا أمراء السند باستيلائهم على « شكاربور » آخر مظهر من مظاهر السيادة الأفغانية ، وسقطت كذلك « بلخ » شمال هندوكش ، وبذلك أصبح دوست محمد حاكما على مملكة أفغانية موحّدة ، وساعده على تدعيم سلطانه فقد الولايات الخارجية التى كانت دائما مصدر ضعف ملوك « السدوزائى » .

كان دوست محمد مشهوراً بالعدل لا يتردد فى اتخاذ أى وسيلة توصله إلى غايته ، وأحبه الأفغان الذين كانوا يتغاضون عن نقائص كل حاكم قوى . ولا نستطيع أن نقارن حكمه بحكم اى ملك منذ احمد شاه . وقد أوقفت الخصومة بينه وبين اخوته تقدمه وجعل كابل حاضرة لملكه ، بينما ظل كوهندل يحكم قندهار .

وفى عام ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) حاول شجاع الملك أن يسترد قندهار عبثاً . ولقب دوست محمد بلقب الأمير بعد إخفاق شجاع ولكنه لم يلقب بالشاه او الملك لاهو ولا أحد من خلفائه إلى ان جاء حبيب الله . واستولى الفرس على هراة بعد أن قتل كامران ؛ اغتاله وزيره « يار محمد خان » ولم يستردها دوست محمد الا قبيل وفاته عام ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م)

وبعد أن أخفق شجاع الملك فى قندهار حاول الاستعانة بالبريطانيين وتكللت جهوده بالنجاح بفضل الحوادث السياسية . وقد فشل برنز Burnes فى عقد معاهدة مع دوست محمد وازداد نفوذ روسيا فحمل ذلك حكومة الهند على الرضى بمطالب شجاع الملك . وفى ذلك الوقت أى فى عام ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧م) حاصر الفرس هراة وظن أن الروس كانوا يحركون الفرس فتولى ضابط انجليزى الدفاع عن هذه المدينة . واستفحلت الأزمة فسار جيش انجليزى هندى مخترقاً السند وممر بولان فوصل قندهار ثم كابل وعندئذ فر دوست محمد الى بخارى وأجلس شجاع الملك على العرش فى كابل عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) . واستسلم دوست محمد سريعاً فأرسل إلى كلكتة.

وكان عهد شجاع الملك مملوءاً بالاضطراب . ولما جلا الجيش الانجليزى الهندى عن كابل عام ١٨٤١ م بوغت فى عودته عند ممر « خرد كابل » وأبيد عن آخره . وقد تم هذا على يد أكبر خان بن دوست محمد . وظل الجيش البريطانى يحتل جلال آباد وقندهار ثم غزا كابل من جديد فى خريف عام ١٨٤٢ م : وقتل شجاع الملك قبيل هذا الفتح عام ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م) ، وخلفه ابنه فتح جنك وقد رضى عنه الفوفلزائى بينما عارض البارکزائى فى تمليكه ، وترك

الانجليز أفغانستان وصحبهم فتح جنك ومعه زمان شاه الشيخ الضرير لأنه كان يعلم أنه لا يستطيع وحده الاحتفاظ بملكه فيها، وأعيد دوست محمد إلى أفغانستان لأنه كان الرجل الوحيد الذى يستطيع إقامة حكومة وطيدة الأركان. ولم يكن أكبر خان بن دوست راضياً عن حاله فساءت الصلات بينه وبين أبيه وظلت كذلك إلى أن توفى عام ١٢٦٦ هـ (١٨٤٩ م)، وحافظ دوست محمد على علاقاته الطيبة مع الحكومة الانجليزية اللهم إلا فى الفترة التى حدثت فيها حرب السيخ عام ١٨٤٩ م، إذ كانت الفرق الأفغانية مثار النقد لفرارها السريع بعد معركة كجرات، زد على ذلك أن دوست محمد لم يؤيد الانجليز إبان فتنة الجيش الهندى عام ١٨٥٧ م، ووجه همه إلى تقوية بلاده ففتح ما بين ١٢٦٧—١٢٧٢ هـ (١٨٥٠—١٨٥٥م) بلخ وخلم وقندز وبذخشان، وفى عام ١٢٨٠هـ (١٨٦٣ م) وفق فى اجلاء الفرس عن هراة وتوفى بهذه المدينة عقب استيلائه عليها مباشرة. وكان دوست على الجملة ملكا طيباً بالرغم من عيوبه البارزة. واستخلف من بعده خامس أبنائه شير على، ولم يكد يتولى الحكم حتى شغل بالفتن الداخلية فحارب أخويه الذين يكبرانه وهما محمد أعظم ومحمد أفضل وحارب كذلك عبد الرحمن بن محمد أفضل، وكان رجلا قادرا ذا عزم (أنظر فيما يختص بهذه الحروب مادة عبد الرحمن خان). وهزم شير على عام ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) وفقد كابل ثم قندهار وتولى الحكم أفضل وأعظم على التوالى إلى سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) ولكنهما لم يستوليا قط على هراة. وخرج منها فى العام التالى يعقوب بن شير على واستعاد لأبيه قندهار وكابل. وكان شير على فى ذلك الوقت يقبض على جميع بلاد أفغانستان. واعترفت به الحكومة الهندية ثم قابل نائب الملكة اللورد مايو Mayo عند «أمباله» عام ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) غير أن الشروط التى أعطيت اليه لم تشف غلته، لأنه لم يفز من هذه الحكومة بوعد صريح بمساعدته ضد خصومه. وفى ذلك الوقت سجن ابنه يعقوب وكان ذا أطماع، واستاء من تدخل نائب الملكة فى صالحه. ثم قبل تحكيم الضباط الانجليز فى أمر حدود سجستان التى كانت تنازعه فيها فارس، وزاد فى استيائه أنه اتفق فى هذا التحكيم عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) على التنازل لفارس عن جزء كبير من أخصب هذه البلاد، فأخذ يفاوض الروس، ورفض أن يقبل مبعوثاً من قبل الحكومة البريطانية فأدى هذا كله إلى الحرب التى وقعت ما بين ١٨٧٨ — ١٨٨٠ م. واستولى الجيش الانجليزى على كابل ففر شير على إلى «مزار شريف» بالتركستان وتوفى فيها عام ١٢٩٧هـ (١٨٧٩ م). وتمكن اللورد روبرتس فى سهولة من هزيمة جيشه المنظم على النمط الأوروبى عند ممر «بيوار»، وأطلق سراح

يعقوب، وأصبح أميراً وأمضى صلح «كندمك» الذي تنازل بمقتضاه إلى الهند البريطانية عن أقاليم معينة بالقرب من ممر بولان ووادى كورم ووافق على قبول بعثة انجليزية فى كابل.

وبعد بضعة أشهر شبت فتنة فى كابل ذهب ضحيتها أعضاء البعثة الإنجليزية برآسة كافاجنارى، فأدى هذا إلى شبوب نار الحرب من جديد وأعاد روبرتس فتح كابل ولكن جيشاً من القبائل يقوده محمد جان وملا مشك عالم حاصره فيها. وأخمدت هذه الفتن وخلع يعقوب واقتيد إلى الهند فعاش فيها وأقيم مكانه عبد الرحمن، وقامت فى قندهار حكومة مستقلة. وسار قسم من الجيش الذى كان فى قندهار بقيادة ستيوارت إلى كابل تمهيداً لاخلاء البلاد ولكنه عندما مر ببلاد الغلزائى هاجمه فريق كبير من هذه القبيلة عند «أحمد خيل» ولم يستطع الانتصار عليها إلا بعد وقعة دامية وكان ايوب بن شير على يجمع جيشاً فى هراة وما إن تولى الحكم عبد الرحمن حتى سار أيوب اليها وهزم فرقة انجليزية هندية صغيرة عند «ميوند» وحاصر قندهار. فخرج روبرتس من كابل مسرعا وهزم أيوبا. وبعد ذلك انسحب الجيش الانجليزى من البلاد وولى عبد الرحمن على أفغانستان بما فيها قندهار. وتوفى عبد الرحمن عام ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) وخلفه ابنه حبيب الله فحكم البلاد حكما سعيداً. ويظهر أنه كان حاكما قويا مثقفا حافظ على العلاقات الطيبة بينه وبين جيرانه.

جاءت بعد ذلك لجنة للتحكيم فى مسألة الحدود وأرضته بعض الرضى فى تحديد حدود سجستان. وزار الأمير حبيب الله الهند فى العام نفسه (١٩٠٧ م) زيارة ودية طويلة واعترفت حكومة الهند باحقيته فى اتخاذ لقب الملك.

وتخضع أفغانستان الآن لنفوذ الحكومة البريطانية فى الهند إلى حد ما. كما أن هناك معاهدة تمنعها من الاتصال المباشر بالدول. على أنها مع هـذا مستقلة استقلالا تاما فى شئونها الأخرى، وليس ما يمنع من أن تستمر هذه الحالة على ما هى عليه. وحالة الأفغان اليوم أفضل منها فى أى عهد من عهودها السابقة. فحكومة أمرائها قوية بالرغم من سلطانها المطلق، وهى تتوخى العدالة فى حكمها.

وفى الحق أن أفغانستان لم تتخلص من النفوذ البريطانى كما يدلنا تاريخها الذى بسطناه على أنها لم تبرأ قط من الخضوع لنفوذ جاراتها فى الشرق أو الغرب أو الشمال وأنها كانت مقسمة بين هذه الجارات. فقد كانت تخضع لنفوذ فارس فى عهد الدولة الأكمينية والسلوقية والفرثية والساسانية والسلجوقية والايلخانية المغلية والصفوية كما خضعت لنادر شاه. وكان لآسية الوسطى نفوذ عليها فى عهد الأسرة الكشانية والسامانية والمغلية والتيمورية وفى عهد الأزابكة. وقد بسطت الهند نفوذها عليها

أيضا فى عهد ملوك مؤرية وكوبتا والمغل
ولا تزال تسيطر عليها الهند البريطانية ويعلل
لنا هذا الخضوع مركز أفغانستان الجغرافى كما
يعلل لنا أيضا تماسكها واستقلالها التام فى
إدارة شئونها الداخلية ؟

مصادر عامة :

لنــدن ، *Caubul* : Elphinstone (١)
Caravan : Ferrier (٢) ١٨٤٢ — ١٨٣٩
: Burnes (٣) لنــدن ١٨٥٧ م *Journeys*
Cubool لنـدن ١٨٤٢ م (٤) المؤلف نفسه :
: Khanikov (٥) ، لندن ١٨٣٥ م *Bokhara*
Bokhara ترجمة إنجليزية لبود Bode ، لنـدن
Afghanistan and : Bellew (٦) م ١٨٤٥
the Afghans ، لنـدن ١٨٣٩ (٧) المؤلف
نفسه: *From the Indus to the Tigris* ،لندن
Political : المؤلف نفســه (٨) م ١٨٧٥
لنـدن ١٨٦٢ م ، *Mission to Afghanistan*
The Indian borderland : Holdich (٩)
لندن ١٩٠١ م (١٠) المؤلف نفسه : *Geogr-*
aphical results of the Afghanistan camp-
aign, فى *Proceedings of the Roy. Soc.*
Goldsmid فى Euan - Smith (١١) م ١٨٧٩
Eastern Persia ، لندن ١٨٧٦ م ، ج ١ ، ص
Travels in : Masson (١٢) ٤٢٨ — ٢٢٥
Balochistcen, Afghanistan ، لندن ١٨٤٤
Ghazni, Kabul and Afgh- : Vigne (١٣)
anistan ، لندن ١٨٤٠ (١٤) Mohan Lal :
Travels in Panjâb, Afghanistan ، لنـدن
Bannû : Thorburn (١٥) ١٨٤٦ ، لنــدن
Across the border, : Oliver (١٦) ١٨٧٦
Pathân and Baloch ، لندن ١٨٩٠ (١٧)
Kâfirs of the Hindu-kush : Robertson
Southern : Mac-Mahon (١٨) لندن ١٩٠٠م
borderlands of Afghanistan, in Geogr.
Journal ، ج ٩ (١٩) للمؤلف نفسه : *Survey*
and exploration in Seistan ، لندن ج ٢٨
Fourth Jour- : Molesworth Sykes (٢٠)
ney in Persia ، لندن ج ١٨ (٢١) A. et P.Gries-
bach : *Field notes* (*Geol, Survey of*
India,XIX,I,4) (٢٢) Hamilton : *Afgh-*
anistan ، لندن ١٩٠٦ م (٢٣) G. Martin :
Under the absolute Amîr ، لندن ١٩٠٧ .

مصادر اثنولوجية :

Afghanistan : Bellew (١) ، كلكته
Notes on Afgh- : Raverty (٢) م ١٨٨٠
anistan ، لندن ١٨٨٠ (٣) للمؤلف نفسـه :
Who were the Pathân Sultans of Dehli
مجلة الجمعية الآسيوية بنغال ١٨٧٥ م (٤)
Muhammed Hayat : حيات أفغانى ، باللغة
الأردية ، لاهور ؛ الترجمة الانجليزية : أفغانستان ،
لاهور ١٨٧٦ (٥) Hughes Buller : *Tensus*
of India ، ١٩٠١ م انظر بلوخستان (٦)
Tribes of the Hindu-kush : Biddulph
كلكته ١٨٨٠ م (٧) Holdich : *Origin of*
the Kâfirs of the Hindu-kush ، فى ا علة
الجغرافيـة ، ج ٧ (٨) Raverty : *Indian,*

Afghan and Pathan tribes ، فى المجلة الأسيوية الفصلية ، ج ٧ ، ١٨٩٤ م (٩) Robertson فى المرجع المذكور .

مصادر لغوية وأدبية : ١ — بشتو :

(١) Leech : Grammar of the Pashto or Afghanee Language ، مجلة الجمعية الأسيوية ، بنغال ١٨٣٩ (٢) Dorn : Grammatische Bemerkungen über das Puschtu مذكرة الأكاديمية الامبراطورية للعلوم بسنت بطرسبرج ، السلسلة السادسة ، ج ٥ (٣) للمؤلف نفسه : Nachträge zur gram. der afgh. Sprache ، المجلة العلمية لأكاديمية سنت بطرسبورج ، ج ١٠ ، ١٨٤٢ م (٤) للمؤلف نفسه : Zusätze zu d. gram. Bemerkungen المذكرة المذكورة آنفاً (٥) Vaughan : Grammar and vocabulary of the Pooshtoo Language ، كلكته ١٨٥٤ م (٦) Raverty : Grammar ، الطبعة الثالثة ، لندن ١٨٦٧ (٧) للمؤلف نفسه : Pushto manual ، لندن ١٨٩٠ (٨) للمؤلف نفسه : Dictionary ، طبعة ثانية ، لندن ١٨٦٧ (٩) للمؤلف نفسه : كلشن روح (مجموعة أدبية) لندن ١٨٦٠ (١٠) للمؤلف نفسه : Selections from the poetry of the Afghans ، لندن ١٨٦٤ ؛ ترجمة للكتاب السابق (١١) Bellew : Grammar ; Dictionary ، لندن ١٨٦٧ (١٢) Trumpp : Grammar ، لندن ، توبنجن ١٨٧٣ (١٣) للمؤلف نفسه : Verwandschaftsverhältnisse des Pashto فى Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Gesellsch. ، ج ٢١ ص ١٠ — ١٥٥ ؛ ج ٢٣ ، ص ١ — ١٣٣ (١٤) Müller : Über die sprache der Avghanen (Sitzungsber. der Wiener Akad. der Wissensch ، ١٨٦٢ ، ١٨٦٣) (١٥) Hübschmann : Iranische Studien ، ج ٢٤ (١٦) Darmesteter : Chants populaires des Afghans ، باريس ١٨٨٨ — ١٨٩٠ (١٧) Howell : Some border ballads ، فى مجلة الجمعيه الأسيوية الملكية ١٩٠٧ . وانظر كذلك Thorburn : Bannü المذكور سابقاً (١٨) Geiger : Afghanistan Studien (Kuhn's Zeitschr etc. ، ج ٣٣) (١٩) المؤلف نفسه : Das afgh. Praeterritum ، Indogerm Forsch بروجمن و A Streitberg ، ج ٣ ، ١٨٩٣ م (٢٠) للمؤلف نفسه : Etymologie und Lautlehre des Afgh. (Abh. d kgl. bayer. Akad. d. Wissensch ، ٢٠٠) (٢١) للمؤلف نفسه : Grundriss d. Iran. Philol (Die Sprache der Afghanen ، ج ١ ، عدد ٢) (٢٢) Plowden : Transl. of the Kalid-i-Afghani ترجمة كليد أفغانى . لاهور سنة ١٨٧٥ م (٢٣) للمؤلف نفسه : Idiomatic sentences, English-Pakhto . لاهور ١٨٧٥ م (٢٤) Hughes : كليد أفغانى ، منتجات الأشعار والنثر البشتوية ، بشاور ١٨٧٢ (٢٥) Mayer : The Psalms of David in Poshto ، هرتفورد ١٨٨٢ م .

ب — لغات غلچه :

(١) Shaw : *On the Ghalchah Lan- guages* ، مجلة الجمعية الآسيوية ، بنغال ١٨٧٦ (٢) للمؤلف نفسه : *Wakhī and Sarikolī* بنغال سنة ١٨٧٧ م (٣) للمؤلف نفسه : شغنى ، بنغـــال ، وانظر كذلك Biddulph بنغال : (٤) Ujfalvy : *Appendix on yidghah* ؛ *La langue des yagnobis* ، مترجمة من الروسية لـ Akimbetev فى مقالة *Turkestans- kiya wedomosti* سنة ١٨٨١م فى *Rev. Lin- guistiques* سنه ١٨٨٢م . (٥) Tomaschek: *yidghah* فى *Bezzenberger's Beiträge z. Kunde. indogerm Spr* سنة ١٨٨٣ م ، (٦) Geiger : *Zur Kenntnis der Pamir Dialekte* ، (*Kuhn's Zeitschr etc*) ، ســـنة ١٨٨٥م ، (٧) للمؤلف نفسه : *Die Pamir— Dialekte* (*Grunder. der Iran. Philol*) ، جـ ١ ، عدد ٢ (٨) Cust : *The Languages spoken en in the Zarafshan valley* ، مجلة الجمعية الآسيوية الملكية سنة ١٨٨٨ م (٩) Jackson : *Pamir-Dialekts* دائرة المعارف العامة لجونسون جـ ٦ .

لغة الكافر :

(١) Leitner : *The Dard languages* (٢) Biddulph : *The tribes of the Hindū- Kush* (٣) Grierson : *The Pisaca Lang- uages* فى الجمعية الآسيوية الملكية ، جـ ٨ ، سنة ١٩٠٦ م .

لغة بركستا أو أرْمرى :

(١) غلام محمد خان : قواعد بركستا (باللغة الأردية) لاهور ١٨٧٩ م .

مصادر تاريخية :

(١) نعمت الله : مخزن أفغانى (مخطوط ، الجمعية الآسيوية الملكية) (٢) Dorn : *History of the Afghâns* ترجمة الكتاب السابق مع مقدمة وتعليقات ، لندن ١٨٣٦ (٣) العتبى : تاريخ يمينى ، طبعة شپرنجر ، دهلى سنة ١٨٤١ م ، نسخه فارسية مستخرجة من الكتاب المذكور مترجمة إلى الانجليزية بقلم رينولدز Reynolds ، لندن ١٨٥٩ م (٤) Elliot و Dawson : *History of India* ، ١٠ جـ (٥) منهاج سراج: طبقات ناصرى ، ترجمة رافيرتى Raverty ، لندن ١٨٨١ (٦) فرشته : تاريخ فرشته ، لكنهو، ترجمة Briggs ، لندن ١٨٢٩ (٧) عبد الكريم: تاريخ أحمد، كانبور ١٢٩٢هـ (٨) واقعات درانى الترجمة الأردية للكتاب المذكور ، كانبور ١٢٩٢ (٩) ميرزا محمد على : تاريخ سلطانى ، بومباى ١٢٩٨ هـ (١٠) معين الدين: تاريخ هراة، ترجمة Barbier de Meynard فى المجلة الآسيوية ، السلسلة الخامسة ، عدد ١٧ (١١) Mc. Crindle: *Ancient India, Invasion of Alexander* ، لندن ١٨٩٦ (١٢) للمؤلف نفسه : *Ptolemy's geography* ، بومباى ١٨٨٦ (١٣) Cunnin- gham : *Successors of Alexander* ، لندن ١٨٨٤ (١٤) للمؤلف نفســـه *Numismatic*

von (١٥) ١٨٩٤—١٨٨٨ ، chronicle years
Zeit-) Nachfolger Alexanders : Sallet
: Gardner (١٦) ١٨٧٩ (schr. f. Num.
فى مقدمته لفهرس Greek and Scythian kings
المتحف البريطانى سنة ١٨٨٦م (١٧) V.A.Smith
فى مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ، ١٨٩٧—١٩٠٣
(١٨) للمؤلف نفسه Cat. of. coins in Indian
museum فى المصدر المذكور ١٩٠٦م (١٩)
فى مجلة ، Chronology of Kushans : Fleet
الجمعية الآسيوية الملكية ، سنة ١٩٠٣م ، ص
٢٢٥ و ١٩٠٤ ص ٧٠٣ و ١٩٠٥ ص ٢٢٣
و ٣٥٧ و ١٩٠٧ ص ١٠١٣ (٢٠) Boyer
فى المجلة الآسيوية ، السلسلة التاسعه العدد ١٥
(٢١) Sylvain Lévi فى المرجع السابق والمجلد
١٢ (٢٢) Drouin : Monnaies des grands
Kouchans (Revue num. سنة ١٨٩٦ م)
(٢٣) Specht : Les Indo-Scythes et
l'époque de Kanichka ، المجلة الآسيوية ،
السلسلة العاشرة ، ص ١٥٢ — ١٩٣
(٢٤) T. W. Thomas : Sakastana
مجلة الجمعية الآسيوية الملكية سنة ١٩٠٦م ، (٢٥)
Franke : فى Abh. der Phil. preuss.
Akad. d. Wissenseh سنة ١٩٠٤ ، (٢٦)
Stein : Zur Gesch. der Cahis von Kabul
فى Festgruss an R. V. Roth ، ستوتجارت
١٨٩٣ ؛ (٢٧) للمؤلف نفسه : Kalhana's
Rajatarangini ، وستمنستر سنة ١٩٠٠م ، ص
٢٣٦ (٢٨) للمؤلف نفسه : Afghanistan in
Avestic geogr (Ind. Antiquary ، بومباى
١٥) (٢٩) للمؤلف نفسه Later Parthians ،
Or and Bab Rec ؛ سنة ١٨٨٧ ، و Academy
١٦ مايو سنة ١٨٨٥ (٣٠) للمؤلف نفسه :
Zoroastrian deities on Indo - Scythin
coins Ind Antiquary ، ١٧ (٣١) للمؤلف
نفسه : White Huns and kindred tribes ،
فى المرجع المذكور ج ٢٩ (٣٢) Wilson : Ar
iana antiqua ، لندن سنة ١٨٤٢ (٣٣) Prin-
sep : Essays طبع E. Thomas ، لندن سنة
١٨٥٨ (٣٤) Rapson : Indian coins ،
grundriss d. indo-arischen Philol سنة
١٨٩٧ (٣٥) Geldner : Drei yasht ،
ستوتجارت سنة ١٨٨٤ (٣٦) West ; Bun-
dahish ، كتب الشرق المقدسة ، ج ٥
ص ٤٢ Vendiddd ; Darmesteter (٣٧)
ستوتجارت ، ج ٤ (٣٨) Ujfalvy : Les Ar-
yens au nord et au sud de l'Hindou-
Kouch ، باريس سنة ١٨٩٦ (٣٩) البيرونى :
تحقيق ما للهند من مقولة ، طبعة سخاو (٤٠)
للمؤلف نفسه : Chronology of ancient
nations ; (٤١) E. Thomas : Coins of
the kings of Ghazni ، سنة ١٨٤٨ (٤٢)
المؤلف نفسه : Chronicles of the Pathan
kings of Delhi ، لندن سنة ١٨٧١ (٤٣)
Longworth Dames : Coins of the
Durranis ، Num. chron. سنة ١٨٨٩ (٤٤)
White King : Hist. and coinage of Bar

akzais ، لندن ١٨٩٦ (٤٥) Rodgers :
Coins of Ahmad Shah Durrani مجلة
الجمعية الآسيوية الملكية ، بنغال ١٨٨٠ (٤٦)
شهامت على : *Sikhs and Afghans* ، لندن
١٨٤٦ (٤٧) Mohan Lal : *Life of Dost*
Muhammad لندن ١٨٤٦ (٤٨) Durand :
Causes of the first Afghan war ، لندن
١٨٧٩ (٤٩) Howorth : *Hist of the*
Mongols ، لندن سنة ١٨٨٨ ، ج ١ ، عدد ٣
(٥٠) Ferrier : *Hist, of the Afghan*
لندن ١٨٥٨ (٥١) Malleson : *Hist. of*
Afghanistan لندن ١٨٨٠ (٥٢) Kaye :
Hist. of Afghan War ، لندن ١٨٧٤ (٥٣)
A fghan war of 1879-1880 : Hensman
لندن ١٨٨١ (٥٣) Hanway : *Travels* ،
لندن ١٧٦٢ ؛ مؤلفات Sir W. Jones لندن
سنة ١٧٩٩ ؛ وانظر *Histoire de Nadir chah*
(٥٤) Irvine : *The Bangash Nawâbs*
of Farukhâbâd . مجلة الجمعية الآسيوية الملكية
بنغال ١٨٧٨—١٨٧٩ وانظر أيضاً Elphinstone
و Holdich و Darmestete المذكورين سابقاً .

[لنجويرث ديمز Longworth Dames]

فى ليلة ٢٠ فبراير سنة ١٩١٨ اغتال مجهول الأمير حبيب الله خان فى جلال آباد ، وكان قد قصدها متريضا وأقام نجله الثالث أمان الله خان قائمقاماً على العرش .

ولم يتقيد أمان الله بنظام الوراثة المتبع عندهم والذى يقضى بانتقال التاج إلى الأكبر فالأكبر من أبناء العائلة بل أسرع فنادى بنفسه أميرا على البلاد متخطيا عمه وشقيقه واعتقل الذين كانوا من العائلة فى كابل (العاصمة) ولم يطلق سراحهم إلا بعد أن بايعوه ، وعاهدوه على السمع والطاعة فاستقام له الأمر ودانت البلاد

وكان عهد أمان الله خان وقد استمر نحو تسع سنوات ، عهد انتقال وتحول ملىء بالحوادث الجسام والانقلابات الخطيرة فكثرت فيه الاضطرابات، كما كثرت فيه الإصلاحات، وكان الامير نفسه حسن النية وكان يرمى إلى إنشاء حكومة مدنية فى بلاده، ورفعها إلى مستوى الدول العصرية الراقية

وكان أول ما عمله من الأعمال الخطيرة ، بعد ما استتب له الأمر ، ودانت له البلاد ، أنه انطلق يوم ٧ مايو سنة ١٩١٩ إلى ساحة كابل فجرد سيفه أمام جمهور كبير من نخبة قومه وأقسم بأنه لا يعيده إلى غمده ، حتى يعيد الى بلاده استقلالها الكامل ، وسيادتها التامة ، وأرسل فأنذر الحكومة البريطانية طالبا نقض معاهدة راوول بندى المعقودة بين حكومة الهند وجده الأمير عبد الرحمن خان سنة ١٨٨٣ وقد تنازل بموجبها عن سيادة أفغانستان الخارجية للانكليز يمارسونها باسم حكومته مقابل هبة سنوية قدرها ١٨٥٠٠٠٠ روبية .

ورفض الانكليز الطلب ، وأعلنوا تمسكهم بالمعاهدة وقالوا انهم لايقرونه على نقضها ، فجرد جيشا كثيفا قاده المشير المرحوم محمد نادر خان (الشاه محمد نادر بعد ذلك) وزحف فى حدود الهند فدارت بينه وبين الانكليز معارك كانت سجالا ، ورأى ولاة الأمور فى حكومة دهلى أنه ليس من مصلحتهم الانغماس فى حرب طويلة مع الأفغانيين ، وكانت الهند تغلى وتفور ، وكانت الحركة الوطنية الهندية فى أشد أدوارها فاتصلوا بالحكومة الأفغانية ، ودارت مفاوضات انتهت بتوقيع معاهدة يوم ٨ أغسطس سنة ١٩٢٠ فى راوول بندى وهذه خلاصة القواعد التى قامت عليها :

١ — ينادى بالصلح بين الحكومة البريطانية والحكومة الأفغانية من تاريخ امضاء هذه المعاهدة .

٢ — نظرا إلى الأحوال التى أدت إلى وقوع الحرب الحالية بين البريطانيين والأفغانيين تروم الحكومة البريطانية أن تعرب عن استيائها وذلك بحرمان حكومة أفغانستان ما كان لأمرائها السابقين من مزية استيراد السلاح والذخيرة والمهمات العسكرية الأخرى بطريق الهند .

٣ — تصادر الحكومة البريطانية المتأخر من راتب أمير أفغانستان عند حكومة الهند .

٤ — لما كانت الحكومة البريطانية ترغب فى إعادة صلات المودة القديمة بينها وبين أفغانستان فهى تشترط على الحكومة الأفغانية أن تقدم الضمان وتقيم البينة على حسن نيتها وإخلاصها ، ومتى فعلت ذلك تتعهد الحكومة البريطانية أن ترسل إلى أفغانستان بعد ستة أشهر من تاريخ هذا العقد بعثة أخرى للبحث فى الأمور والمصالح المشتركة التى تهم الحكومتين والاتفاق عليها وتوطيد الصداقة القديمة على قواعد متينة ، وتسلم حكومة أفغانستان بمقتضى هذا العقد بالحد الفاصل بين الهند وأفغانستان كما قبله الأمير المتوفى وتقبل أن تتولى لجنة بريطانية تحديد حد خيبر الغربى الذى لم تعين تخومه قبلا ، حيث وقع الاعتداء الأخير من جانب الأفغان ، وتقبل الحد الذى ترسمه اللجنة المذكورة ، ويظل الجنود البريطانيون فى مواقعهم الحاضرة ولا يتخطى الجانب الأفغانى هذا الحد إلى أن يتم تحديد الحدود »

وعملا بما جاء فى متن هذه المعاهدة اجتمع مندوبو الفريقين فى كابل فى خريف سنة ١٩٢١ ووقعوا يوم ٢١ نوفمبر من تلك السنة معاهدة صداقة وولاء بين انكلترا وأفغانستان اعترفت فيها انكلترا بالاستقلال التام لأفغانستان وتعهدت بأن تسمح بمرور السلاح الوارد اليها من أوربا بطريق الهند مادامت متأكدة من حسن نيتها وطيب مقاصدها ومن أنه ليس هناك خطر مباشر على الهند من هذا النقل . فكان ذلك أول اعتراف رسمى تناله أفغانستان باستقلالها التام وعقدت بعد ذلك معاهدات صداقة مع الدول الأوروبية والشرقية وتبادلت معها القناصل والممثلين السياسيين ولم يكد ذلك يتيسر لها من قبل .

وكان فى مقدمة الاصلاحات السياسية التى نفذها أمان الله خان أنه منح بلاده نظاماً دمقراطيا دستورياً .

فقد أصدر فى أواخر سنة ١٩٢٣ دستورا فى ٧٢ مادة جاء فى الأولى منها أن الدولة الأفغانيـة ، دولة مستقلة . فى إدارة أمورها الداخلية والخارجية ، ويتألف من أجزائها كل لا يتجزأ خاضع للارادة الملوكية لجلالة أمير الأفغان .

* * *

وأدخل أيضا كثيرا من الاصلاحات الاجتماعية وسعى لتحرير المرأة وتعليمها وترقيتها وأنشأ لذلك المدارس وأرسل بعثة بنات إلى الاستانة للتعلم فى معاهدها ليتولين التعليم بعدعودتهن مما لم يرق لبعض رجال الدين والمحافظين من أنصار القديم فثاروا على الاصلاحات الجديدة فأخمد الملك ثورتهم فى سنة ١٩٢٤ بقوة الجيش الجديد الذى أصلحه ونسقه .

* *

وفى أواخر سنة ١٩٢٧ غادر بلاده فى سياحة طويلة زار فى خلالها الهند ومصر وإيطاليا وفرنسا والمانيا وانكلترا وسويسرا وروسيا وتركيا وإيران وكانت الملكة زوجته وشقيقتها وبعض أميرات العائلة المالكة وحاشية كبيرة من الموظفين ترافقه فى رحلته تلك وقد امتدت أشهرا

واغتنم خصوم العهد الجديد فرصة غياب الملك وتذرعوا برسوم فوتوغرافية وصلت اليهم وهى تمثل الملكة والأميرات يشهدن الحفلات الراقصة التى أقيمت فى أوربا وقد أبدين فيها زينتهن وظهرن بملابس « السهرة » فنشروا دعاية واسعة النطاق ضد الملك ومشروعاته ووصفوه بالمروق من الدين والخروج من الاسلام فلقيت دعوتهم تربة خصبة ، فنبتت وأثمرت فى بلاد لا يزال الجانب الأكبر من شعبها على الفطرة ، ولا يزال للدين المقام الأول فى نفسه فأعلنت الثورة فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٨ فى جلال آباد وسرت إلى بقية الانحاء. فعمل الملك جهده لمقاومتها فعجز وكان من جملة المشروعات التى توسل بهـا لارضاء الثوار أنه أصدر مرسوماً ألغى به جميع الاصلاحات التى نفذها ، كما أعاد بعثة البنات التى أرسلها إلى تركيا فلم ينفعه ذلك فغادر مع الملكة كابل إلى بشاور بطيارة بريطانية ومنها قصد الهند فايطاليا ولا يزال فيها .

* * *

وخلفه فى الدست شقيقه الأكبر عناية الله خان بويع بدلا منه يوم ١٤ يناير سنة ١٩٢٩ وكان المظنون أن هذا التدبير يرضى زعيم الثورة الأكبر « بچه سقا » ولكنه أبى فتم الاتفاق بينه وبين الملك الجديد على أن يغادر البلاد فغادرها فى الأسبوع الثالث فى شهر يناير إلى الهند ومنها إلى العراق فايران وهو يقيم فى طهران الآن.

* * *

وتربع زعيم الثورة « بچه سقا » على العرش وتسمى باسم « حبيب الله خان » وأمر فأقفلت جميع المفوضيات الأفغانيـة فى الخارج والغيت جميع الاصلاحات التى تمت فى العهد الامانى وسار سيرة غير مرضية فانفض الشعب من حوله ونفر من تصرفاته .

* * *

وقاد حركة النضال فى المرحلة الجديدة محمد نادر شاه ، أحد أبناء عمومة أمان الله خان ، فغادر فرنسا عائداً إلى بلاده . وكان يقيم فى جنوبها معتزلا السياسة لخلاف وقع بينه وبين أمان الله وهو الذى قاد الجيش الافغانى فى حربه مع الانجليز سنة ١٩١٩ — ٩٢٠ , كما تقدم وواصل القتال والكفاح مستعيناً برجال البـــلاد وقرومها ففـاز فى النهاية ودخل جيشه كابل يوم ١٤ اكتوبر سنة ١٩٢٩ ظافراً منصوراً وفى يوم ١٦ منه اجتمعت الجمعية الوطنية ونادت به ملكا على أفغانستان .

وعمـــل محمد نادر شاه على إصلاح بلاده وترقيتها سالكا سبيل أمان الله مع اعتدال وروية فوضع دستوراً جديداً وأنشأ برلمـاناً يتألف من مجلسين وأسس جامعة علميـة ونفذ كثيراً من المشروعات العمرانية والاقتصادية النافعة وأطلق أحد أنصار أمان الله الرصاص على محمد نادر شاه يوم الاربعاء ٨ نوفمبر سنة ١٩٣٣ فأرداه فبويع فى مساء ذلك اليوم نجله محمد ظاهر شاه وهو ملك أفغانسـتان الحالى ، ويسير على خطة والده فى إصلاح بلاده وترقيتها متبعاً قاعدة التدرج الطبيعى ومتجنباً الطفرة التى أودت بعرش أمان الله وألقته وحيداً شريداً فى إيطاليا يبكى ملكا مضاعا وعزاً آفلا .

امين سعيد

« أفلاطون » لأفلاطون أثر كبير على مفكرى الاســلام بطريقة غير مباشرة ، ومعرفتهم به أقل من معرفتهم بأرسطو . وسنذكر فيما يلى أسماء كتبه التى نقلت إلى اللغة العربية ، وأسماء الكتب التى نسبها إليه كتاب المسلمين . وهى منحولة إما بتمامها وإما بأجزاء منها ، وسنذكر كذلك ما صنفه فيه حكماء الاسلام وفلاسفته .

(١) كتاب الجمهورية أو السياسة : نقله إلى العربية حنين بن إسحق . كتاب القوانين أو النواميس : نقله حنين بن إسحق ويحيى ابن عدى . ويجب ألا تخلط بين النواميس بمعنى القوانين وبين هذه الكلمة بمعنى الحيل أو الأسرار أو الوصفات فهناك كتاب بهذا الاسم نسبه المسلمون إلى أفلاطون وهو يبحث فى الخرافات والتنبؤات ، وهذا الكتاب يونانى الأصل ويحتمل أن يكون حنين بن إسحق قد نقله إلى العربية . ولا توجد نسخة خطية من ترجمة كتاب القوانين .

وأصلح يحيى بن عدى ترجمة كتاب طيماوس ، ذكر ذلك ابن النديم فى الفهرست وابن القفطى فى تاريخ الحكماء . وهما يذكران فى موضع آخر أن هذا الكتاب نقله إلى العربية ابن البطريق وحنين بن إسحق . وينسب المسعودى (كتاب التنبيه . طبعة دى غوى ص١٦٣) لأفلاطون كتاباً أسماه «طيماوس طبى» ويقول إنه يتناول الكلام فى تركيب عالم الطبيعة بينما كتاب طيماوس الحقيقى يتناول الكلام فيما بعد الطبيعة[١] .

ونحن نعرف أن حنين بن إسحق ترجم بعض شروح جالينوس على طيماوس فربما كانت هذه الترجمة هى التى سميت طيماوس طبى . وفى مكتبة أياصوفيا بالقسطنطينية مخطوط رقم ٢٤١٠ عنوانه كتاب أفلاطون المسمى طيماوس فى الفلسفة .

وذكر كتاب طيماوس مرات كثيرة فى المؤلفات العربية ، وفى كتاب الالهيات لأرسطو . وذكره الرازى والمسعودى وغيرهما من كتبوا التراجم والطبقات .

ونقل إسحق بن حنين كتاب Sophist سوفسطس بتفسير ألامقيدورس Alympio-dorus . وقد ذكر ابن سينا هذا الكتاب (مهرن : *Philosophie d'avicenne* ، ص٣٣) وذكر البيرونى كتاب فاذن Phedon (تحقيق ما للهند من مقولة ، ج٢ ، ص٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٣٩٥) كما ذكره المسعودى أيضاً فى كتاب التنبيه ص ١٨٥ .

وقد ذكر ابن أبى أصيبعة كتاب احتجاج سقراط على أهل أثينا *Apologie de Socrate* .

وإلى جانب هذه المؤلفات ذكر كتّاب التراجم مقالات لأفلاطون عرفوها بالاسم على الأقل وحرفوا كثيراً فى أسمائها وهذه

---

(١) اعتمدنا فى رسم أسماء كتب أفلاطون على الكتب الآتية : فهرست ابن النديم ، طبقات الأمم لصاعد ، وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة .

اللجنة

المقالات هى : — غورجياس Gorgias وفروطاغورس Protagoras وقراطولس Cratylus وفدرس Phaedrus وتاأجيس Theagés ولاخس Laches وخرميدس Charmides وأوثوديمس Euthydemus وأوثوفرن Eutyphro وقرطن Crito وكتاب السياسة Politicus وفرمانيدس Parmenides وكتاب مانن Meno وكتاب مانكسانس Menexenes وكتاب قيلوطوفون Clitophon . وأضاف العرب إلى اسم كتاب القيبادس Alcibiadis عبارة « فى الجيل » . والواقع هو أن هذا الوصف يخص كتاب هيباس Hippias وينسبون أيضـــاً لأفلاطون مقالتين هما ابرخس Hipparchus وميناس Minos ولـكن النقاد ينكرون صحة نسبتهما إليه .

(٢) وتنسب المصـنفات العربيـــة لأفلاطون كتاب الوصية أو وصية أفلاطون لأرسـطو ، وكتاب أدب الصبيان [(١)] وكتاب الروابيع [(٢)] ذكره ابن القفطى وابن أبى أصيبعة . وهنـاك كتاب بهذا الاسم فى الفلسفة الصوفيـة وفى الـكيمياء ينسب إلى أفلاطون. وكذلك نبذ مختلفة منها كتاب باسم علل القوى المضمنة فى الجواهر العلوية وقد ذكر الـكندى هذا الـكتاب . وصنف كتابا فى الموضوع نفسه . وذكره أبو العافية المشهور . ويمكن أن يكون قد حصل خلط فى نسبة هذا الـكتاب بين اسمى أفلاطون وأفلوطين . وينسب إلى أفلاطون كذلك مقالات فى الـكيمياء وفى الأحلام والقوى السحرية للأعداد والفراسة وأسرار الأشكال الفلـكية والعناصر والنسب وكتاب فى النطفة الانسانية وكتاب أصول الهندسة نقله قسطا ابن لوقا . ويشمل كتاب حنين بن اسحق المسمى أقوال الحكماء Apophthegms of the Philosophers ، أقوالا منسوبة إلى افلاطون وارسطو وما روى عن خاتميهـــما من أساطير .

وفى مخطوط عبرى محفوظ بمكتبة ميونخ (رقم ٣٢) اسمه Iggeret ha Teshuba أمثال لأفلاطون لا توجد فى مجموعة حنين

ونجد أيضا فى كتاب مختار الحكم الذى ألفه أبو الوفاء المبشر بن فاتك حوالى عام ٤٤٥ ﻫ (١٠٥٣ - ١٠٥٤ م) أقوالا لأفلاطون . وينسب ابن أبى أصيبعة كذلك إلى سقراط وأفلاطون رسالة خلقيـة لا نعرف أصلها تسمى «معاتبة النفس» وقد نشرها بردنهور Bardenhewer بعنوان *De Castigatione animae libellum* (بون ١٨٧٣) .

(٣) وكتب كثير من كبار المفكرين الشرقيين كتبا عن أفلاطون ؛ فقد كتب حنين ابن اسحق النصرانى مقدمة لفلسفة أفلاطون سماها «ماينبغى أن يقرأ قبل كتب أفلاطون» . ودرس ثابت بن قرة الصـابى وابنه سنان سياسة الفيلسوف العظيم. فكتب أولهما رسالة

---

(١) تأديب الأحداث فى ابن النديم .

(٢) الرابوعات فى ابن القفطى .

فى تفسير رموز كتاب الجمهورية (السياسات المدنية) ودرسها الثانى فى كتاب لم يصل الينا وإنما جاء ذكره عند المسعودى فى كتاب مروج الذهب (طبعة باريس ، ج ١ ، ص ١٩) .

وقد كتب أيضا كبار الفلاسفة أمثال الكندى والفارابى والرازى وابن رشد مصنفات عديدة عن أفلاطون فكتب الكندى رسالة فى الابانة عن الأعداد التى ذكرها أفلاطون فى كتابه «السياسة» ورسالة فى العقل والمعقول قال فى أولها إنه سيتكلم عن العقل حسب رأى أفلاطون وأرسطو (نشرها Albino Nagy باسم *Beiträge zur Gesch. der Philosophie des Mittelalters* مستر عام ١٨٩٧ م) . وكتب الفارابى عدة رسائل عن فلسفة أفلاطون وأرسطو مثل « الجمع بين رأيى الحكيمين أفلاطون وأرسطاطاليس » وكتاب أغراض أفلاطون وأرسطو وجوامع مختصرة عن النواميس فى تسعة أجزاء .

وكتب يهودى من الأندلس أسمه شمطوب بن بلكيره رسالة صغيرة بالعبرية عن فلسفة أفلاطون نشرها شتين شنيدر (الفارابى . ص ١٧٦ . ٢٢٤) ويظن أن هذه الرسالة ما هى إلا ترجمة لجزء من رسالة الفارابى عن فلسفة أفلاطون وأرسطو . ونشر ديتريصى رسالة الجمع بين رأيى الحكيمين (*Alfarabi's philosoph. Abh.* ليدن ١٨٩٠) وشرح أبو بكر الرازى كتاب طيماوس وكتب فى الفلسفة الأولى وفقا لآراء أفلاطون. وفسر ابن رشد كتاب السياسة المدنية وترجم هذا التفسير إلى العبرية صمويل بن يهودا وهو من أهل مرسيليا ونشر فى الترجمة اللاتينية ليعقوب ماتتينس Jacobus Mantinus فى روما عام ١٥٣٩م وفى البندقية عام ١٥٥٢م وعام ١٥٦٢ م .

وكتب على بن رضوان وهو مؤلف أقل شأنا من السابقين توفى عام ١٠٦١ م أو عام ١٠٦٨ م رسالة فى بقاء النفس على رأى أفلاطون وأرسطو وله رسالة أيضا يظهر أنها تشتمل على فقرات من كتاب أفلاطون عن « طبيعة الانسان » .

(٤) وما عرفه العرب من حياة أفلاطون أقل أهمية بالنسبة الينا مما عرفوه عن كتبه ، فقد تكلم عن أفلاطون مشاهير كتاب التراجم أمثال ابن أبى أصيبعة وابن القفطى وابن النديم وابن العبرى والحاج خليفة ، كما يشمل كتاب حكم الفلاسفة الذى ألفه حنين بعض التفصيلات عن حياة أفلاطون . وأهم ما كتب عنه هو الذى كتبه ابن القفطى وهو يقرب مما كتبه من قبل ديوجانس وأوليمبيودورس. وقد أورد فى روايته نسب أفلاطون كما جاء فى رواية ديوجانس اللايرسى ، ولا ندرى كيف وصلت إليه تلك المعلومات . وذكر فيها أيضا تاريخ مالنتوس وقودرس وقال إن أفلاطون كان فى شبابه يشتغل بالشعر ويضع كتبا فى الألحان ثم درس فلسفة أراقليطوس

Heraclites وسمع كلام فيثاغورس .[1]
وقصد سقراط . ثم ذكر ابن القفطى رحلات أفلاطون الثلاث إلى صقلية، قال وعاد أفلاطون بعد ذلك إلى أثينا واشتغل أول الأمر بالسياسة ثم انصرف إلى التعليم والتف حوله كثير من التلاميذ وتزوج امرأتين [2] وتوفى فى الثانية والثمانين من عمره . ويحتفظ كتاب التراجم الشرقيون بالروايات التى تذهب إلى أن أفلاطون كان يسمى أرسطو « العقل » عند ما جاءه شابا ليتعلم عليه الفلسفة . وأورد أبو يعقوب اسحق بن سليمان الإسرائيلى فى كتاب العناصر Liber elementorum قصة تذهب إلى أن أفلاطون وهو على فراش الموت أوصى تلاميذه بأن يؤثروا المعلم على الكتاب . وعلى الجملة فان شخصية أفلاطون ظلت حية فى عيون الشرقيين فكانوا لا يرونه كاتباً فحسب ، وإنما يجدون فيه الحكيم والمعلم والخطيب . ورجل العمل والنشاط فسموه الشيخ اليونانى وهى تسمية غير دقيقة ولكنها تدل على شعورهم بمكانته وعلمه . وهى تنصرف إلى الرجل أكثر من انصرافها إلى مؤلفاته .

(٥) ولم يعرف المسلمون فلسفة أفلاطون معرفة تبلغ من الدقة ما يمكنهم من تأسيس مدرسة أفلاطونية صحيحة . ففلسفته كما ذكرها الشهرستانى لا تمثل رأى مدرسة إسلامية ولكنها تمثل فقط ما كان يعتقد الشهرستانى أنه رأى أفلاطون ، وهو يبدو فى شكل مذهب مرتب يشبه فلسفة العصور الوسطى وفى بعض أجزائه من الدقة ما يشبه آراء المعتزلة ولم يكن لفلسفة أفلاطون أثر قوى فى الإسلام إلا بطريق غير مباشر فقد أثرت فيه عن طريق الأفلاطونية الجديدة ، ولكن من السهل أن ندركها من وراء هذا القناع . وقد فتن كثير من كبار المفكرين الأحرار بهذه الفلسفة ، عرفوا افضل آراء أفلاطون فاستسلموا لسحرها . فالمؤرخ المسعودى مثلا يتحدث عن أفلاطون فى إعجاب وتقدير أكثر مما يفعل عن أرسطو

وأهمية القسم الإلهى من فلسفة أفلاطون ترجع إلى سمو تصوره لإله واحد ذلك التصور الذى عرفه فى فلسفته المسلمون وخاصة الشهرستانى وإن كان لم يدرك تماما نظريته فى الخير الأعلى التى نجدها اكثر وضوحا فيما كتبه ابن سينا فى الفلسفة الصوفية ، وهى تمتزج فيها بنظرية "العناية الالهية وبفكرة "التفاؤل . وتذهب هذه النظرية إلى أن الشر لا يصيب إلا الأشياء العارضة القابلة للزوال وقد شغل مفكرى المسلمين نظرية الواحد والكثرة وكيفية صدور "الكثرة عن الواحد ، وكانوا فى هذه المسائل أكثر ترتيبا من أفلاطون بوجه عام ، إذ لا يغيب عن أذهاننا الآراء المنظمة التى أدلى بها ابن سينا فيما وراء الطبيعة . وتأملات جلال الدين الرومى السامية

(١) الحقيقة أنه أخذ عن الفيثاغوريه وان فيثاغورس مقدم عليه بزمان طويل
(٢) هذا لم يثبت

وإن كان بها شيء من الغموض، وكيف رد ابن طفيل الأشخاص والأجناس والأنواع إلى الوحدة.

وقد أراد إخوان الصفا أن يكونوا على مذهب أفلاطون فيما ذكروه من أن الأعداد الأربعة الأولى تقابل الأشياء الأربعة التي يتألف منها في اعتبارهم العالم الروحاني: فالله يقابله الواحد والعقل الكلي الفعّال يقابله العدد ٢ والنفس الكلية يقابلها العدد ٣ والهيولى الأولى يقابلها العدد ٤. وقد تمسك المسلمون تمسكا واضحاً بفكرة وجود عالمين: عالم العقل وعالم الحس. وأطلق المتصوفة على هذين العالمين أسماء مختلفة، فالفارابي على وجه خاص يسميهما عالم الخلق وعالم الأمر. وترد مثل أفلاطون في الفلسفة العربية باسم «الصورة» أو «المعقول» أو «المثال».

أما مسألة الوجودية[1] Realisme والاسمية Nominalisme التي شغلت فلاسفة الغرب فلم تكن واضحة تمام الوضوح عند فلاسفة الاسلام. ومع هذا يمكننا أن نقول إن المتكلمين وعلماء الدين كالغزالي مثلا كانوا من القائلين بالمذهب الاسمي بينما كان الفلاسفة يقولون بالمذهب الوجودي، وكانوا يضعون عالم المعقولات بين سلسلة العقول المفارقة التي تسيطر على الأفلاك السماوية، أو يقولون إنه يتألف من مجموع هذه العقول. وكان المتصوفة على وجه عام يأخذون بالرأي القائل إن عالمنا انعكاس أو محاكاة للعالم العلوي. وكان الفلاسفة يهتمون بفكرة النفس الكلية والنفوس الفلكية. وتوجد هذه الفكرة مبسطة عند إخوان الصفاء. وقد أثار ابن سينا والغزالي وابن رشد وغيرهم الكلام فيما إذا كانت النفس الانسانية قد وجدت قبل الأجسام وفيما إذا كانت جزءاً من النفس الكليـة انفصل عنها. ولم يتفق علماء المسلمين مع رأي أفلاطون في هذه المسـألة وفي مسألة النفس الكليـة Animation du Monde. وقد ذكر المسعودي أن أفلاطون تكلم عما إذا كانت النفس في البدن أو أن البدن في النفس (مروج الذهب. طبعة باريس، ج ٤، ص ٦٥) وقول المؤرخ العربي في هذا الموضوع صحيح. وقد ذكر كذلك تعريف أفلاطون للنفس بأنها جوهر يحرك الجسم. وعرف المؤلفون الشرقيون نظرية التناسخ أيضاً. وقد أجاد الفارابي في تفسير نظرية تذكر النفس لماعرفته في عالم المثل (Carra de Vaux : *Avicenne* ص١١٥).

وقد مال أفلاطون إلى البحث في الأعداد وشاركه في هذا الميل كثير من الفلاسـفة المسلمين وخاصة إخوان الصفاء. ونجد عند الفارابي وجلال الدين الرومي وابن طفيل اقوالا تشبه أقوال أفلاطون عن الاختلاف والتشابه والمثل والضد. ولم يعرف المسلمون

---

[1] المقصود بالوجودية وجود الكليات في الخارج وبالاسمية إنكار هذا الوجود ورد الكليات الى مجرد أسماء

اللجنة

إلا الشيء القليل عن طبعيات أفلاطون وهم يصفونه غالباً بالطبعي . وقد رأينا أنه كان معروفاً عندهم بالهندسة أيضاً .

وكان لسياسات أفلاطون أثر كبير على كثير من المفكرين من الفارابى إلى ابن خلدون . وكتب المتصوفة وغيرهم عدة رسائل عن طبيعة الحب تلك المسألة التى شغل بها أفلاطون . فى رسائل إخوان الصفا فصل فى الحب . ويقول المسعودى (ج ٨ ، ص ١٨١) إن أفلاطون عرّف الحب بأنه « نشوة إلهية » . ولا شك فى أن الحكيم اليونانى كان له أثر كبير فى التصوف الإسلامى فقد كان المتصوفة يرون أن رياضة النفس بالتقشف والزهد كان لها عنده مقام خاص ، وبنوا على هذا الفكرة التى ذهبت الى وجوب التشبه بالكائنات العاوية . وفى رسالة ابن طفيل (حي بن يقظان ، طبعة ليون جوتيه ص ٨٧) نجد حيا يحاول محاكاة انسجام النجوم بحركاته وأوضاعه .

أما القول بوجود عالمين : عالم الخلق وعالم الأمر فهو من الآراء الجوهرية فى التصوف . ويقول الغزالى إنه كما أن هناك أعضاء ندرك بها عالم الحس فانه يجب أن تكون للنفس بعض ملكات مهيئة لإدراك عالم المعقولات ، وهذا القول يشبه رأى الفارابى . وإذا نظرنا فى هذا المذهب نجد أن أثر أفلاطون وتعاليمه واسمه أيضا قد اختلط عند العرب باسم أفلوطين وآرائه . وكانت جميع المدارس الفلسفية تعتبر أفلاطون حكيما وقد عده كثير منها نبيا مرسلا مثل صابئة حرّان وإخوان الصفاء ومتصوفة سجستان *History of Philisophy in Islam* : De Boer) ص ١٢٧) والقائلين بفلسفة الإشراق من مدرســة السهروردى المقتول وكذلك الاسماعيلية ؟

المصـــــادر

(١) الشهرستانى ، طبعة كيورتن ، ص ٢٨٣ — Haarbrücker : ٢٩٠ ج ٢ ، ص ١١٧ وما بعدها ، ٢٠٨ وما بعدها (٢) ابن القفطى ، طبعة ليبير ، ص ١٧ - ٢٧ (٣) الفهرست طبعة فلوجل (٤) حاجى خليفة ، طبعة فلوجل ، ج ١ ، ص ٥٤ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٤٢٥ ، ج ٢ ، ص ٣١١ ، ٦٠٥ ، ج ٣ ، ص ٥٣ ، ٩١ ، ٩٦ ، ١٢٨ ، ج ٥ ، ص ٦٠ ، ١٠٩ ، ١٤٢ ، ٢٧٢ ، ٥٤٤ (٥) ابن أبى أصيبعة ، ج ١ ص ٤٩ — ٥٤ (٦) المسعودى ، مروج الذهب ، باريس ، ج ١ ، ص ٢٥٠ وما بعدها ، ج ٤ ، ص ٦٤ وما بعدها (٧) المؤلف نفسه : التنبيه ، طبعة ده غوى ، ص ٨ ، ١٣ ، ١١٥ وما بعدها ، ترجمة كارادهفو ، باريس ١٨٩٦ ، ص ١١ ، ١٨ ، ١٦٢ وما بعدها (٨) J. G. Wenrich : *De actorum graecorum versionibus et commentariis* ليبسك ١٨٤٢ (٩) M. Steinschneider : *Die arab. Ubersetzungen aus dem Grieschen* ، *Centralblatt für Bibliothekwezen* ، ج ١٢ ، ليبسك ١٨٩٣ (١٠) المؤلف نفسه : *al-Farabi, des arab. Philosophen Leben und*

Schriften ، سلت بطرسبرج ١٨٦٩ (١١) *Die griechischen Philos. in* : A. Müller *der arab Uberlieferung* هال ١٨٧٣ . وانظر إلى جانب المؤلفات العامة عن الفلسفة العربية *Mélanges de philosophie* : Munk (١٢) *juive et arabe* باريس ١٨٥٩ (١٣) deBoer: *The history of philosophy in Islam* لندن ١٩٠٣ (١٤) Renan : *Averröes et l' Averroisme* (١٥) Caara de Vaux : *Avicenne and Gazali* باريس ١٩٠١، ١٩٠٢ وانظر مؤلفات Dieterice عن إخوان الصفا والفارابي والفلسفة العربية في القرن العاشر [1]

[كارا ده ڤو Carra DE Vaux]

أفلاطون :

ا — ولد أفلاطون في أثينا أو في أجينا (أهم مدن الجزيرة المسماة بهذا الاسم) سنة ٤٢٧ ق . م في أسرة عريقة الحسب كان لبعض أفرادها المقام الأول في الحزب الأرستقراطي وشأن كبير في السياسة الأثينية . تثقف كأحسن مايتثقف أبناء طبقته ، وقرأ شعراء اليونان وعلى الخصوص هو ميروس ، ونظم الشعر التمثيلي وأقبل بعد ذلك على العلوم . وأظهر ميلا خاصاً للرياضيات ثم تتلمذ لأقراطيلوس أحد أتباع هرقليطس وأطلع على كتب الفلاسفة . وكانت متداولة في الأوساط العلمية . وفي سن العشرين تعرف إلى سقراط ، ذهب به إليه شقيقاه الأكبران أديمنت وأغلوقون (وهما محدثا سقراط في « الجمهورية ») وبعض أقربائه ، وكان هؤلاء يختلفون إلى سقراط وإلى السوفسطائيين ورائدهم الاستطلاع واللهو بالجدل ، ولكن أفلاطون أعجب بفضل سقراط فلزمه . وما كاد يبلغ الثالثة والعشرين حتى أراد نفر من أهله وأصدقائه ، وقد اغتصبوا الحكم بمساعدة اسبرطة ، أن يقلدوه « أعمالا تناسبه » فآثر الانتظار . وطغى الاستقراطيون وبغوا وأمعنوا في خصومهم نفياً وتقتيلا وصادروا ممتلكاتهم ، ثم انقسموا على أنفسهم فملئوا المدينة فساداً وملئوا قلبه غماً . ولما هزمهم الشعب وقامت الديموقراطية أنصفت بعض الشيء فأحس رغبة في السياسة يبغي المعاونة على تأييد العدالة وتوفير السعادة ، ولكن الديموقراطية أعدمت سقراط ، فيئس أفلاطون من السياسة وأيقن أن الحكومة العادلة لا ترتجل ارتجالا وإنما يجب التمهيد لها بالتربية والتعليم [1] فقضى حياته يفكر في السياسة ويمهد لها بالفلسفة ، ولم تكن له قط مشاركة عملية فيها .

ب — وداخله من الحزن والسخط لممات معلمه مادفعه إلى مغادرة أثينا ، فقصد إلى ميغارى حيث كان بعض إخوانه قد سبقوه والتفوا حول إقليدس أكبرهم سناً . مكث هناك نحو ثلاث سنين ثم سافر إلى مصر (وهو يذكرها في غير ما موضع من كتبه ولا سيما « الجمهورية » و « القوانين » ذكر من عرفها معرفة شخصية) وانتهز الفرصة فذهب إلى قورينا لزيارة عالمها الرياضي تيودوروس ومدرسته ، وعاد إلى مصر فقضى زمناً في عين

(١) تكملة لهذا المقال الذي يتناول الأفلاطونية في نظر المسلمين ننشر فيما يلي نبذة عن أفلاطون وفلسفته من بحث طويل للأستاذ الفاضل يوسف كرم .

المترجمون

(١) انظر الرسالة السابعة في مجموعة رسائله ص ٣٢٤ — ٣٢٦

شمس واتصل بمدرستها الكهنوتية وأخذ بنصيب من علم الفلك، ولا بد أن يكون قد استفاد أيضاً بملاحظة الديانة والحكم والأخلاق والتقاليد فان فى مؤلفاته الشواهد العديدة على ذلك. ونشبت بين أسبرطة وأثينا الحرب المعروفة بحرب قورنتية سنة ٣٩٥ ق.م وحالف نفريتس ملك مصر السفلى اسبرطة، فاضطر أفلاطون لمغادرة مصر. وأقام فى بلده طول الحرب أى إلى سنة ٣٨٨ ق.م منوفراً على الدرس ناشراً من المحاورات ما أثار إعجاب الأثينيين، ولما انتهت الحرب رحل إلى جنوبى إيطاليا يقصد فى الارجح إلى الوقوف على المذهب الفيثاغورى فى منبته وكان قد شغف به. فنزل ترنتا وزار رئيس جمهوريتها القائد أرخيتاس وكان فيثاغوريا مذكوراً وتوثقت بينهما روابط الصداقة. وفيما هو هناك سمع بذكره دنيسوس ملك سراقوصة، وكان مثقفاً ينظم القصائد والقصص التمثيلية فاستقدمه إليه، فعبر أفلاطون البحر إلى صقلية ودخل سراقوصة، فقابله الملك بالحفاوة ولكنه لم يلبث أن غضب عليه، فإن أفلاطون استمال ديون صهر الملك. ولم يكن هذا يطمئن إليه بل لم يكن يطمئن إلى أحد، وقد يكون الفيلسوف أفصح عن بعض آرائه الاصلاحية، وأنكر الفساد المتفشى فى البلاط فأمر به الملك فاعتقل ووضع فى سفينة اسبرطية أقلع ربانها إلى جزيرة أجينا، وكانت حينذاك حليفة لاسبرطة ضد أثينا، فعرض فى سوق الرقيق فافتداه رجل من قورينا كان قد عرفه فى تلك المدينة.

ح — ورجع إلى أثينا وأنشأ سنة ٣٨٧ ق.م مدرسة على ابواب المدينة فى أبنية تطل على بستان أكاديموس فسميت لذلك بالأكاديمية. أنشأها جمعية دينية علمية وكرسها لآلهة الشعر وأقام فيها معبداً، ونزل لها عن الأبنية ومحتوياتها. وظل يعلم فيها ويكتب أربعين سنة ما خلا فترتين قصيرتين سافر فيهما إلى سراقوصة الأولى سنة ٣٦٧ والأخرى سنة ٣٦١ كان حظه فيهما مع دنيسوس الثانى مثل حظه مع أبيه المتوفى. ولم تصلنا أخبار مفصلة عن الأكاديمية، ولكنا نعلم أن مستمعيه كانوا خليطاً من الأثينيين، ويونان الجزر، وتراقية وآسية الصغرى، بينهم بضع نساء. ونستطيع أن نقول إن الحركة العلمية كانت شديدة، وأن دروس المعلم كان يتخللها ويعقبها مناقشات فى جلسات متوالية تتعارض فيها الآراء وتتمحص على النحو الذى نشاهده فى المحاورات المكتوبة. وكان التعليم يتناول جميع فروع المعرفة وكان إلى جانب أفلاطون وتحت رياسته عدد من العلماء كل منهم مختص بمادة، يشرحون الرياضيات والفلك والموسيقى والبيان والجدل والأخلاق والسياسة والجغرافيا والتاريخ والطب والتنجيم، فكانت المدرسة جامعة وعت تراث اليونان العقلى من هوميروس إلى سقراط. وتوفى أفلاطون وقد بلغ الثمانين فى أثناء حرب فيلبوس المقدونى على أثينا، فلم يشهد ما أصاب وطنه من انحطاط لم تقم له من بعده قائمة.

مصنفاته:

ا — لم يحدث لكتب أفلاطون مثل ما حدث لكتب الفلاسفة القدماء وأقرانه تلاميذ سقراط

فان كتبه حفظت لنا كلها ، بل وصل الينا كتب عدة نسبت له من عهد بعيد مع شيء من الشك ، فقطع النقد الحديث بأنها منحولة وضعها بعض أصحابه أو بعض مقلديه . وليست كتبه مؤرخة ولا موضوعة وضعاً تعليميا ولكنها محاورات كما قلنا كان يقيد فيها آراء كلما عرضت فرتبها الأقدمون على حسب شكل الحوار أو موضوعه ، فقاربوا بين ما كتب فى أزمنه مختلفة ، وباعدوا بين ما وضع فى دور واحد : نسبوا له ستة وثلاثين تأليفا ، منها محاورات ومنها رسائل قسموها إلى تسعة أقسام سميت رابوعات لاحتواء كل قسم على أربع مصنفات . أما المحدثون فقد آثروا أن يرتبوها بحسب صدورها ليمكن تتبع فكر الفيلسوف فى تطوره ، فاستعملوا طرائق « النقد الباطن » وأنعموا النظر فى خصائص كل مؤلف من حيث اللغة مفرداتها وتراكيبها ، ومن حيث الأسلوب الأدبى والفلسفى فقسموها إلى طوائف ثلاث تبعا لتفاوتها فى هذه الخصائص ، ثم عينوا مكانها بعضها من بعض بالقياس إلى أسلوب « القوانين » (١) لما هو معلوم من أن هذا الكتاب آخر ما كتب أفلاطون ، فوضعوا فى طور الشيخوخة المحاورات التى تشابهه ، وفى طور الشباب المحاورات المعدومة فيها هذه المشابهة ، وفى طور الكهولة المحاورات التى تلتقى فيها خصائص الطائفتين ، فكان لهم ترتيب راجح فقط ولا يزال التقديم والتأخير موضع أخذ ورد .

ب — أما مصنفات الشباب فتسمى بالسقراطية لأن منها ما هو دفاع عن سقراط واحتجاج على إعدامه وبيان لآرائه ، ومنها ما هو مثال للمنهج السقراطى ، فمن الناحية الأولى نجد « احتجاج سقراط » أو دفاعه أمام المحكمة و « أقريطون » يذكر فيها ما عرضه هذا التلميذ من الفرار وما كان من جواب سقراط ، ثم « أوطيفرون » يصف فيها موقف سقراط من الدين بازاء هذا المتنبى المشهور الممثل لرأى الجمهور — ومن الناحية الثانية نجد « هيبياس الأصغر » وهى بحث فى علاقة العلم بالعمل ، وفى هل الذى يأتى الشر عمداً أحسن أو أردأ من الذى يأتيه عن غير عمد ؟ و « ألقبيادس » وفيها فكرتان أساسيتان : الواحدة أن ما هو عدل فهو نافع فلا تنافى بين العدالة والمنفعة ، والأخرى أن معرفة الذات ليست معرفة الجسم بل معرفة النفس ، والنفس الانسانية فيها جزء إلهى هو العقل ؛ و « هيبياس الأكبر » فى الجمال ما هو ؛ وتظن أن الأكبر والأصغر يدلان على الأطول والأقصر ؛ و « خرميدس » فى الفضيلة ولها ثلاثة حدود : الأول أنها الاعتدال فى العمل ، والثانى أنها عمل ما هو خاص بالانسان بما هو انسان ، والثالث أنها علم الخير والشر و « لا خيس » فى تعريف الشجاعة ؛ و « ليسيز » فى الصداقة ؛ و « بروتاغوراس » فى السوفسطائى ما هو وما الفائدة من تعليمه ، وهل يمكن تعليم السياسة والفضيلة ، وهل الفضيلة واحدة أو كثيرة ، وفى أن من يعلم الخير والشر يعلم عواقبهما فلا يفعل الشر إذ ما من أحد يريد الشر لنفسه ؛ و « إيون » فى الشعر وشرح

(١) « النواميس » فى الكتب العربية .

الالياذة ؛ و « غرغوياس » فى نقد بيان السوفسطائيين وفى أن الفن خطر من حيث أنه يقدم الحجج للشهوة دون البحث فى الخير والشر وفى أصول الأخلاق . والمقالة الأولى من « الجمهورية » فى العدالة هل هى وضعية او طبيعية ، ويصح أن يترجم عنوان الكتاب (« بوليتيا ») بالدستور . ولكن شيشرون قال : Res Publica فشاع هذا اللفظ من بعده ، وقال الاسلاميون : الجمهورية ، وقالوا السياسة المدنية : فلا ينبغى أن يؤخذ اللفظ الأول على مفهومه عندنا الآن ، — وكل هذه الكتب يدور الحوار فيها حول الفضيلة بالاجمال أو حول فضيلة على الخصوص ، وهي نقدية تذكر آراء السوفسطائيين وتعارضها ، واستقرائية تستعرض عدداً من الجزئيات تستخلص منها معنى كلياً ، وكثير منها لا ينتهى إلى نتيجة حاسمة بل ينتهى بعضها إلى الشك وينتهى البعض الآخر إلى حل قلق مؤقت ؛ فهى بكل هذه الصفات قريبة من عهد سقراط .

ح — وأما محاورات الكهولة فقد كتبها بعد أوبته من سفرته الأولى إلى ايطاليا الجنوبية وانشائه الأكاديمية ؛ فان الأفكار الفيثاغورية بادية فيها وهى تنقسم إلى طائفتين تشمل الطائفة الأولى : « منكسينوس » يعين فيها موقفه من البيانيين ويبسط رأيه فى البيان بعد أن نقد فى «غورغياس» رأى السوفسطائيين فيه . و«مينون» يحاول فيها أن يحد الفضيلة فيعرض نظريته المشهورة أن العلم ذكر معارف مكتسبة فى حياة سماوية سابقة على الحياة الأرضية. و «أوتيديموس» يحمل فيها على السوفسطائية ويبين أنه يمتنع تعليم الفضيلة من غير معرفة برهانية . و « أقراطيلوس » يفحص فيها عن أصل اللغة هل نشأت من الاصطلاح او من محاكاة الاشياء وأفعالها . وفى « المأدبة » (أوسمبوسيون) يدرس الحب ويشرح مذهبه فى الحب الفلسفى ، وفى « فيدون » يصور المثل الأعلى للفليسوف ، ويدلل على خلود النفس ويقص موت سقراط ، وتشمل الطائفة الثانية الباقى من « الجمهورية » (تسع مقالات) يراجع فيها الاراء المكتسبة ويتعمق ويرسم المدينة المثلى . والراجح أن هذه المقالات كتبت فى أوقات متباعدة على بضع سنين لطولها وأهميتها. و«فيدروس» يعود فيها إلى موضوع المأدبة وغورغياس وفيدون والجمهورية يمحص آراءه ويهذبها ، ويشبه أن تكون هذه المحاورة إعلانا عن الأكاديمية وبرنامجاً لها و « بارمنيدس » يراجع فيها نظريته فى « المثل » ثم ينقد المذهب الايلى نقداً طويلا دقيقاً . و « تيتياتوس » يحد فيها العلم ويعلل الخطأ ويشرح الحكم فى حالتى الصدق والكذب ، وهو فى هذه الفترة مهتم اهتماما خاصاً بمسائل المنطق والميتافيزيقا ، ومصنفاته جافة بالقياس إلى التى سبقتها .

ى — وتمتاز محاورات الشيخوخة كذلك بالجفاف والجدل الدقيق ، ففى « السوفسطائى » (سوفطس) يحاول أن يحد حداً لهذا المخلوق العجيب ، ثم يتكلم فى الفن وتقسيمه ، وفى تصنيف المعانى إلى أنواع وأجناس ، ويعود إلى مسألة الخطأ والحكم ، ويحلل معنى الوجود واللاوجود .

وفى « السياسى » (بوليطيقوس) يسال ما هو ويعود إلى « الجمهورية » مع شىء من الاعتدال ومراعاة الأحوال . وفى « فيلابوس » ينظر فى منهج البحث العلمي وفى الفن وشرائطه ، وفى اللذة والأخلاق . وفى « تيماوس » يصور تكوين العالم فيذكر الصانع والطبيعة إجمالا وتفصيلا . وفى « أقريتياس » يقصد إلى أن يصور المثل الأعلى للجماعات البشرية بوصف ما كانت عليه أثينا فى زمن متقدم جدا ، ولكنه يترك الحوار ناقصاً ، أما لأن المنية عاجلته قبل أن يتمه وإما لانه تحول عنه إلى تأليف « القوانين » فلم يتيسر له الرجوع إليه . وفى « القوانين » تشريع دينى ومدنى وجنائى فى اثنتى عشرة مقالة ، وهذا المؤلف هو الوحيد الذى خلا من شخص سقراط وقد جمعت له ما عدا ذلك رسائل خاصة . أما كتاب «التقسيمات» الذى يذكره أرسطو فلم يصل إلينا والراجح أنه كان فهرساً مدرسياً . وأما حوارا « الفيلسوف » و«هرموقراطس» فالراجح كذلك أن أفلاطون لم يكتبهما بعد أن أعلن عنهما

أسلوبه :

١ ـ المحاورة الأفلاطونية نوع خاص من أنواع الكتابة نجد فيها فنوناً ثلاثة مؤلفة بمقادير متفاوتة وهى الدراما والمناقشة والشرح المرسل أما أنها دراما فلأن أفلاطون يعين فيها الزمان والمكان وسائر الظروف ، ويعرض فيها أصنافاً من الأشخاص يصورهم أدق تصوير ، ويدمجهم فى حوادث تستحث اهتمام القارئ وتستبق انتباهه إلى النهاية ، ولا تخلو محاورة مهما كانت الدراما فيها ضعيفة من النكتة والهجو . وأهم الأشخاص سقراط يظهر فى جميع أدوار حياته ، ويظهر حوله بحسب المناسبات السوفسطائيون والفلاسفة والشعراء والشبان الموسرون والسياسيون مما يجعل كتب أفلاطون مرآة لعصره تعكسه فى جميع جهاته .

وأما المناقشة فهى نسيج المحاورة ، هى بحث فى مسألة ومحاولة لحلها بتمحيص ما يقال فيها ، يسأل سقراط محدثيه رأيهم فيناقشه ، فيتحولون إلى غيره فيناقشه أيضاً وهكذا . وقد ينتهى الحديث إلى نتيجة وقد لا ينتهى ، ولكنه على كل حال طلب للحقيقة بخلاف الجدل عند السوفسطائيين فانه معارضة قولين لأجل المعارضة ، ومناظرة خصمين كل منهما مصمم على موقفه . ــ والشرح المتصل على نوعين فى مؤلفات الدور الأول والثانى هما الخطاب والقصة : الخطاب يؤيد قضية ويصدر فى الغالب عن محدثى سقراط يقلد به أفلاطون طريقة المتكلم ويغلو فى التقليد ليهزأ منه ، والمتكلم سوفسطائى أو شاعر أو خطيب . غير أن أفلاطون استعمل الخطاب للتعبير عن فكره فى محاورات الكهولة والشيخوخة مثل فيدون والجمهورية والقوانين . وكانت القصة فى البدء حلية يزين بها أفلاطون كلام السوفسطائى أو الخطيب ، ولكنها وردت بعد ذلك ومنذ الدور الأول على لسان سقراط يسردها لا مندمجة فى خطاب بل مستقلة بعد انتهاء المناقشة . ونحن نعلم أن القصة أول أسلوب اتخذه العلم عند قدماء الشعراء واللاهوتين ، فاصطنعها افلاطون ليصور بالرموز ما لا ينال بالبرهان ، وليمثل الغيبيات على وجه الاحتمال ،

فهو تارة يروى تاريخ النفس قبل اتصالها بالبدن أو بعد مفارقته ، ويصف عالم الأرواح ، ويرسم خريطته على طريقة هوميروس فى الأوذيسية ، وطوراً يصور ما كانت عليه الانسانية الأولى من حياة سعيدة قبل ظهور المجتمع السياسى ، ومرة يقص تاريخ الأرض ويذكر أتلنتيد وأهلها . وأخرى يسرد كيفية تكوين العالم إلى غير ذلك[1].

ب — أما أسلوبه فى الفلسفة فهو التوفيق والتنسيق: لم يرَ فى تعارض المذاهب سبباً للشك مثل السوفسطائيين ، وإنما وجد أنها حقائق جزئية ، وأن الحقيقة الكاملة تقوم بالجمع بينها وتنسيقها فى كل مؤتلف الأجزاء . وطريقة التوفيق حصر كل وجهة فى دائرة ، وإخضاع المحسوس للمعقول ، والحادث للضرورى . فنحن نجد عنده تغـير هرقليطس ، ووجود بارمنيدس ، ورياضيات الفيثاغوريين وعقيدتهم فى النفس ، وجواهر ديموقريطس ، وعناصر أنبادوقليس ، وعقل أنكساغورس فضلاً عن مذهب سقراط ، وثمة ظاهرة أخرى هى محاولته تحويل المعتقدات الأرفية آراء فلسفية ، أى وضعها فى صيغة عقلية ودعمها بالدليل . فهو لم يزدر شيئاً من تراث الماضى ، وأراد أن ينتفع بكل شىء ، ثم طبع هذا التراث بطابعه الخاص ، وزاد فيه فتوسع وتعمق إلى حد لم يسبق إليه .

(١) انظر مثلا : غورغياس ص ٥٢٣ — الجمهورية م . ١٠ ص ٦١٤ — فيدروس ص ٢٤٧ — فيدون ص ١٠٧ — أقريتياس بأكملها — تياوس ص ٢١ — ٢٥ و ٢٨ وما بعدها .

المعرفة عن أفلاطون

الجدل الصاعد :

ا — لم يكن إيثار أفلاطون للحوار عبثاً أو إرضاء لنزوعه الأول للقصص التمثيلى ، ولكن معاصر السوفسطائيين وتلميذ سقراط تأثر بالجدل واعتقد مع أستاذه أن الحوار بمرحلتيه هو الطريق الوحيد للبحث فى الفلسفة ، فاصطنع الجدل وتحدى السوفسطائيين فنقل اللفظ من معنى المناقشة المموهة إلى معنى المناقشة المخلصة التى تولد العلم ، وهى مناقشة بين اثنين أو أكثر أو مناقشة النفس لنفسها . بل ذهب إلى أبعد من هذا فاطلق اللفظ على العلم الأعلى الذى ليس بعده مناقشة ، وحدّ الجدل بأنه المنهج الذى يرتفع العقل به من المحسوس إلى المعقول لا يستخدم شيئاً حسيا ، بل ينتقل من معان إلى معان بواسطة معان [1] . ثم بأنه العلم الكلى بالمبادئ الأولى والأمور الدائمة يصل اليه العقل بعد العلوم الجزئية ، فينزل منه إلى هذه العلوم يربطها بمبادئها وإلى المحسوسات يفسرها . فالجدل منهج وعلم يجتاز جميع مراتب الوجود من أسفل إلى أعلى وبالعكس [2] ، ومن حيث هو علم فهو يقابل ما نسميه الآن نظرية المعرفة بمعنى واسع يشمل المنطق والميتافيزيقا جميعاً .

ب — وأفلاطون أول فيلسوف بحث مسألة المعرفة لذاتها ، وأفاض فيها من جميع جهاتها . وجد نفسه بين رأيين متعارضين : رأى بروتاغوراس وأقراطيلوس وأمثالها من

(١) الجمهورية ص ٥١١ (ب)
(٢) الجمهورية ص ٥٣٣ (حـ)

الهرقليطيين الذين يردون المعرفة الى الاحساس ويزعمونها جزئية متغيرة مثله ، ورأى سقراط الذى يضع المعرفة الحقة فى العقل ويجعل موضوعها الماهية المجردة الضرورية . فاستقصى أنواع المعرفة فكانت أربعة : الأول الاحساس وهو إدراك عوارض الأجسام أو أشباحها فى اليقظة وصورها فى المنام . الثانى الظن وهو الحكم على المحسوسات بما هى كذلك . والثالث الاستدلال وهو علم الماهيات الرياضية المتحققة فى المحسوسات . والرابع التعقل وهو إدراك الماهيات المجردة من كل مادة . وهذه الأنواع مترتبة بعضها فوق بعض تتأدى النفس من الواحد إلى الذى يليه بحركة ضرورية إلى أن تطمئن عند الأخير [١] واليك البيان :

حـ — الاحساس أول مراحل المعرفة .

ويدعى الهرقليطيون أن المعرفة مقصورة عليه وأنه ظاهرة قائمة بذاتها متغيرة أبداً ليس لها جوهر تتقوم به ولا قوة تصدر عنها . ولكن لو كان الاحساس كل المعرفة كما يقولون لاقتصرت المعرفة على الظواهر المتغيرة ولم ندرك ما هيات الأشياء ، ولصح قول بروتاغوراس إن الانسان مقياس الأشياء وإن ما يظهر لكل فرد فهو عنده على مايظهر ، فأصبحت جميع الآراء صادقة على السواء المتناقض منها والمتضاد ، وامتنع القول أن شيئاً هو كذا أو كذا على الاطلاق ليس فقط فى النظريات بل فى السياسة والأخلاق والصناعات أيضاً ، فيستحيل العلم والعمل ، ولكنهما ممكنان فالقول مردود . وهو مردود كذلك من جهة أنه

(١) الجمهورية حـ ٦ ص ٥١٠ — ٥١١ .

غير مربوطة بالعلة فلا يعلم للغير لأن التعليم تبيان والشعور بالتبعة ينقضان هذه الدعوى من حيث أن الذكر يعنى دوام الشخص الذى يذكر . ثم إن فينا قوة تدرك موضوعات الحواس على اختلافها وتركبها معاً فى الادراك الظاهرى فتعلم أن هذا الأصفر حلو ، بينما الحواس لا يدرك كل منها إلا موضوعاً خاصا وتفوته موضوعات سائر الحواس . وليس يكفى لفهم اللغة مثلا رؤية ألفاظها أو سماعها ، بل إن الاحساس ينبه قوة فى النفس لولاها ما كان فهم أبداً . ومع اشتراك العالم والجاهل فى الاحساس فان العالم وحده يتوقع المستقبل بعلمه ويؤيد المستقبل توقعه ، مما يدل على وجود قوة تعلم وقوانين ثابتة للأشياء وهذه القوة تضاهى الاحساسات بعضها ببعض وتصدر عليها أحكاماً مغايرة للحس بالمرة ، فتقول عن صوت وعن لون مثلا إن كلا منهما هو عين نفسه وغير الآخر وإن كلا منهما واحد ، وإنهما اثنان وإنهما متباينان : جميع هذه العلاقات يحكم بها المركز المركب . والمضادة وإدراك العلاقة فعلان متمايزان من الاحساس ، فليس العلم الاحساس ولكنه حكم النفس على الاحساس ، وبهذا الحكم يمتاز الانسان على الحيوان الأعجم مع اشتراكهما بالاحساس [١] .

ء — ولكن الحكم يختلف باختلاف موضوعه ، فاذا كان الموضوع المحسوسات المتغيرة من حيث هى كذلك كان الحكم « ظنا » أى معرفة

(١) تيتياتوس ص ١٥٢ و ١٦٠ — ١٩٥ و ١٨٤ — ١٨٦ .

غير مربوطة بالعلم فلا يعلم للتغير لان التعليم تبيان الأمور بعللها ولا يبقى ثابتـــا بل يتغير بتغير موضوعه فى عوارضه وعلاقاته : أنظر إلى الطب والحرب والفنون الجميلة والآلية والسياسة العملية والعلوم الطبيعية تجدها جميعاً متغيرة نسبية لتعلقها بالمادة لا تتناولها المعرفة إلا فى حالات وظروف مختلفة. فليس الظن العلم الذى تتوق إليه النفس إذ أنه قد يكون صادقا وقد يكون كاذباً والعلم صادق بالضرورة. والظن الصادق متمايز من العلم لتمايز موضوعهما، فأن موضوع الظن الوجود المتغير وموضوع العلم الماهية الدائمة. ثم إن العلم قائم على البرهان، والظن تخمين، والظن الصادق نفحة إلهيـة أو إلهام لا اكتساب عقلى، والظن بالاجمال قلق فى النفس يدفعها إلى طلب العلم (١)

هـ — وترقى النفس درجة أخرى بدارسة الحساب والهندسة والفلك والموسيقى، فان هذه العلوم ولو أنها تبدأ من المحسوسات وتستعين بها إلا أن لهـا موضوعات متمايزة من المحسوسات ومناهج خاصة : فليس الحساب عد الجزئيات كما يفعل التاجر بل العـلم الذى يفحص عن الأعداد نفسها بصرف النظر عن المعدودات. وليست الهندسة مسح الأرض بل النظر فى الأشكال نفسها. ويمتاز الفلك من رصد السماء بأنه يفسر الظواهر السماوية بحركات دائرية راتبة بينما الملاحظة البحتة لا تقع إلا على حركات غير منتظمة (٢).

ويفترق العالم الذى يكشف النسب العددية التى تقوم بها الألحان عن الموسيقى الذى يضبط النغم بالتجربة. فهذه العلوم تضع أمام الفكر صوراً كلية ونسباً وقوانين تتكرر فى الجزئيات، لذلك يستخدم الفكر الصور المحسوسة فى هذه الدرجة من المعرفة، لكن لا كموضوع بل كواسطة لتنبيه المعانى الكلية المقابلة لهـا والتى هى موضوعة، ثم يستغنى عن كل صورة حسية ويتأمل المعانى خالصة وهو يستغنى عن التجربة كذلك فى استدلاله، ويستخدم المنهج الفرضى الذى يضع المقدمات وضعاً ويستخرج النتائج : مثال ذلك قد تعرض مسألة للمهندس أو الفلكى فيقول فى نفسه : « أفرض أن حلهـا بالايجاب وانظر ما يلزم من نتائج » أو « أفرض أن حلها بالسلب وأنظر ما يخرج لى » فاذا وجد أن نتيجة كاذبة تلزم من فرض ما انتقل إلى نقيض هذا الفرض وأخذ به. ولكن يلاحظ على هذا المنهج أمران : الأول أنه قد يبين كذب فرض ما ولا يبين صدق الفرض الذى يقف عنـــده إذ قد تخرج نتائج صادقة من مقدمات كاذبة. والثانى أنه يرغم العقل على قبول النتيجة ولا يقنعه لأنه يأخذ المسائل من خلف ولا يستعمل إلا حيث يتعذر النظر المستقيم. ويلاحظ على هذه العلوم أنها لا تكفى أنفسها لأنها تضع مبادئها وضعاً ولا تبرهن عليها باستخراجها من مبادئ عليا، ويمتنع أن يقوم

(١) مينون بأكملها وبالأخص ص ٩٧ و ٩٨. تيماوس ١٨٧ وما بعدها. الجمهورية نهـاية المقالة الخامسة. تيماوس ص ٥١.

(٢) « كان غرض الفلكيين بيان ما يظهر للراصد من الحركات السماوية بأشكال هندسـية بحيث يمكنهم حساب تلك الحركات وإن كانت تلك الأشكال غير مطابقة لحقيقة الأمور » نلينو : علم الفلك تاريخه عند العرب ص ٢٣ — ٣١. أنظر أيضـا : Le système du monde, I, p, 103 : P. Duhen

علم كامل حيث لا توجد مبادئ يقينية . فالرياضيات معرفة وسطى بين غموض الظن ووضوح العلم . هي أرقى من الظن لأنها كلية تستخدم في الفنون والصناعات والعلوم وتعلمها ضروري لكل إنسان وهي أدنى من العلم لأنها استدلالية (١) .

و — والتجربة الحسية والعلوم الرياضية تستحث الفكر على اطراد سيره . ذلك أنه يحكم عليها بأمور ليست لها بالذات وغير متعلقة بمادة أصلا ، كأن يرى الشيء الواحد كبيراً بالاضافة إلى آخر، صغيراً بالاضافة إلى ثالث شبيهاً بآخر أو مضادا أو مبايناً مساوياً أو غير مساو جميلا خيراً عادلا إلى غير ذلك من الصفات المفارقة للأجسام والمتعقلة من غير معاونة الحواس ، فيتساءل عن الكبر والصغر والتشابه والتضاد والتباين والتساوي والجمال والخير والعدالة وما أشبه ذلك كيف حصل عليها وهي ليست محسوسة وهي ضرورية لتركيب الأحكام على المحسوسات ، فيلوح له أنها موجودة في العقل قبل الادراك الحسي (٢) . وهكذا يتدرج الفكر من الاحساس إلى الظن إلى العلم الاستدلالي إلى التعقل المحض مدفوعا بقوة باطنة «وجدل صاعد» لأنه في الحقيقة يطلب العلم الكامل الذي يكفي نفسه ويصلح أساساً لغيره .

نظرية المثل :

ا — وللجدل الصاعد شوط آخر . فان المحسوسات على تغيرها تمثل صوراً كلية ثابتة هي الأجناس والأنواع ، وتتحقق على حسب أعداد وأشكال ثابتة كذلك ، فاذا فكرت النفس في هذه الماهيات الثابتة أدركت أولا أن لابد لاطرادها في التجربة من مبدأ ثابت ، لأن المحسوسات حادثة تكون وتفسد ، وكل ما هو حادث فله علة ثابتة ولا تتداعى العلل إلى غير نهاية . وأدركت ثانياً أن الفرق بعيد بين المحسوسات وماهياتها ، فان هذه كاملة في العقل من كل وجه والمحسوسات ناقصة تتفاوت في تحقيق الماهية ولا تبلغ أبداً إلى كمالها وأدركت ثالثاً أن هذه الماهيات بهذه المثابة معقولات صرفة كالتي ذكرناها الآن : فيلزم مما تقدم أن الكامل الثابت أول ، وأن الناقص محاكاته وتضاؤله ، وأنه لا يمكن أن يكون المعقول الكامل الثابت قد حصل في النفس بالحواس عن الأجسام الجزئية المتحركة . ويقال مثل ذلك من باب أولى عن المجردات التي لا تتعلق بالمادة ، فلا يبقى إلا أن الماهيات جميعاً حاصلة في العقل عن موجودات مجردة ضرورية مثلها لما هو واضح من أن المعرفة شبه المعروف حتما . فتؤمن النفس بعالم معقول هو مثال العالم المحسوس وأصله ، يدرك بالعقل الصرف ، الماهيات متحققة فيه بالذات على نحو تحققها في العقل ، مفارقة للمادة بريئة عن الكون والفساد : الانسان بالذات والعدالة بالذات ، والكبر والصغر والجمال والخير . والشجر والفرس بالذات وهلم جرا ، فهي مبادئ و« مثل » الوجود المحسوس والمعرفة جميعاً : ذلك أن الأجسام إنما يتعين كل منها في نوعه « بمشاركة » جزء من المادة

---

(١) الجمهورية ج ٧ ص ٥٢١ (ج) — ٥٢٢ (ب) .

(٢) الجمهورية المواضع المذكورة وفيدون ص ٦٥ و٦٦ و٧٤ — ٧٥ .

فى مثال من هذه المثل فيتشبه به ويحصل على شيء من كماله ويسمي باسمه ، فالمثال هو الشيء بالذات والجسم شبح للمثال ، والمثال نموذج الجسم أو مثله الأعلى متحققة فيه كمالات النوع إلى أقصى حد ، بينا هي لا تتحقق فى الأجسام إلا متفاوتة بحيث إذا أردنا الكلام بدقة لم نسم النار المحسوسة ناراً ، بل قلنا انها شيء شبيه بالنار بالذات ، وإن الماء المحسوس شيء شبيه بالماء بالذات وهكذا . أما أن المثل مبادئ المعرفة أيضا فلأن النفس لو لم تكن حاصلة عليها لما عرفت كيف تسمى الأشياء ويحكم عليها . المثل معاييرنا الدائمة يحصل لنا العلم أولا وبالذات بحصول صورها فى العقل، فهى الموضوع الحقيقى للعلم ، وعلة حكمنا على النسبي بالمطلق وعلى الناقص بالكامل وعلى التغير بالوجود (١) .

ب — كيف عرفنا هذه المثل وليس بيننا وبين العالم المعقول اتصال مباشر فيما نعلم ؟ إن شيئاً من التأمل يدلنا على أننا نستكشفها فى النفس بالتفكير ؛ فحينما تعرض لنا مسألة نقع فى حيرة ونشعر بالجهل ثم يتبين لنا « ظن صادق » يتحول الى علم بتفكيرنا الخاص أى بجهد باطن أو بالاسئلة المرتبة يلقيها علينا ذو علم . وما علينا إلا أن نجرب الأمر فى فتى لم يتلق الهندسة نجده يجيب عن الأسئلة إجابة محكمة ، ويستخرج من نفسه مبادئ هذا العلم فاذا كنا نستطيع أن نستخرج من أنفسنا معارف لم يلقنها لنا أحد ، فلا بد أن تكون النفس اكتسبتها فى حياة سابقة على الحياة الراهنة (٢) . كانت النفس قبل اتصالها بالبدن فى صحبة الآلهة تشاهد « فيما وراء السماء » موجودات « ليس لها لون ولا شكل » ثم ارتكبت اثما فهبطت الى البدن . فهى إذا أدركت أشباح المثل بالحواس تذكرت المثل (١) . « فالعلم ذكر والجهل نسيان » وكما أن الاحساس الحاضر ينبه فى الذهن ما اقترن به فى الماضي ما يشابهه أو يضاده ، وكما أنا نذكر صديقاً عند رؤية رسمه ، فكذلك الخير بالذات بمناسبة الخيرات الجزئية ، والمتساوى بالذات والجمال بالذات بمناسبة الأشياء المتساوية أو الجميلة وهكذا . فما التجربة إلا فرصة ملائمة لعودة المعنى الكلى إلى الذهن ، وما الاستقراء الا وسيلة لتنبيه ، أما هو فى ذاته فموجود فى النفس ومتصور بالعقل الصرف (٢) .

ح — هذا العالم المعقول مثلنا معه مثل أناس وضعوا فى كهف منذ الطفولة وأوثقوا بسلاسل ثقيلة . فلا يستطيعون نهوضاً ولا مشياً ولا تلفتاً ، وأديرت وجوههم إلى داخل الكهف فلا يملكون النظر إلى أمامهم مباشرة ، فيرون على الجدار ضوء نار عظيمة وأشباح أشخاص وأشياء تمر وراءهم ، ولما كانوا لم يروا فى حياتهم سوى الأشباح فانهم يتوهمونها أعياناً . فاذا أطلقنا أحدهم وأدرنا وجهه للنار فجأة فانه ينبهر ويتحسر على مقامه المظلم ويعتقد أن العلم الحق معرفة الأشباح ثم يفيق من ذهوله وينظر إلى الأشياء فى ضوء الليل الباهت ،

(١) فيدون والجمهورية فى المواضع المذكورة . وفيدون ص ٧٨ و ٩٩ و ١٠١ و ١٠٢ .
(٢) مينون ص ٨٠ — ٨٦ .

(١) فيدروس ص ٢٤٦ وما بعدها . وفيدو ص ٨٢ ما بعدها .
(٢) فيدون ص ٧٠ و٧٧ .

او إلى صورها المنعكسة فى الماء حتى تعتاد عيناه ضوء النهار ويستطيع أن ينظر إلى الأشياء أنفسها، ثم إلى الشمس مصدر كل نور . فالكهف هو العالم المحسوس ، وإدراك الأشباح المعرفة الحسية، والخلاص من الجمود إزاء الأشباح يتم بالجدل، والأشياء المرئية فى الليل أو فى الماء الأنواع والأجناس والأشكال أى الأمور الدائمة فى هذه الدنيا ، والأشياء الحقيقية المثل ، والنار ضوء الشمس ، والشمس مثال الخير أرفع المثل ومصدر الوجود والكمال . فالفيلسوف الحق هو الذى يميز بين الأشياء المشاركة و بين مثلها ، ويجاوز المحسوس المتغير إلى نموذجه الدائم ، ويؤثر الحكمة على الظن ، فيتعلق بالخير بالذات والجمال بالذات (١).

ء — والآن كيف تمت لأفلاطون هذه النظرية ؟ لقد وصل اليها بالتفكير فى المذاهب السابقة ، فانه أخذ عن أقراطيلوس وهرقليطس أن المحسوسات لتغيرها المتصل لا تصلح أن تكون موضوع علم ، وكان سقراط يطلب الكلى فى الخلقيات فاعتقد أفلاطون أن هذا الكلى لمغايرته المحسوس يجب أن يكون متحققاً فى موجودات مغايرة للمحسوسات، وأسمى هذه الموجودات مثلا. أما المشاركة فهى اسم آخر لمسمى وجده عند الفيثاغوريين : فانهم كانوا يقولون إن الأشياء تحاكى الأعداد أو تشابهها فأبدل هو اللفظ وقال إن الأشياء تشارك فى المثل دون أن يبين ماهية هذه المشاركة ، غير أن الفيثاغوريين لم يكونوا يجعلون الأعداد مفارقة وإنما قالوا إن الأشياء أعداد ، ولم يكن سقراط ينصب الماهيات أشياء قائمة بأنفسها (١)، ففطن أفلاطون إلى أنه « لما كان الكلى يغاير المحسوسات من حيث هى كذلك فيجب وضع الكليات فوق الجزئيات » (٢) فتحقق له بها موضوع للعلم وعلل صورية أو نماذج للمحسوسات ، وتحقق له ما كان يرمى إليه أنبادوقليس بقوله بالمحبة أو الخير، وأنكساغورس بقوله بالعقل والنظام والكمال ، ثم أخذ عن الفيثاغوريين فكرة حياة سابقة وأحال التوليد السقراطى تذكيراً. فالقارئ يرى كيف تلاقت كل هذه المذاهب فى مذهب أفلاطون وتلاءمت فوفقت بين المحسوس والمعقول والتغير والوجود

هـ — ولم يكن أفلاطون غافلا عن صعوبات نظريته فقد عاد إليها يمتحنها (٣) فرأى أن المنطق يقضى عليه أن يضع مثلا للمشابهة والواحد والكثير والجمال والخير وما شاكلها ، ولكنه يقول إنه كثيراً ما تردد فى وضع مثل للانسان والنار والماء . . . وأنه يجد من الغرابة بمكان عظيم أن يكون هناك مثل للشعر والوحل والوسخ ، وما إلى ذلك من الأشياء الحقيرة ، ثم ينتهى إلى أن هذا التردد إنما يعرض له لأنه يلحظ رأى الناس ولأن الفلسفة لم تستول عليه بعد بالقوة التى يرجو أن تستولى يوما ، وحينئذ فلن يشعر فى نفسه

(١) مفتتح المقالة السابعة فى الجمهورية .

(١) ولا أفلاطون فى محاوراته الأولى ولكنها فيها مكتسبة بالاستقراء .

(٢) أرسطو : مابعد الطبيعة م ١ ف ٦ وم ١٣ ف ٤ باختصار

(٣) فى محاورة بارمنيدس ص ١٣٠ — ١٣٣

باحتقار لشيء . وينتقل إلى المشاركة ، فيقول إذا كانت أشياء عدة تشترك فى مثال واحد ، فاما أن يوجد المثال كله فى كل واحد من هذه الأشياء وهذا يعنى أن المثال متحقق كله فى نفسه ومتحقق كله فى كل واحد من الأشياء أى مفارق لنفسه ، وهذا خلف . وإما أنه يوجد مقسما فى الأشياء المشاركة فيه وحينئذ يفقد بساطته من جهة ، ويلزم القول من جهة أخرى أن جزء الكبير بالذات ينقلب صغيراً بالنسبة إلى كل الكبير ، وأن كل الصغير بالذات يصبح كبيراً بالنسبة إلى جزئه ؛ أى أن الشيء المشارك يصير على خلاف الشيء المشارك فيه ، وهذا خلف كذلك . ثم إن الغاية من نظرية المثل إنما هو وضع جزئيات عدة تحت مثال واحد يقال عليها ، ولكن هذه الوحدة ممتنعة لأنه إذا ساغ لنا أن نضع الكبير بالذات فوق الكبار المتكثرة لتشابهها فى هذه الصفة ، فان تشابه المثال والأشياء الكبيرة يحتم علينا أن نضع لنفس السبب كبيراً آخر فوقها جميعا وهكذا إلى غير نهاية . وليس يغنى القول أن المثال تصور فى العقل ، وأنه من حيث هو كذلك يمكن أن يقال على كثيرين دون أن يفقد شيئاً من وحدته ؛ فان العقل إنما يتصور بالمثال شيئاً حقيقياً هو الماهية المشتركة بين كثيرين ، وهذه الناحية المشتركة هى المثال فلم يتغير الموقف . أما إن قيل إن نسبة الجزئى إلى المثال ليست كنسبة الجزء إلى الكل بل كنسبة الصورة ، إلى النموذج ، أمكن الاجابة أن النموذج فى هذه الحالة يشبه الصورة فيتعين أن نضع فوقهما نموذجاً آخر يشتركان فيه وهكذا إلى ما لا نهاية ... ولكنه يعود فيقول إن هذه الصعوبات ليست ممتنعة الحل ، وإنما يتطلب حلها عقلا ممتازاً ؛ أما إذا وقفنا عندها وأنكرنا المثل فلسنا ندرى إلى أين نوجه الفكر : أإلى التغير المتصل فيمتنع العلم ؟ أم إلى الوجود الثابت فيمتنع العلم كذلك ؟ إن المثل « نقط ثابتة » فوق التغير تفسره وعليها هى يقع العلم . ولكن...

الجدل النازل :

ا — ولكن العلم حكم بأن شيئاً ما هو كذا أو كذا والمثل قائمة بأنفسها فكيف يمكن الحكم عليها . والحكم يعنى أن شيئاً (الموضوع) مشارك فى شيء (المحمول) ؟ أتكون المثل منفصلة بعضها عن بعض أم مشاركة كلها فى كلها أم بعضها مشارك فى بعض دون بعض ؟ الفرض الأول يرجع إلى مذهب بارمنيدس أى إلى السكون التام فيستحيل معه الحكم ، فانه إذا لم تكن الحركة مشاركة فى الوجود فليس هناك حركة ، وإذا لم يكن السكون مشاركا فى الوجود فليس هناك سكون . والفرض الثانى يرجع إلى موقف هرقليطس أى إلى الاختلاط العام والتغير المتصل فيستحيل معه الحكم كذلك . فاننا إذا قبلناه لزم منه أن السكون فى حركة ، وأن الحركة فى سكون . يبقى الفرض الثالث وهو الصحيح . والجدل هو الذى يتبين ملاءمة المثل بعضها لبعض . وهو رأس العلوم يجعل العلم ممكناً لأنه يرى المثل مترتبة فى أنواع وأجناس أى يرى بعضها مرتبطا بالبعض بوساطة مثل أعلى وأعم . وهذه مرتبطة كذلك بمثل أعلى وأعم وهكذا إلى مثال أول قائم فوقها

جميعا هو الخير بالذات . ويرى مبادئ العلوم مترتبة من الأخص إلى الأعم حتى يصل إلى مبدأين أساسيين هما مبدأ عدم التناقض ومبدأ العلية . الأول قانون الفكر بين بنفسه لا يقام عليه برهان ولا اعتراض ويقوى استمسا كنا به إذا نظرنا إلى ما يترتب على إنكاره من نتائج هي النتائج التي ينتهي إليها بروتاغوراس وأضرابه . ومبدأ العلية قانون التغير وهو على شكلين : مبدأ العلة الفاعلية والعلة الغائية . ويضع الجدل هذه العلاقات في أحكام . فالحكم الذي يعني أن الشيء هو هو ، وفي آن واحد شيء آخر (المحمول) يعني أن المثال الواحد يشارك في مثال آخر (وفي غيره) مع بقائه هو هو ، والعلم استقصاء هذه المشاركات بين المثل ، فان أضاف مثالا لمثال مشارك فيه كان صادقا ، وإن ألف مثالين ليس بينهما مشاركة كان كاذبا (١) .

ب — كيف يمكن الحكم الكاذب أو الخطأ ؟ إن الحكم الكاذب يعبر عما ليس موجوداً واللاوجود غير موجود ، فلا يمكن أن يكون موضوع فكر أو إحساس أو قول . كيف يمكن أن تتصور النفس (بالمحمول) غير ما تتصور (بالموضوع) فلا تعلم ما تعلم أو تعلم ما لا تعلم ؟ شغلت المسألة أفلاطون فعالجها في « تيتياتوس » وعاد إليها في « السوفسطائي » . قال في المحاورة الأولى : ينشأ الخطأ عندما نحاول أن نوفق بين إحساس ومعنى سابق محفوظ في النفس ، كما إذا رأيت سقراط فأضفت هذه الرؤية إلى صورة تيودورس وبالعكس ، فليس الخطأ معرفة كاذبة بل ذكراً كاذباً وتنافراً بين المعرفة الحسية والمعرفة التذكرية . ولكن ما القول إذا كان الطرفان فكرتين مثل أن ٥ + ٧ = ١١ ؟ النفس تخطىء في اختيار أحد الطرفين من بين المعاني المحفوظة كما يخطىء الذي يتناول يمامة من قفص وهو يطلب حمامة . ولكن أليس هذا عوداً إلى الصعوبة الأولى وهي أن النفس تعلم ما لا تعلم أو لا تعلم ما تعلم ؟ وينتهي الحوار من غير حل ولا يحل الأشكال إلا في « السوفسطائي » فيهتدي أفلاطون إلى أن اللاوجود قد يعني ما هو نقيض الوجود وما هو لاوجود ما ، وأن اللاوجود في الحكم هو من النوع الثاني : فحينما نتحدث عن اللا كبير نقصد الصغير أو المساوي ، أي نقصد وجوداً هو غير الكبير ، فالخطأ تفصيل أو تركيب حيث لا ينبغي بين أطراف وجودية ، وفي الخطأ يقع الفكر على وجود هو غير الوجود المقصود ويعلم نوعا من العلم . — وقد كان لهذا التمييز بين معنيي اللاوجود شأن كبير فانه مهد السبيل لقول أرسطو إن الوجود يطلق على أنحاء عدة ولحل إشكالات بارمنيدس .

حـ — كيف يستكشف الجدل العلاقات بين المثل ليؤلفها في أحكام ؟ وبعبارة أخرى كيف يرتب المثل في أجناس وأنواع فيتصور العالم المعقول على حقيقته ؟ بالنزول من أرفع المثل إلى أدناها — وهذا هو الجدل النازل ، ووسيلته القسمة ، فان قسمة الجنس ممكنة بخاصيات نوعية

---

(١) بارمنيدس والسوفسطائي في مواضع مختلفة — فيدون ص ١٠٣ — ١٠٥ .

تضاف اليه فتضيّق ما صدقه ، وتجعل فيه أقساماً مختلفة لها أسماء مختلفة وتشترك مع ذلك فى معنى واحد (١) . وللقسمة قواعد تتبع ومخاطر تجتنب : يجب أن تطابق طبيعة الشيء فلا تقسم إلا حيث تقتضى الطبيعة القسمة كما يجزأ الحيوان فى مفاصله من غير تهشيم ، ويجب أن تكون تامة فتستخرج من الجنس نوعين أو ثلاثة ومن كل منهما صنفين أو ثلاثة حتى تنتهى إلى البسائط . أما مايتحرز منه فهو اعتبار المركب بسيطاً والعرضى جوهريا والقسمة المثلى هى الثنائية كأن نقول : السياسة علم والعلم نظرى وعملى والسياسة تدخل فى الطائفة الأولى ، والعلم النظرى علم يأمر وعلم يقرر والسياسة تدخل فى الطائفة الأولى وهكذا حتى يتعين معنى السياسة (٢) ، أوكأن نحاول تعريف السوفسطائى فنمضى من قسمة إلى أخرى حتى نبلغ إلى التعريف الذى لاينطبق إلا عليه (٣) . فالقسمة تبدأ من اللامعيّن وتتدرج إلى التعيين أى أنها تتأدى من وحدة الجنس إلى كثرة الأنواع ومن وحدة المبدأ إلى كثرة النتائج ، فالجدل النازل منهج مكمل للجدل الصاعد وهو آمن منه وأكفل باستيعاب الأقسام جميعاً .

ى — هذا إيجاز لابحاث أفلاطون فى المعرفة فيها منطق وفيها ميتافيزيقا كما قلنا : أخذ الحد والاستقراء عن سقراط وتعمق فى تفسير الحكم ولكنه أقامه على مشاركة المثل بعضها فى بعض وهى أغمض من مشاركة المحسوسات فى المثل ، واقترب من القياس بالقسمة الثنائية ؛ فانها عبارة عن وضع علاقة بين طرفين بوساطة طرف ثالث علاقته بهما معلومة ، ولكنها لا تشبه القياس إلا من بعيد كما سيبين أرسطو (٥٠ هـ). ونظر فى أصول المعرفة نظراً دقيقاً عميقاً وبلغ إلى عالم معقول هو أساس المعرفة والوجود المحسوس، فكان وضعه المثل جواهر قائمة بأنفسها توكيداً لهذا الوجود الأعلى لفت به الانسانية بقوة إلى الفرق بين الجزئى والكلى والمحسوس والمعقول فلن تنسى الانسانية هذا الفرق، غيرأنه فى أواخر أيامه وفى دروسه الشفوية مال عن سقراط إلى الفيثاغورية فاستبدل الأعداد بالمثل وتابعه تلاميذه الأولون حتى قال أرسطو مؤرخ هذه المرحلة الأخيرة : « لقد أصبحت الرياضيات عند فلاسفة العصر الحاضر كل الفلسفة ولو أنهم يقولون إنها إنما تدرس لأجل الباقى» (١) ، فكأنه فى محاولته البلوغ إلى المعقولية التامة أراد أن يلغى المادة الكثيفة المستعصية على التجريد والتعقل وأن يرد الوجود كله اعداداً ونسباً عددية فيلغى الظن من المعرفة ولا يستبقى غير العلم فى شكله الرياضى ، وسيظل هذا الهدف مطمح أنظار كثيرين من المفكرين يكفى أن

(١) الجمهورية ص ٤٣٧ .

(٢) السياسى ص ٢٥٨ — ٢٦٧ .

(٣) السوفسطائى ٢١٨ — ٢٣١ .

(١) ما بعد الطبيعة م١ ف ٩ ص ٩٩٢ع ١ س ٣٢ — ٣٥ ، وانظر أيضاً عن هذه المرحلة المقالتين ١٣ و ١٤ من الكتاب المذكور.

نذكر منهم ديكارت لندل على شدة جاذبية هذه الوجهة .

السياسة

المدينة الفاضلة :

ا — السياسة عند أفلاطون العدالة فى المدينة كما أن الفضيلة العدالة فى الفرد . لذلك يفتتح القول «فى الجمهورية» بالرد على السوفسطائيين والبرهنة على أن العدالة قائمة على الطبيعة لا على العرف ، وغرضه أن يبنى مدينته على أساس من العدالة متين ثم ينظر فى الاجتماع فيقرر أنه ظاهرة طبيعية ناشئة من تعدد حاجات الفرد وعجزه عن قضائها وحده . تألف الناس أولا جماعات صغيرة تعاونت على توفير المأكل والمسكن والملبس ، ثم تزايد العدد حتى ألفوا مدينة ، فلم تستطع أن تكفى نفسها بنفسها ، فلجأت للتجارة والملاحة . هذه المدينة الأولى مدينة الفطرة ، مثال البراءة السعيدة وليس لها من حاجات إلا الضرورية وهى قليلة ترضيها بلا عناء . يقنع أهلها بالشعير والقمح والخضر والثمار والخبز الخفيفة فيعيشون عيشة سليمة ويعمرون ، لا يعرفون الفاقة ولا الحرب. ولكن هذا العصر الذهبى انقضى يوم فطن الناس إلى جمال الترف والفن فنبتت فيهم حاجات جديدة واستحدثوا صناعات لارضائها. وضاقت الارض بمن عليها فنشبت الحروب وتألفت الجيوش . هذه المدينة الثانية هى المدينة المتحضرة وهى عسكرية . فعلى أية صورة نبنى مدينتنا لنحقق فيها العدالة ؟ يجب أن نشخص بأبصارنا إلى « المدينة بالذات » : نجد أن بينها وبين النفس شبهاً قوياً ، فان للمدينة ثلاث وظائف : الادارة والدفاع والانتاج ، تقابل قوى النفس الثلاث : الناطقة والغضبية والشهوانية ، وهذه الوظائف متباينة ، فلا يمكن أن تتركب المدينة من أفراد متساويين متشابهين ، وانما يجب أن تتركب من طبقات متفاوتة لكل منها وظيفة وكفاية خاصة لهذه الوظيفة ، وأن يؤلف مجموعها وحدة تشبه وحدة النفس فى قواها الثلاث ، فترتب الطبقات فيما بينها كترتب القوى النفسية والفضائل الخلقية وإلا توزعت الجهود وبذلت اتفاقا وفات الناس الغرض من الاجتماع. هذه الطبقات الثلاث هى: الحكام والجند والشعب. والطبقتان الاولى والثانية حراس المدينة ، فكيف نحصل على حراس أشداء فضلاء ؟ (١) .

ب — يجب على الذين يتولون بناء المجتمع المنشود أن يميّزوا من بين الأحداث أصحاب الاستعداد الحربى ، فيفصلوهم طائفة مستقلة ويتعهدوهم بالتربية . عليهم أن يرتبوا لهم رياضة بدنية تنشئهم أصحاء أقوياء . وعليهم أن يغذوا نفوسهم بالآداب والفنون . فتكون التربية واحدة للجميع إلى حوالى الثامنة عشرة ، وتكون سهلة لذيذة لأن الاكراه لا يكون الرجال الأحرار ، وتكون فاضلة : تبدأ بالقصص الجدية البريئة الحاثة على الخير ، ويستبعد منها قصص هوميروس وهزيود ومن نحا نحوهم من الشعراء ، فانها مرذولة من حيث المادة ومن حيث الصورة . أما من

(١) الجمهورية م ٢ ص ٣٦٩ (ب) وما بعدها .

حيث المادة فقد سممت عقول اليونان وأفسدت ضمائرهم بما تروى عن الآلهة والأبطال من أخبار الخصومات وقبيح الأفعال ، وبما لا تفتأ تردده من أن الرجل العادل يعمل لخير غيره وشقاء نفسه ، وبما تصف من هول الموت وتفاهة الحياة الأخرى مما يوهن العزيمة ، ويقعد عن الجهاد فى سبيل الوطن . وأما من حيث الصورة فان الفن يقوم بالمحاكاة ويخلق المحاكاة ، والشعر بألفاظه وأوزانه يحاكى كل شىء : القوى الطبيعية والحيوانات والبشر والنزعات الرفيعة والشهوات الدنيئة ، فيبعث فى النفس مثل ما يصف من العواطف والأفعال ، والمحاكاة المتصلة تصير عادة ، فتلقين الحراس القصص القديمة يفسد طبيعتهم . فنحن مع إعجابنا بمحاسن هذا الشعر ننعته بأنه معلم وهم ، ونعمد إلى صاحبه فنضع إكليلا على رأسه ونشيعه إلى حدود المدينة فتنفيه منها ونحن نترنم بمديحه . ولا نستبقى غير الشاعر عف اللسان سديد الرأى هادئ النسق يحاكى الخير ليس إلا (١) .

حـ ــ وينتقل أفلاطون من الشعر الهوميرى إلى الفن بالاجمال (٢) ويتحامل عليه ويتعسف فى نقده ، فهو لا يرى الفن شيئاً أولا له قيمة فى ذاته ، ولكنه يضعه فى المرتبة الثالثة بعد المثال أو الوجود الحق ، وبعد صورته المحسوسة المتحققة فى الطبيعة ، فان الفن يحاكى الوجود الطبعى ، وهذا الوجود يحاكى المثال ، فالفن صورة الصورة وشبح الشبح : يصنع النجار السرير محاكياً مثال السرير ويصور المصور سرير النجار ، فهو ليس حاصلا على العلم الحق الذى موضوعه المثال أو الشىء بالذات ولا على الظن الصادق ، وإنما هو جاهل مخادع يأخذ على نفسه محاكاة الأشياء الطبيعية فيبرزها مشوهة فى غير نسبها الحقيقية من حيث المقدار والشكل ، ولكنه لا يخدع إلا عن بعد ولا يخدع إلا الجهلاء . كذلك قل فى الشاعر ، فانه لو كان يعلم حقاً ما يتظاهر بعلمه لكان يعمل بدل أن يقول ــ لكان يقود الجيوش أو يشرع القوانين وهوميروس لم يفعل شيئاً من ذلك ، ولكان يؤثر أن يحيا حياة مجيدة ، وهوميروس ارتضى لنفسه أن يكون قصاصاً للحياة المجيدة وراوية . فالفن بالاجمال أداة إيهام وتخييل ، والشعر دجّال كالتصوير إذا نزعت عنه سحر اللفظ والتوقيع بدا شاحباً فقيراً ، وهو يستطيب وصف العواطف وهى متقلبة متنوعة ، ولا يجد له موضوعا فى العقل الثابت الهادئ فيهيج العواطف ويشل العقل ، مثله مثل طاغية يقلد السلطة للأشرار ، ويضطهد الأخيار : فانه يوحى العطف على أفعال وانفعالات رديئة ، ويضعف إشرافنا على الجزء الشهوى من النفس فيحرك فينا البكاء تارة والضحك طوراً ، ويدفعنا ونحن نشهد التمثيل إلى استحسان ما ننكر فى الحياة الحقيقية وإلى التصفيق لما نغضب له فى الواقع . والتراجيديون لا يرمون لغير إحراز إعجاب الجمهور ، والجمهور لا يميل للأشخاص الحكماء الرزينين ، بل يطلب أشخاصاً شهويين متقلبين تملأ تقلباتهم وشهواتهم القصة فيلهو بها ويميل معها إلى كل جانب ، وأما الكوميديا

(١) الجمهورية م ٢ و٣ .
(٢) الجمهورية م ١٠ .

فهى رديئة بالذات تضحك من اخواتنا فى الانسانية وتنمى حاجة المزاح والسخرية ، وإذن فعلى الشارع أن يراقب جميع مظاهر الفن وجميع الفنانين من شعراء ومغنين وممثلين ومصورين وغيرهم ، فيخلق بيئة كلها جمال سليم رزين ، وينشيء مواطنين كاملين يتوجهون إلى الفضائل عفواً ، ويصون نفوسهم من كل خدش ، إذ ليست الغاية من الفن توفير اللذة بل التهذيب والتطهير .

ى — ولاشك أن وضع أفلاطون الفن فى المرتبة الثالثة بعد المثال وشبحه المحسوس تحامل وتعسف ، وكان المعقول أن يساوى بين الفنانين والصناع فيعترف للأولين أنهم يحاكون المثل مباشرة كما يحاكيها الآخرون ، ولكنها حماسة الحرب دفعته إلى المغالاة . والغيرة الحارة على الخير نبهته إلى مخاطر الفن ، فراح يمتهنه ويذله وهو الفنان العظيم . وعلى أى حال لم يكن فى وسع أفلاطون أن يتابع القائلين بالفن لأجل الفن بعد أن ميز بين الخير والشر ونصب الطهارة مثلا أعلى للانسان وهو يعلن أن المسألة مسأله العدالة وأن الواجب إيثار العدالة على كل شيء . وإنما شدد النكير على الشعر الهوميرى لأن هذا الشعر كان قوة هائلة يأخذ عنه اليونان جيلا بعد جيل حكمة الحياة فى الأخلاق والدين والسياسة والحرب والصناعات ؛ فكان خطره عظيما وسحره فعالا . وكما أن أفلاطون حارب السوفسطائيين وعارض بيانهم بالفلسفة ؛ فقد أراد أن يخضع لها الفن أيضاً ويقيده بحدودها . — لنعد إلى منهج التربية وبناء المدينة .

الحكومة المثلى :

ا — وعند الثامنة عشرة ينقطع الحراس عن الدرس ويزاولون الرياضات البدنية والتمرينات العسكرية ، فاذا ما بلغوا العشرين فصل الأجدرون منهم طائفة على حدة يعكفون على دراسة الحساب والهندسة والفلك والموسيقى ، وهى العلوم التى تستغنى عن التجربة وتستخدم البرهان ؛ فتنبه الروح الفلسفى . وواضح أنهم لايستطيعون ، مع مالهم من المقام الرفيع وما عليهم من التكاليف العديدة ، أن يسعوا لتحصيل معاشهم ، فيجب أن نوفره لهم ونحن بهذا التوفير نهيء لهم الفراغ اللازم لاستكمال تهذيبهم ، ونبعد عنهم كل مامن شأنه أن يغريهم بأن يحولوا وظيفتهم إلى تسلط واستمتاع فينقلبون سادة وطغاة ، ونحن نريدهم حراساً ليس غير. لذلك يعيشون معاً ويأكلون معاً، يقدم لهم الشعب مؤونتهم فلا يحتاجون لذهب ولا فضة فيحظر عليهم اقتناء أى شيء منهما، سواء أكان نقوداً أم آنية أم حلياً ، ويحظر عليهم التصرف بشيء من ذلك ؛ بل رؤيته إن أمكن ، إذ أن الحكم خدمة لا استغلال ، والحراس لأجل المدينة وليست المدينة لأجل الحراس . يحمد هؤلاء للشعب إطعامه إياهم ، ويحمد الشعب لهم حراستهم إياه فينتفى الحسد والنزاع (١) . — فيرى القارىء أن ما يضاف عادة لأفلاطون من اشتراكية وشيوعية، إنما هو مقصور على طبقة الحراس ، ولهم عنده وظيفتان : الادارة والدفاع ، أما الانتاج وبه تتم

(١) الجمهورية م ٣ ، وبالأخص ٤١٥ (د) — ٤١٧ (ب) .

للمدينة وظائفها الثلاث فتروك للشعب من زراع وصناع وتجار يتملكون مصادره وآلاته تملكا شخصياً، ويستغلونها ويتاجرون بنتاجها كما يرون على شرط أن يؤدوا لمن فوقهم الضريبة الواجبة، وأن تحصر الملكية فى حدود معقولة؛ بحيث لايثرى الشعب فيتهاون فى العمل أو يتركه، ولا تسوء حاله فيعوزه المال للصناعة والتجارة، ولا يثرى البعض دون البعض فينقسم طائفتين متنابذتين : الأغنياء والفقراء . وهذا الانقسام آفة الدول غير المنظمة تنظيما عقليا . وليس تحريم الملك على الحراس تشريعاً اقتصادياً، ولكنه تدبير سياسى يرمى إلى الفصل بين السلطة التنفيذية والمال، لكيلا تفسد به، ويقوم الصراع فى نفوس الحراس بين الواجب العام والمنفعة الذاتية

ب ــ والحراس ذكور وأناث على السواء يسرى عليهم جميعاً نفس النظام . نعم إن المرأة أضعف من الرجل ونحن لانغضى عن هذا التفاوت، إلا أنها مهيأة لنفس الوظائف ؛ فقد تصلح للطب أو للموسيقى أو للرياضة أو للحرب أو للفلسفة كما تصلح للأعمال المنزلية ، فليس ما يمنع من تكليف النساء الحراسة إذا ساوين الرجال فى الكفاية لها ، فان الأصل فى الوظيفة انها لخير المجموع وأنها تقلد للكفء دون أى اعتبار آخر، وإذن فنحن نكلف المرأة ذات الاستعداد كل أعمال الحراس تقوم بها متشحة فضيلتها، وندع الحمق يضحكون ، والغاية من أخذ النساء بهذه التربية أن نوفر للدولة نساء ممتازات إلى جانب الرجال الممتازين ينجب منهم نسل ممتاز ، فمصلحة الدولة هى التى تقتضى ذلك وتتطلب منا التغاضى عن العرف ومعارضته . وكما أنا انتزعنا من نفوس الحراس شهوات الحياة المادية فانا ننتزع منها أيضاً عواطف الاسرة وشواغلها فيحظر على الحراس أن تكون لهم أسرة ويكونون جميعاً للجميع لكن لا اتفاقاً، يقيم الحكام كل سنة ، فى أحسن الأوقات وأسعد الطوالع، حفلات دينية يجمعون فيها الحراس من الجنسين ويوهمونهم أن اقترانهم سيكون بالقرعة ، تفادياً من التحاسد والتخاصم ، والحكام يقصدون فى الحقيقة أن يعقدوا لكل كفء على كفئه ، فيعقدون زواجاً رسمياً ، ولكنه مؤقت ، الغرض منه الانسال على قدر حاجة الدولة وتحسين النسل بمقتضى القواعد المرعية فى الحيوان . ويوضع الأطفال فى مكان مشترك يعنى بهم فيه أناس خصيصون ، وتأتى الأمهات يرضعنهم دون أن يعرفنهم ، فلا يوجد بين الحراس قرابة معروفة ، ولكنهم جميعاً أسرة واحدة يعتبر بعضهم بعضاً قريباً ، ويعامل بعضهم بعضا على هذا الاعتبار ، فينفسح مجال التعاطف والتحاب . هذا والأسرة مباحة للشعب مع شىء من المراقبة لمنع الزيادة البالغة فى عدد السكان فان ولد للشعب أو للحراس أطفال فى غير الزمن المحدد أعدموا كما يعدم الطفل ناقص التركيب ، والولد فاسد الأخلاق ، والضعيف عديم النفع ، والمريض الذى لا يرجى له شفاء ، لأن الغاية هى أن يبقى عدد السكان فى المستوى الذى يكفل سعادة المدينة ، وأن يحتفظ بقيمتهم البدنية والخلقية(١) .

---

(١) الجمهورية م ٥ .

حـ — وإذا ما بلغ الحراس الثلاثين يميز من بينهم أهل الكفاية الفلسفية رجالا ونساء ، الذين يتوفر فيهم محبة الحق وشرف النفس وضعف الشهوة وسهولة الحفظ . واجتماع هذه الصفات نادر وتأليفها بالقدر اللازم عسير ، فالحراس الفلاسفة أقلية يقضون خمس سنين فى دراسة الفلسفة والمران على المناهج العلمية ليجيدوا فهم الحقيقة والدفاع عنها ، ثم يزج بهم فى الحياة العامة ويعهد اليهم بالوظائف الحربية والادارية إلى سن الخمسين ، فالذين يمتازون فى العمل كما قد امتازوا فى النظر يرقون إلى مرتبة الحكام ويدعون الحراس الكاملين ، فهم خلاصة الخلاصة قد زال من نفوسهم فى هذه السن الطمع وما زال النشاط ، فيعيشون فلاسفة متوفرين على تأمل المعقولات الصرف والخير المطلق ، ويتناوبون الحكم يزاوله كل بدوره (وهذه هى الموناركية أى حكم الفرد العادل) أو جماعة جماعة (وهذه هى الأرستقراطية أى حكم الطائفة العادلة) على حد سواء ماداموا محافظين على المبادىء . وإنما نريد الحكام فلاسفة لأن التربية الأولى خلقت فى الحراس ظنوناً صادقة وعواطف طيبة ، مستعينة بالطبع والتطبع لا بالعلم ، فيمكن أن تضعف الظنون بالنسيان وأن تلين العواطف للخوف أو للاغراء . فلا بد أن يكون الحكام فلاسفة يعلمون الخير ويريدونه إرادة صادقة . والفيلسوف هو الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يتصور القوانين العادلة تصوراً علميا وأن يلقنها للآخرين بأصولها وبراهينها فتدوم فى المدينة ، بينا تصور السياسيين العمليين ، إن أصاب ، فهو ظنى لا ينقل للغير فيقبر معهم . وعلى ذلك فالفلسفة هى الوسيلة الوحيدة لوضع سياسة محكمة مستديمة ، ويجب تحضير أذهان الجمهور لهذا الانقلاب ، والجمهور ميال لاعتقاد أن الفلسفة عديمة النفع للمدنية ، ولكن متى استخدمت فلم تفلح ؟ هم السوفسطائيون الذين وضعوا الفلسفة موضع سخرية بمغالطتهم ومخاتلتهم ، وساعد على الاستخفاف بها أنه كثيراً مايتصدى لها الجهلاء الأدعياء ، وأن الشبان يلجونها قبل الأوان ويتركونها قبل الأوان كأنها فترة انتقال بين زمن التحصيل والحياة العملية ، ويعتبرونها حلية يحسن أن يتحلوا بها لكن على أن تكون خفيفة سريعة . وقد قلنا إنه لاينبغى الاشتغال بها قبل الثلاثين ، وإنه يجب التهيؤ لها بالفضيلة التى تخلص النفس من الشهوات وتعدها لقبول الحق ، فان الحق لاينكشف للنفس تطلبه وهى منقسمة على نفسها بل للنفس المخلصة تتوجه إليه بكليتها . فلنعمل على علاج هذه الحال لعل الشعب يدرك يوما أن الفلاسفة أصلح الناس لاقامة شىء من النظام الالهى على هذه الأرض ، أو لعله يولد للملوك أبناء ذوو استعداد للفلسفة يحتفظون بهذا الاستعداد حتى إذا آل إليهم السلطان أسلموه للفلاسفة فيتم إنشاء المدينة المثلى على أسرع الوجوه وأيسرها. وتدوم المدينة المثلى مادام الحكام معنيين بالأطفال مستبقين طبقة الحراس فى المستوى اللائق ، ينزلون إلى الطبقة الثالثة من يلحظون فيه انحطاطاً من أولاد الحراس ويرقون إلى الحراسة من يتوسمون فيه الصلاحية لها من أولاد الشعب .

فتظل المدينة واحدة متحدة ، حكيمة من حيث أن أولى الامر فيها حكماء ، شجاعة من حيث إن التربيـة الفاضلة قد طبعت العدالة فى قلوب الحراس فعرفوا ما يطلب وما يجتنب ، عفيفة تكبح شهواتها وتنظم ملذاتها وتحارب الترف والفقر على السواء(١) .

ى ـــ هذا نموذج يحتذى ولـكنه لا يحقق بالتمام لأن كمال المثال يمتنع على كل ماهو محسوس، وما يحقق من هذا النموذج لا يدوم لأن كل مايتكون فهو عرضة للفساد لامحالة ، وإذافسدت مدينتنا تدهورت من حكومة إلى أخرى أردأ منها حتى تبلغ أسوأ الحكومات كأنها مدفوعة بقوة قاهرة وقانون ضرورى. والحكومات خمس: فقد سبق القول إن الحكومة الفاضـلة إما أن يتولاها فرد فتسمى موناركية أوملكية ، وإما أن يتولاها جماعة فتسمى أرستقراطية . ولا فرق بين الحكومتين وإنماهما واحدفى الحقيقة . ويحدث أن يخطىء الرئيس أو الرؤساء فى اختيار الوقت الملائم للتزويج فينجب للدولة أولاد حين لم يكن يجب ـــ أو أن يخلطوا بين الأكفاء وغير الأكفاء فينجب للدولة أولاد بعيدون عن مشابهة آبائهم حكمة واعتدالا ـــ أو أن يتهاونوا فى تربية الأحداث ـــ فيضطرب النظام وتنشب الفتن ، ولكن الحكام والجند يتغلبون آخر الامر لأنهم ما يزالون ممتازين وما تزال القوة فى أيديهم . غير أنهم لا يعيدون النظام إلى نصابه ، وقد انحطت قيمتهم بفساد الوراثة أو التربية ، بل يستغلون غلبتهم لمنفعتهم الذاتية ، فيقتسمون الأراضى والدور ويستخدمون الشعب فى شئونهم الزراعية والصناعية بعد أن كان الشعب حرا يوفر لهم أسباب المعاش ، ويهملون الدرس والنظر مؤثرين المال والسلطان : وهذه هى الطيموقراطية أو حكومة الطامعين : ـــ ويصبح للمال أهمية عظمى ، ويثرى البعض دون البعض، ويقتضى نصاب مالى لولاية الوظائف العامة ، فتتفكك وحدة الجماعة وتنقسم المدينة إلى اثنتين: الأغنيـاء والفقراء ، وتسود الشهوات الدنيئة ويكثر اللصوص : وهذه هى الأوليغركية أو حكومة الأغنيـاء . ـــ ويزداد الأغنيـاء طلبا للثروة ، فيقرضون الشبان الموسرين مالا بالربا ينفقه هؤلاء فى الملذات فيصيبهم الفقر وتبقى لهم نعرتهم فيبدو لهم أن يعارضوا الثروة بالقوة ، فيثيرون الشعب فيفوز الفقراء الأقوياء على الأغنياء المترفين : وهذه هى الديموقراطية أو حكومة الكثرة ، وشعارها الحرية والمساواة المطلقة دون اعتبار لقيم الرجال . ـــ ويبرز من بين دعاه الديموقراطية وحماة الشعب أشدهم عنفا وأكثرهم دهاء ، فينفى الأغنياء أو يعدمهم ، ويلغى الديون ويقسم الأراضى ، ويؤلف لنفسه حامية يتقى بها شر المؤامرات، فيغتبط به الشعب ويستأثر هو بالسلطة . ولكى يمكن لنفسه ويشغل الشعب عنه ويديم الحاجة إليه يشهر الحرب على جيرانه بعد أن كان قد سالمهم ليفرغ إلى تحقيق أمنيته فى الداخل . ويقطع رأس كل منافس أو ناقد . ويقصى عنه كل رجل فاضل ، ويقرب

---

(١) الجمهورية م ٤ و ٥ و ٦ .

إليه جماعة من المرتزقة والعتقاء ، ويجزل العطاء للشعراء الذين نفيناهم من مدينتنا ، فيكيلون له المديح كيلا . وينهب الهياكل ويعتصر الشعب ليطعم حراسه وأعوانه، فيدرك الشعب أنه انتقل من الحرية إلى الطغيان ، وهذه هى الحكومة الأخيرة . والحكومات الأربع الفاسدة مراحل تمثل استفحال الشر وافتيات الطبقات السفلى فى المجتمع والقوى السفلى فى النفس على الطبقات والقوى العليا : فالطيموقراطى مولع بالمجد والسلطان ، هو الشجاعة خرجت عن طور العقل — والاوليغركى شره للمال ؛ خلو من كل عاطفة شريفة — والديمقراطى متقلب مع الاهواء ليس لحياته قاعدة وليس فيها إكراه ، يتوهم خيره فى الحرية المسرفة فيقتله هذا الاسراف — والطاغية متهتك مبذر سارق مجرم خائف أبداً ، لا يعاشر غير الاشرار ، ويعاشرونه ليفيدوا منه ، إلا أن العدالة وحدها تكفل السعادة للفرد وللجماعة ، وأقل حيدة عنها تودى بهما جميعا (١).

هـ — هذا تلخيص المقالات السياسية فى الجمهورية يتبين منه القارئ أن أفلاطون نهج منهج الرياضى ، يضع الأصول ويستخرج نتائجها دون التجاء للتجربة، كأن بنى الانسان آحاد مجردة أو أشكال هندسية ، وكأن طبائع الاجتماع تطيع المشرع كما يطيع الصلصال يد الخزاف . ولقد ظن الفيلسوف أنه يحتاط للامر بما فيه الكفاية إذا هو أراد المدينة على أن تكون صغيرة لاتزيد ولا تنقص فيسهل تحقيق العدالة فيها على النحو الذى تصور ، ولكنه وضع لذلك قيوداً فظيعة وقوانين وحشية ، وبالغ فى تقدير القوة البدنية وفى تمثيل الانسان بالحيوان ؛ ولو أنه ذكر فى هذا الموقف مذهبه فى النفس الناطقة . وشرفها وجمالها لكان نبا عن هذه المخازى التى أخذها عن الاسپرطيين الغلاظ . كما أخذ عنهم بدعة المرأة الجندية فأخطأ فهم طبيعة المرأة وحقيقة شأنها فى المجتمع ، وهو الذى أقام مدينته على تفاوت الاستعدادات ، وعرف أن المرأة أضعف من الرجل بالطبع لم يفطن إلى أنه لا خير للجندية فى المرأة ؛ ولا للمرأة فى الجندية . ولو أنه ذكر مذهبه فى النفس لكان احترم النفس فى كل جسم ولم يزهقها جزافاً ، ولكان فهم الزواج الانسانى على انه اتحاد النفس بالنفس لا يخضع لارادة غريبة تعقده وتحله كما تشاء ، ولكان فهم أن روابط الأسرة أكبر عامل على تهذيب الطبع وترقيق الشعور ، وتمدين الانسانية ؛ فان انفصمت لم تمح الأنانية كما توهم ، بل محيت المحبة ، وانما تنشأ المحبة من هذه الروابط المعروفة المحسوسة بين أفراد الأسرة . ولم يكن أفلاطون أكثر توفيقا فى مسألتى الحرب والرق ؛ فانه يكيل هنا بكيلين الواحد لليونان والآخر للاعاجم . ينصح للمدن اليونانية أن تتعهد فيما بينها العلائق الودية ؛ بل أن تتحالف وتؤلف أسرة واحدة ، فان تحاربت فلا تدمر ولا تحرق ، ولا يسحق الغالب جميع أهل المدينة المغلوبة كأنهم أعداء . بل يضرب الأقلية التى أثارت الخصام ، ويعامل الباقى معاملة الأصدقاء ، ويقصر

(١) الجمهورية م ٨ .

التدمير والتحريق والسحق على محاربة الأعاجم . ثم هو يصرح بأن اليونان لا يسترق بعضهم بعضاً وإنما يسترقون الاعاجم ، لان الرجل العدل لا يسترق قريبه وصديقه بل يسترق عدوه (١). — الحق أن قارىء « الجمهورية » ينتظر من صاحبها غير هذه العدالة المنقوصة ، وإن هو التمس له العذر بأن الحرب ضرورة يمتنع تفاديها ، وأن الرق كان قديماً فى حكم الضرورة ، فهو لا يفهم أن تقصر العدالة على اليونان دون سائر خلق الله بعد أن علم أن الاساءة إلى العدو هي أولا وقبل كل شيء إساءة إلى الذات . لقد بدا لأفلاطون أن يطالع مثال الانسان وهو ينظم حياة الفرد ، ثم فاته أن يطالعه وهو ينظم المدينة والانسانية .

المدينة الانسانية :

ا — عرض أفلاطون « لموجات ثلاث » (٢) هى تجنيد المرأة وشيوعية النساء والأولاد وحكومة الفلاسفة ، وجهد نفسه فى اجتيازها وظن بعد كفاحه الجدلى أنه قد أفلح فى ذلك وبلغ الشاطىء الأمين فتكفلت الأيام برده إلى الحق وأقنعته أن مدينته المثلى ممتنعة التحقق لامتناع وجود الفيلسوف الكامل ، وهو إنما بناها لاعتقاده الذى ما يزال راسخا فى نفسه أن الفيلسوف هو الحاكم الأكمل والملك الحق ، يرجع لحكمته فى كل ظرف ويحكم بما توحى إليه ، فهو يفضل القانون الموضوع لأن الأحوال الانسانية دائمة التغير ، والقانون صلب لا يلين لجميع المناسبات . فالفيلسوف هو القانون الحى وحكمه هو الحكم العدل ، أما سائر الحكومات فالأحرى أن تسمى عصابات . ولكن هذا الحاكم الأمثل حديث خرافة أو ما يشبه ذلك ، والناس لا يصدقون أن إنساناً مثلهم يستطيع أن يضطلع بالسلطة المطلقة دون أن تنتابه نشوة القوة فيفقد كل عقل وكل صفة إنسانية . فيجب أن نعدل عن حلمنا الجميل ، وأن نقنع بحكومة أدنى وأقرب إلى حال الانسان هى حكومة قائمة على دستور . فى مثل هذه الحكومة ، الديموقراطية أقل صلاحية من الأرستقراطية ، وهذه أقل صلاحية من الملكية ، لأن الفرد أقدر على تطبيق الدستور من الكثرة ، والكثرة أقدر من الكافة ، أما الحكومة التى لا يقيدها دستور فإن حالها تسوء حتما ، حكم الفرد فيها طغيان ، وحكم الجماعة أوليغركية ، وأقل منهما ضرراً الديموقراطية لأن تداول السلطة فيها يؤدى إلى تعارض النزاعات الضارة وتناسخها (١).

ب — فالواجب أن يكون للدولة دستور — وهذه الفكرة أصل كتاب « القوانين » وهو آخر وأوسع ما كتب أفلاطون . موضوعه التشريع لتحقيق المثل الأعلى للمدينة كما رسمته « الجمهورية » ، لكن مع مراعاة طاقة الانسان ومقتضيات الحياة . وهو ينقسم بالاجمال ثلاثة أقسام : المقالات ١ — ٤ : مقدمة عامة فى أن التشريع يجب أن يقوم على الفضيلة والعدالة ، والمقالات ٥ — ٨ فى نظام الدولة السياسى وقوانينها . والمقالات ٩ — ١٢ فى الجزاءات من ثواب وعقاب .

(١) الجمهورية م ٥ ص ٤٦٩ (ب) — ٤٧١ (ح).

(٢) الجمهورية م ٥ ص ٤٥٧ (ب)

(١) محاورة « السياسى » ص ٣٠١ — ٣٠٣ .

ففى المقالة الأولى ينعى أفلاطون على المشرعين والسياسيين رأيهم أن الدولة حربية قبل كل شيء وأن النصر المبين قهر العدو الخارجي، ويذهب إلى أنه التغلب على العناصر الرديئة فى النفس وفى المدينة وتعهدها حتى تنصلح، فخير الحالات السلم لا الحرب، وهو الغاية التى يجب على المشرع أن يتوخاها فى وضع دستوره، والشجاعة الحربية أدنى نوعى الشجاعة، والنوع الأرفع والاشق مغالبة اللذة وقمع الشهوة، فالشجاعة الحربية فى المحل الرابع بعد الحكمة والعفة والشجاعة الادبية.

ونأخذ من المقالة الثالثة أن خير الحكومات، الارستقراطية المقيدة بهيئات نيابية تكفل التوازن بين السلطات المختلفة، وهى وسط بين الطغيان والديموقراطية: الطغيان يسرف فى حب السلطة والديموقراطية تغلو فى حب الحرية فكلاهما ردىء فى ذاته ولكن المزج بينهما بالقدر الملائم ينتج النظام الامثل فى هذه الحياة الدنيا — ولا يذكر أفلاطون الطبقات الثلاث المقابلة للقوى النفسية، ويصطنع قسمة أخرى ثلاثية كذلك: فيضع المواطنين وعبيدهم من ناحية، والصناع والغرباء يحترفون التجارة من ناحية أخرى، وجيشاً أهليا من ناحية ثالثة. ويعدل عن الشيوعية ولو أنه مايزال يرى فيها دواء الاثرة، إلا أنه قد أيقن أن البشر « يولدون وينشئون كما نرى اليوم » لاقبل لهم بها، وإنها إنما تصلح لموجودات أسمى من البشر، فهو يقول بالملكية لكنه يحض المالك على أن يعتبر ملكه خاصا بالمدينة كما هو خاص به. وهو يقول بالأسرة ويشيد بكرامة الزواج ولكنه يبقى على رأيه فى تحديد النسل لأنه يستبقى مدينته صغيرة ويحدد عدد الأسر بخمسة آلاف وأربعين « لأن هذا العدد ينقسم بالتمام على الاعداد الاثنى عشر الأولى ما خلا أحد عشر » (!!)، ويخص كل أسرة بحصة من الارض لا تباع ولا تجزأ بل يورثها الاب لمن يختار من أبنائه الذكور. ويعتبر فى تقدير الحصة نوع التربة بحيث لا يغبن أحد. والحصة قسمان الواحد قريب من المدينة والآخر بعيد، ويغلب أن يكون القصد حمل المواطنين على محبة المدينة كلها والدفاع عن القلب والاطراف على السواء. وتكتفى الاسرة بغلاتها فلا تقتنى ذهبا ولا فضة، وتحظر الحكومة تداول النقد إلا بمقدار ما يلزم لشراء الضروريات وصرف أجور العمال، فلا تزيد الثروة، وهذا خير للدولة لان فلاحها يقوم بالفضيلة وحدها، أما عدم تساوى الاسر فى الثروة فسبب للحسد والشقاق (م ٥).

والسلطات سبع: ١) حراس الدستور وعددهم ٣٧ يحافظون عليه ويحولون دون تعديله. ٢) القواد وعددهم ثلاثة يعينون الضباط لمختلف فرق الجيش. ٣) مجلس الشيوخ وأعضاؤه ٣٦٠ يحكمون بالاتفاق مع حراس الدستور، يتداولون السلطة كل ثلاثين منهم شهراً، وفى باقى السنة يعنون بشؤونهم الخاصة. ٤) الكهنة والكاهنات فى عدد يكفى لاقامة الطقوس والعناية بالهياكل. ٥) الشرطة. ٦)

« وزير للتربية » ينتخبه الشيوخ لخمس سنين ٧٠) المحاكم : وهى ثلاث : واحدة لفض الخلافات الشخصية وتؤلف من جيران المتخاصمين . وأخرى تستأنف إليها الخصومات التى تعجز المحكمة الاولى عن فضها ، والثالثة للحكم فى الجنح والجنايات. وأفلاطون يريد التربية فاضلة بالطبع ، ولكنه يلطف من صرامته بازاء التراجيديا والكوميديا ، فيسمح بهما على شرط أن تعرض القصص على « قلم مراقبة » ، وألا يتعاطى مهنة التمثيل المرذولة سوى العبيد والاجانب . وهو يعلن هنا أن الرق ضرورة يقبلها على كره ، وأن السبب فى انحطاط الرقيق ليس الطبيعة ، بل سوء المعاملة (م ٦) .

ح — ويمضى أفلاطون فى سرد القوانين وتبيان الجزاءات ويعنى بأن يمهد لكل قانون « بمذكرة إيضاحية » وأن يعقب عليه بعظة خلقية . لأن القانون الخليق بهذا الاسم صنع العقل ونتيجة العلم يصدر العقل فيولد العلم ، ولأن حقيقة الشارع أنه هاد ومرب يقنع قبل أن يأمر (م ٤) . ويرتقى أفلاطون إلى أصل القوانين والمبدأ الذى تستمد منه سلطانه فيقول إن الله لا يحكمنا مباشرة بل بوساطة العقل الذى وهب لنا ، فالقوانين التى يقررها العقل تحاكى قوانين العناية الالهية وترمى إلى الخير العام فالخضوع لها واجب : — ولكنه يسرف فى التقنين والتنظيم ، ويتدخل فى أدق الشئون فيبين أن عقليته الرياضية لم تفارقه ، وأنه ما يزال يرنو إلى مدينته الأولى ، ويعتقد أن الأمور الاجتماعية والاقتصادية من البساطة بحيث يمكن إخضاعها للقانون ، وكل الفرق هو أنه يحاول أن يستخرج من عقل الملك الفيلسوف الحكمة السياسية كلها دفعة واحدة ليحلها محله ، ناسيا ما قرره من أن الاحوال الانسانية دائمة التغير وأن القانون أصلب من أن يتلاءم مع كل حال . وهو يرمى إلى إقامة حكم العقل والعدل واستبقاء وحدة الامة بتلطيف الاثرة الشخصية إلى الحد الادنى ، وبالحيلولة دون البدع ، فيضع مجموعة واسعة من الاوامر والنواهى تخنق كل استقلال فى الفكر ، وتجرد الفرد من نزعاته الطبيعية لتتركه آلة صماء وعبداً للدولة ، فهو ينتهى إلى صورة من الحكم المطلق هى أعقد صورة وأعجزها عن تحقيق الغرض من الحكومة ، غير أنه خلف لنا عدداً كبيراً من الآراء الجزئية هي ربح صاف للاجتماع والسياسة .(١)

يوسف كرم

« إفلاق » هو الاسم التركى لـ « ولاشيا Wallachia » : فى عام ١٣٩١ م دفع أميرها مركيا Mircea الجزية للدولة العثمانية ولكن بلاده ظلت مع ذلك مستقلة ، فقد كان للأشراف حق انتخاب الأمير ثم يأتى الترك فيثبتونه فى منصبه . واستمر الحال بصفة عامة على ما هو عليه إلى معاهدة أدرنة عام ١٨٢٩ م ، ومع ذلك فقد أصاب شروط هذه المعاهدة التغيير أكثر من مرة خلال تلك

(١) هذا المقال بدة من كتاب الفلسفة اليونانية الذى ألفه الأستاذ وتطبعه لجنة التأليف والترجمة والنشر

المدة وخاصة عند ما كان يمتنع أحد الأمراء عن دفع الجزية ، أو عند ما ترى الروسيا أو النمسا أن تتدخل فى شئون الولايات ، مثال ذلك ما حدث فى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى ، وهو أن ابن « درا كول » ، وكان سيئ السيرة يطلق الترك عليه «قازيقلو فيوده» (أى صاحب الخازوق) ثار على السلطان وقتل السفير التركى بالخازوق ، وكانت هذه سنته . ثم عاث فى بلاد البلغار فساداً مما دعا السلطان محمداً الثانى إلى أن ينفذ إليه حملة أرغمته على الفرار إلى بلاد المجر ، ونصب مكانه « رادول » عام ١٤٦٢ م ولما توفى رادول هذا عام ١٤٧٧ م عاد ذلكم الطاغية . ولكن سرعان ما قتل عام ١٤٧٩م . وحوالى نهاية القرن السادس عشر الميلادى نجح الأمير ميخائيل فى بسط سلطانه على ترنسلفانيا والبغدان ولكن إلى أمد وجيز ، لأنه قتل عام ١٦٠١ م ، ثم جرت العادة بعد ذلك أن يدفع الأمراء الأموال الطائلة إلى الباب العالى فكان من نتيجة هذا أن هؤلاء الأمراء أرهقوا كاهل السكان بالضرائب ، وظهر هذا بصفة خاصة عند ما أخذت الأسر اليونانية الفنارية منذ عام ١٧١٦ م تمد أمراء الأفلاق والبغدان بالمال . ومع أن الباب العالى كان يصدر أوامره من حين إلى آخر بتحديد الجزية والهبات الإجبارية وإلغاء العشور من الغلال والأغنام والأخشاب فقد استمرت الحال على سوئها ، بل إنها لم تتحسن بالاتفاق الذى تم فى أوائل القرن التاسع عشر بتحريض الروسيا ، والذى يقضى بتعيين الأمراء مدة تسع سنوات ولا يجوز عزلهم إلا بعد موافقة السفير الروسى ، ثم ألغى هذا الاتفاق فى أدرنة ، وبهذا أصبح الأمراء يعينون مدى الحياة ، وفرض عليهم فوق الجزية دفع مبلغ كبير دفعة واحدة بدلا من العشور كما فرض اتفاق أدرنة على الترك الجلاء عن المدن الواقعة على الضفة اليسرى لنهر الدانوب ، وهى « بريله » Braile وجيرجيو Giorgiu وترنوبجورله Turnu Magurele وحرم على المسلمين الإقامة الدائمة فى الإمارات . ولما انتخب كوزا Cuza عام ١٨٥٨ م أميراً على الأفلاق والبغدان معاً ، وأعلن ضم الولايتين ووافق الباب العالى على ذلك انفصمت الصلة بين تركيا والأفلاق ولو أن رومانيا لم تعترف بها كمملكة مستقلة إلا فى معاهدة برلين عام ١٨٧٨ م ؟

« أَفْلَاك » (انظر مادة « فَلك »)

« أَفْلَح بن يَسَار » (انظر مادة « أبو عَطاء » ج ١ ، ص ٣٧٩ من الترجمة العربية)

« أُفن » (انظر مادة « بودابست »)

« أَفندى » كلمة تركية عثمانية استعيرت من الكلمة الإغريقية البوزنطية ’αφέντης

(انظر Du Cange) التى أخذت من الكلمة اليونانية القديمة αὐθέντης' أى السيد والمولى: اصطلاح فى لغة القانون وقد استعملها كل من فرينيقوس Phrynicus وپوليبيوس Polybius ويوروپيدس Europides فى هذا المعنى. ولقب أفندى يعطى للأشخاص المثقفين المتعلمين. ويطلق لقب أغا على عامة الناس وصغار الضباط ثم يطلق عليهم لقب أفندى عند مايتمون تعليمهم. ومعنى أفندم السيد أو السيدة وترخم عادة وفى حالة المزاح فيقال «افم» ويطلق على قاضى القسطنطينية أيضا لقب استانبول أفنديسى.

وكان «رئيس أفندى» أى رئيس الكتاب يقوم على وزارة الخارجية قبل الاصلاح. وكان السلطان ينادى بـ «أفندمز» أى مولانا أحيانا. وأطلق المصريون لقبا مشابها هو «أفندينا» على الخديو.

ولقب أفندى هو لفظ عثمانى خالص وقد شاع فى جميع البلاد التى ظهر فيها النفوذ العثمانى.

المصـــادر

(١) T. Psichari : *Efendi* فى *Mélanges* Haret ص ٣٨٧—٤٢٧ (٢) A.de Biberstein Kazimirski : *Dictionnaire Arab-Français* ج ١، ص ٤١ (٣) Barbier ed Meynard : *Dictien. Tu;e- Français* ، ج١،ص٤٢—٤٣

[هيوار C. I. Huart]

«أُفْيُون» كلمة معربة عن الكلمة اليونانيـــة ὀ´πιον' وهى تصغير ὀπός' وليس الأفيون سوى العصـــير المتجمد المستخرج من رأس الخشخاش غير الناضج (Papaver Somniferum وبالعربية الخشخاش). ويظهر أن آسية الصغرى كانت منذ القرن الأول إلى القرن الثانى عشر بعد المسيح البلاد الوحيدة التى تصدر الأفيون. ومنها عرف العرب زراعة الأفيون أثناء غزواتهم ونشروه فى جميع البلدان الإسلامية ولذلك يزرع الآن فى الهند الشرقية وفى فارس وتركيـة آسيا ومصر والصين. وطريقـــة استخراج الأفيون كما يصفها ديسقوريدوس تشبه تماماً الطريقـة التى لا تزال تتبع إلى اليوم فى آسية الصغرى وهى أن يقطف الخشخاش ويشق عدة شقوق رقيقة، وتعجن فى اليوم التالى الصمغة التى سالت وتجمدت على شكل أقراص صغيرة.

ومنذ القدم عرفت خواص الأفيون وجربت فى الطب كما استعمل بوجه خاص كأداة للاستمتاع ؟

المصـــادر

(١) القزوينى : طبعة فستنفلد، ج ١، ص ٢٨٢ (٢) ابن البيطار : المقـــدمات، بولاق ١٢٩١ هـ، ج ١، ص ٤٥ (٣) أبو منصور الموفق : كتاب الأنبية، طبعة سلجمان، ج ١، ص٣٦ (٤) ابن العوام : كتاب الفلاحة، ترجمة كليمان ومالبه Clement - Mallet، ج ٢، ص ١٢٩ وما بعدها (عن زراعـة الخشخاش فى البساتين).

[هل Hell]

« أق » ومعناها أبيض وهى ترد كثيرا فى الأسماء التركية المركبة أعلاماً لأشخاص أو لأماكن .

« اقا رضا » (انظر مادة « رضا »)

« إقامة » : هى النداء الثانى الذى ينادى به المؤذن المسلمين فى المسجد إلى الصلاة قبل كل صلاة فى أوقاتها الخمس ، وقبل صلاة الجمعة . وتعين الإقامة اللحظة التى تبدأ الصلاة فيها وعبارتها هى بعينها عبارات الأذان (انظر مادة «أذان» المجلد الأول للترجمة العربية لهذه الدائرة) وتردد الحنفية عبارات الإقامة كما فى الأذان تماما . أما المذاهب الفقهية الأخرى فتنطق بها مرة واحدة فقط مع استثناء التكبيرة التى تردد مرتين فى أول الإقامة وفى آخرها . وبعد « حى على الفلاح » التى تكرر مرتين ينطق بعبارة « قد قامت الصلاة » مرتين . وتعتبر الإقامة فى كتب الفقه سنة وتسن الإقامة عند كل صلاة ، وإن كان المصلى منفردا، ويقول متوخ (E. Mittwoch : *Zur Entstehungsgeschichte des islamischen Gebets und Kultus, Abh. d. kgl. preuss. Akad. d Wissensch. 1913 phil. hist.Kl* ، تعليق ٢ ، ص ٢٤) إن المسلمين استعاروا عبارات الإقامة من البركات التى تتلى فى صلاة اليهود ، فى حين يقول بكر (O. H. Becker : *Zur Geschichte des Islamischen Kultus,Der Islam* ، ج ٣ ، ص ٣٨٩) إنها نشأت من الأذان الذى نسج فيه على منوال القداس عند النصارى[1] (انظر المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢٧١ ، س ١٤ — ١٥) .

وتدل الإقامة على فعل المؤذن الذى يتبعه بدء الصلاة (انظر فيما يختص بهذا المعنى اللغوى بروكلمان : Brockelmann — *Iqamat as Salat Festschr. E. Sachau*، ١٩١٥م ، ص ٣١٤ — ٣٢٠ ؛ T.Weiss : *Der Islam* ، ج ٧ ، ١٩١٦م ، ص ١٣١ — ١٣٦ ؛ انظر اقام الصلاة وأقيمت الصلاة فى هامش التنبيه للشيرازى : طبعة جوينبل ، والبخارى ، صحيح ، أذان ، رقم ٢٣ — ٢٤) ومع ذلك فإن الإقامة فى كتب الفقه تفسر أيضا بالنداء الذى يقصد به دعوة المسلمين إلى النهوض للصلاة (الباجورى ، طبعة بولاق ، ١٣٠٧ هـ ، ج ١ ، ص ١٦٧ ، س ١٢) ؟

---

(١) نقل أصحاب دائرة المعارف فى مادة الاقامة عن متوخ أن المسلمين استعاروا عبارات الأقامة من البركات التى تتلى فى صلاة اليهود ، ونقلوا عن بكر أن الأقامة نشأت من الأذان الذى نسج فيه على منوال القداس عند النصارى ، ثم قالوا (انظر المقريزى ج ٢ ، ص ٢٧١ ، س ١٤ — ١٥) وهذا يفهم منه أن فى المقريزى ما يدل لهذين القولين ، وكل ذلك غير مسلم لهم ، وكان ينبغى أن يبينوا الصلة التى بين الاقامة

المصــــادر

انظر زياده على كتب الحديث والفقه الدمشق :

والبركات التى تتلى فى صلاة اليهود ، والصلة التى بين الأذان والقداس عنـد النصارى لنعلم قيمة دعواهم بأن المسلمين استعاروا الاقامة من البركات ، وبأن الأذان نسج فيه على منوال القداس .

والذى فى صحيح البخـارى وكتب السير يفيد أن الأذان شرع مراعى فيه عدم التشبه باليهود والنصارى فقد نقل البخارى عن ابن عمر : أن المسلمين حين قدموا المدينة كانوا يجتمعون فيتحينون الصلاة، ليس ينادى لها، فتكلموا يوماً فى ذلك ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : بل بوقا مثل قرن اليهود ، فقال عمر : أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يابلال قم فناد بالصلاة .

وقد رجعنا الى الجزء الثانى من الخطط للمقريزى فى الموضع الذى عينوه فلم نجد فيه ما يدل على ما قالوا ، وقد أردنا أن نتعرف منشـأ هذا الاشتباه . فرأينا المقريزى فى ص ١٧٢ من الجزء الثانى عرض للتسبيح فى الليل على المآذن الذى ابتدع فى مصر فى عصر متأخر ولم يكن عند سلف الأمة فقال : وأول ما عرف من ذلك أن موسى بن عمران الخ وذكر ما يدل على أن اليهود كانوا يقومون عنـد ثلث الليل الأخير ويقولون نشيداً منزلا بالوحى ، فيه تخويف وتحذير وتعظيم لله تعالى وتنزيه له تعالى إلى وقت طلوع الفجر .

فلعلهم وهموا فظنوا المقريزى يتكلم عن أولية الأذان وهو إنما يتكلم عن أولية التسبيح الذى يفعل فى الليل على المآذن كما قدمنا .

وما قالوه فى بيان المذاهب الفقهية الأخرى غير مذهب الحنفية فى صفـة الاقامة لا ينطبق على مذهب الامام مالك ، فان ألفاظ الاقامة عنـده مفردة حتى قد قامت الصلاة — وليس عنـده من ألفاظها ما يثنى الا التكبير .

محمد عرفه

رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة ، بولاق ١٣٠٠ هـ ، ص ١٤ وما بعدها .

[Th. W. Juynboll جوينبل]

« اقتباس » معناها : طلب القبس وهو الشعلة أو الجمرة من نار أخرى (انظر سورة طه ، آية ١٠ ؛ سورة النمل ، آية ٧ ؛ سورة الحديد آية ١٣) ثم استعيرت الكلمة لطلب العلم . أما معناها الاصطلاحى فى علم البلاغة فهو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث دون الإشـــارة إلى ذلك ، فإذا أشير إلى المقتبس منه وضمن الاقتباس فى الشعر سمى ذلك « عقداً » ، وإذا كان الاقتباس من الشعر وليس من القرآن أو الحديث ووُضع فى شعر آخر سمى ذلك « تضميناً » ، ويجوز فى الاقتباس أن يحتفظ بالوضع الأصلى للعبارة المقتبســـة أو يدخل عليها التغيير . وهناك خلاف كبير فى جواز هذا ، والمالكية لا يجوزون الاقتباس بصفة عامة فى حين يجوزه اخرون فى حالات خاصة منها الوعظ والصلاة والمديح متبعين فى ذلك سنة الرسول وهو مكروه عندهم فى الشعر . ومع ذلك فغير هؤلاء يسمحون به حتى فى الشعر ويشترطون لذلك حسن النية . ومن المحظور تماما تحريف كلام الخالق بحيث ينسب للمخلوق أو استعمال الآيات القرآنية فى المجون . ولكننا فى الواقع نجد أن مثل ذلك الاقتباس وتلك الاشارات كانت كثيرة الشيوع حتى فى المصنفات المعيبة

مثل كتب الباه كما أن الخلاف فى كتابة البسملة قبل الشعر (ابن رشيق ، العمدة ، طبعة القاهرة ، عام ١٣٢٥ هـ ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧) لم تكن له نتيجة عملية[1]. وقد ذكر الفهرست (ص ١٠٤ ، س ١٢) [2] كتاب المقتبس للمدائنى المتوفى عام ٢١٥ أو ٢٢٥ هـ وكتابا آخر للمرزبانى (الفهرست. ص١٣٣، س٢٥) [3] ولكننا لا نعرف على التحقيق ما إذا كان للاقتباس فى هذين المصنفين هذا المعنى الاصطلاحى. وفى كتاب « أساس الاقتباس » لاختيار الدين المتوفى عام ٩٢٨ هـ (بروكلمان Brockelmann ، جـ ٢ ، ص ١٠٣) جعل الاقتباس يشمل الأمثال والأشعار والحكايات القصيرة [4] ؟

---

(١) هذا الخلاف لا معنى له . ولم يرد فى الكتاب والسنة ما يمنع من كتابة البسملة قبل الشعر .

(٢) توافق (ص ١٥٢ س ٣) من طبعة المكتبة التجارية بمصر سنة ١٣٤٨

(٣) توافق (ص ١٩٢ س ١٦) واسم الكتاب هناك (كتاب المقتبس فى أخبار النحويين البصريين وأول من تكلم فى النحو وأئمة وأخبار القراء والرواة من أهل البصرة والكوفة ومن نزل منهم مدينة السلام) ووصفه ابن النديم بأنه حوالى الثمانين ورقة فهذا واضح أنه ليس من باب الاقتباس الاصطلاحى المفسر هنا .

(٤) وهذا أيضاً ليس مطابقاً تماماً المراد من المعنى الاصطلاحى . بل ان مؤلف الكتاب — وهو مطبوع فى الاستانة سنة ١٢٩٨ ثم طبع بمصر — أتى فيه بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وحكم من الشعر والنثر ونحو ذلك . فهو مجموعة أدبية مقتبسة من أصول الأدب ، بمعنى الاقتباس اللغوى فقط .

أحمد محمد شاكر

المصـــــادر

(١) *Dict. of techn. terms* ، ص١١٨٧
(٢) Mehren : *Rhetorik der Araber* ، ص ١٠٠ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ٢٠١
(٣) Garcin de Tassy : *Rhétorique et Prosodie* ، ص ٢٠٢
(٤) لسان ، جـ ٨ ، ص ٤٨ .

[مكدونالد D. B. Macdonald.]

« آقچه » كلمة تركية معناها مائل الى البياض وهى تستعمل للدلالة على المسكوكات الفضية أو النحاسية وخاصة الصغيرة القيمة منها مثل العملة الروسيه الكوبك ونصف الكوبك وفى تركيا عملة معروفة باسم « آقچه » وهى تساوى ثلث البارة أو أسبر واحداً (انظر مادة علاء الدين باشا) أما فى الأقطار العربية والفارسية فالفلس والپل (انظرها تين المادتين) لهما نفس المدلول ؟

«أق حصار» ومعناها القصر الأبيض، وهو اسم يطلق على أربع جهات :

(١) وأشهر الأماكن المعروفة بهذا الاسم مدينة فى إقليم أيدين من أعمال الأناضول تقع فى سهل فسيح على مقربة من الشاطئ الأيسر لنهر كردق . وكانت هذه المدينة تسمى فى العصور القديمة ، وفى العصر البوزنطى ثياتيرا Thyateira ، وقد اشتقت اسمها التركى من اسم قلعة قائمة على ربوة

مجاورة . ويبلغ عدد سكانها ١٢٠٠٠ نسمة ثلاثة أرباعهم مسلمون . وكل مبانيها من الخشب إلا ستة مساجد وبعض كنائس ومدرسة وسوقا وذلك يكسبها شكل القرية الكبيرة الغنية . وتتصل بمدينة سومه (وكانت تسمى قديماً ساردیس Sardes) فى الشمال ومغنيسة Magnesie (مانيسا Manissa) وأزميرفى الجنوب بوساطة الخطوط الحديدية وقد أصبحت مدينة أق حصار بفضل ارتقاء وسائل المواصلات مركزاً تجارياً هاماً . وهى قصبة قضاء عدد سكانه ٣٢٠٠٠ نسمة تكثر فيه زراعة القطن والخشخاش الجيد (V. Cuinet : *La Turquie d'Asie* ، جـ ٣ ، ص٥٤٨ وما بعدها) ويقال إن أق حصار هذه ألحقت بالدولة العثمانية لأول مرة عام ١٣٨٢م . وقد أفلتت هذه المدينةمن يد الترك أثناء الاضطرابات التى أعقبت غزوة تيمور ، وقهرخليل يخشى بك الثائر جنيداً بالقرب من أق حصار وكان قد استولى على هذا الأقليم عام ٨٢٩ هـ (١٤٢٥ — ١٤٢٦ م) وأسره عند سقوط القلعة (حاجى خليفة : تقويم التواريخ) ويقول كوينيه وهوالمصدرالوحيد فى هذا الموضوع إن أمير قره مان توغل حتى وصل إلى أق حصار ونهبها . وبعد استيلاء العثمانيين على هذا الأقليم واستتباب الأمن فيه لم يعد للقلعة أهمية حربية .

وهناك ثلاثة من أهل أق حصار لهم شهرة فائقةعاشوا فى عهدازدهارالدولةالعثمانيةوهم :

١ — ابن عيسى بن مجد الدين الذى ألف عام ٩٦٥ هـ (١٧٥٧ — ١٧٥٨ م) ، وذلك بعد أن بلغت الدولة العثمانية أوج عظمتها ، كتاباً فى التنجيم عنوانه «كشف رموز كنوز» تنبأ فيه بأن الدولة العثمانية ستعمّر إلى نهاية العالم وقلما تصاب بأحداث الزمان كما تنبأ بحساب الجمل بما سيحدث فى الدولة الى عام ٢٠٣٥ هجرية (Pertsch : *Verz. d. turk. Hss. . . zu Berlin* رقم ٤٥ ، ٤٩ ؛ Krafft : *Katal. Akad Wien* رقم ٣٠١ ؛ Flügel : *Katal Wien* ج ٢ ، ص ٥٨١) .

ب — المولى محمد بن بدر الدين وهو أشهر الثلاثة ويعرفه الترك الآن باسم منشىء أقحصارى ويعرف أيضاً بلقبه محيى الدين أو الصاروخانى نسبة إلى الأقليم وقلما يلقب بالرومى والمفسر . وهو الذى شجع سودى على كتابة شرحه القيم لحافظ . وفى عام ٩٨١ هـ (١٥٧٣ — ١٥٧٤ م) بدأ فى كتابة تفسير سهل قيم للقرآن عنوانه « نزيل التنزيل » وأهداه إلى السلطان مراد بن سليم خان فكافأه على ذلك بتنصيبه شيخاً للحرم النبوى بالمدينة فى العام التالى . وكتب بعد ذلك عام ٩٩٨هـ (١٥٨٩ — ١٥٩٠ م) فى دمشق شرحه لبردة شمس الدين محمد البوصيرى بعنوان « طراز البردة » (Ahlward : *Kat. Berlin*، رقم ٧٧٩٨) . وتوفى فى مكة حوالى نهاية عام ١٠٠٠ هـ (١٥٩٢ م) (عطائى : ذيل طاشكبرى زاده المعروف بعنوان « الشقائق النعمانية » حاجى خليفة : جـ ٤ ، ٣٨٠ ، تاريخ نعيما ، ١٠٤٧ ، ص ٤٠ ، وذكر حاجى خليفة أن

منشىء أقحصارى توفى عام ١٠٠١ هـ، جـ ٦ ، ص ٣٣٩ و كتاب « خلاصة الأثر » ليس فى أهمية المصادر المتقدمة) .

حـ — مولى نصوح نوالى المتوفى عام ١٠٠٣ هـ (١٥٩٤ — ١٥٩٥ م) وهو مترجم مصنف الغزالى المشهور «كيمياء السعادة» ، عين عام ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ م) مؤدباً لولى العهد الذى أصبح فيما بعد السلطان محمداً الثالث، وفى هذه الأثناء صنف كتاب « فرّخ نامه » الذى ذكر فيه ما يجب على السلطان متخذاً الإسكندر الأكبر قدوة ومثالا (Rieu : فهرس المخطوطات التركية بالمتحف البريطانى ، ص ١١٧) .

(٢) « أق حصار » وهى قصبة قضاء بهذا الاسم فى إقليم إزميـد (نقمودية) على الشاطىء الشمالى لنهر سقاريا وهى على خط الأناضول الحديدى . وعدد سكانها ١٥٠٠ نسمة ، وتشرف القلعة التى لا حامية بها الآن على السهل الفسيح . وقد استولى العثمانيون على هذه البلدة عام ٧٠٨هـ (١٣٠٨—١٣٠٩م) ونجد فى هذه البلدة وفيما جاورها بقايا أعمدة وآثار أبنية قديمة تجعلنا نعتقد أنها كانت مزدهرة قبل العصر التركى . ولا نعرف اسمها القديم . ويبلغ عدد سكان قضاء أق حصار المشهور بالزراعة ١٢٠٠٠ نسمة (Quinet : كتابه المذكور ، جـ ٤ ، ص ٣٩٧) .

(٣) « أق حصار » مدينة بألبانيا فى سنجق أشقودره وتسمى اليوم «أقچه حصار» (بالألبانية : كرويه Kraua ، كروجه Groja ومعناها منبع) : ازدهرت فى السنوات الأخيرة ، وهى غنية ببساتينها واسعة المساحة ويبلغ عدد سكانها حوالى ١٠٠٠٠ نسمة جميعهم من المسلمين . وقد ذكرت فى كتاب تاريخ Acropalite (القرن الثالث عشر) باسم كرواس Kroas . وفى عام ١٣٤٣ م استولى البنادقة عليها ثم استولى عليها قسطنطين كاستريوتا Constantine Kastriouta . وهذه المدينة معروفة بنوع خاص بأنها قصر اسكندر بك . وحوصرت حصاراً شديداً فى الأعوام ١٤٥٠ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٨ وقاومت ولكنها فى عام ١٤٧٨ م سلمت أخيراً للسلطان محمد الثانى ، وهى الآن مركز طريقة الدراويش البكتاشية (انظر مادة « أرناؤوط ») .

وقلعتها ولو أنها مهدمة إلا أن لها منظراً رائعاً Hammar : *Rumili und Bosna* نقلا عن حاجى خليفة ، ص ١٤١ ؛ Hyacinthe Hecquard : *Hist. et descr. de la Haute Albanie* ، باريس ، ١٨٥٩ ؛ A. De Grand *Souvenirs de la Haute Albanie* ، باريس ١٩٠١) .

(٤) « أق حصار » واسمها القديم دلنچى Dolnji (ومعناها أدنى) وَوقوف Wakuf . وهى مدينة صغيرة بالبوسنة غرب سراجيفو عند مصب نهر بروسكستا Pruceksta فى اقليم سمسكلتزا Semeskiliza . فتحها مصطفى

باشا عام ٩٠٧ هـ (١٥٠١ — ١٥٠٢ م) (Hammar : كتابه المذكور ، ص ١٦٦ ؛ Ch. Pertusier : *La Bosnie*، باريس ١٨٢٦ ، ص ٢٧٢) وفيها ولد حسن أفندى الشـــاعر الملقب بالكافى مؤلف الرسالة الموجزة المشهورة فى ضرورة الاصلاحات الإدارية فى الدولة العثمانية وعنوانها «أصول الحكم فى نظام العالم» كتبها بالعربية عام ١٠٠٤هـ (١٥٩٥—١٥٩٦ م) وكانت فكرة الاصلاح فى ذلك الوقت تشغل أذهان الناس ولذلك ترجم الكتاب إلى التركية نزولا على طلب كبار رجال القصر كما أنه اشترك فى العام نفسه فى وقعة إرلو Erlau المجيدة (ترحم هذه الرسالة جارسان ده تاسى Garcin de Tassy فى المجلة الأسيوية ، ج ٤ ، عام ١٨٢٤ م ص ٢١٣ ومابعدها) وانظر فيما يختص بمخطوطات هذه الرسالة (Rieu ، فهرس المخطوطات التركية بالمتحف البريطانى ص ٢٣٧) وله كذلك شرح على القدورى إلى غير ذلك من الرسائل . وتوفى عام ١٠٢٥ هـ (١٦١٦ م) بعد أن شغل منصب القضاء فى مسقط رأسه عشرين عاماً. وأق حصار هذه بلد حاجى نسيم أوغلو أحمد ابن حسن الذى سرد أنباء حرب الروسيا عام ١١٨٦هـ (١٧٧٢ - ١٧٧٣ م) والحوادث التى سبقتها من ١١٤٨ إلى ١١٥٦ هـ (١٧٣٥ إلى١٧٤٤م) (باريس ، المكتبة الأهلية ، القسم التركى رقم ١٦٨) ؟

[سسهايم K. Süssheim]

« أَقْ دكيز[1] » ومعناها البحر الأبيض:

اسم يطلقه الترك على البحر الأبيض المتوسط. أما الاسم الفارسى فهو عادة بحر سفيد أو درياى سفيد ، ويجب ألا ننسب هذا الاسم إلى اليونان القدماء الذين كانوا يطلقون على هذا البحر اسم θάλασσα ولا إلى البـــوزنطيين كما ذهب إلى ذلك بعض المحدثين من اليونان الذين يذهبون إلى أن الترك نقلوه عنهم ، إذ ليس لدينا أى نص يؤيد هذه الدعوى ، ولـكن المعقول أن نأخذ بهذا الرأى: وهو أن العبارة اليونانيـة ἡ ἄσπρη θάλασσα التى يستعملها يونانـــ تركية فى لغتهم الدارجة (ἡ Μεσόγειος)وهى أقرب إلى اللغة الفصحى مقتبسة من اللغة التركية الرسمية . ويفسر لنا هذا فى سهولة أن عدداً كبيراً من البحارة العثمانيين كانوا يؤخذون من اليونان . والآن بعد اضمحلال الدولة العثمانية لم يعد لفظ « أق دكيز » يدل فى جهات شواطئ الروملى وشواطئ الأناضول الشمالية الغربية إلا على بحر إيجه ، وإذا أريد التحدث عن البحر الأبيض المتوسط فانهم يذهبون — كما يجىء فى صحف القسطنطينيـة — إلى التعقيد بأن يذكروا الشواطئ ، مثال ذلك قولهم البحر المواجه لايطاليا وهكذا .

وحوالى عام ٩٣٠ هـ (١٥٢٣ — ١٥٢٤ م) قدم پيرى رئيس بن الحاج محمد (واسمه محمد كما يقول حاجى خليفة) المتوفى عام ٩٦٢ هـ (١٥٥٤ — ١٥٥٥ م) إلى السلطان سليمان

---

[1] تنطق دنز

مصوراً جغرافيا (توجد منه عدة نسخ فى أوروبا) يحتوى على ثلاثين خريطة بها شواطىء البحر الأسود وبحر ايجه والبحر الأبيض المتوسط إلى ما وراء سبته وتطوان. وهذا المصور من أقوم ماصنع فى فن الخرائط (انظر تفصيلات أوفى عن هذا الموضوع *Verz d.turk.Hss .zu.Berlin.* · Pertsch رقم ١٨٤) وقد أسهب أوليا چلبى (المتوفى حوالى عام ١٠٩٠ هـ = ١٦٧٩ — ١٦٨٠ م) فى المجلد الثانى من كتابه (وهو فى ستة أجزاء) فى وصف رحلته عبر الأرخبيل عند اشتراكه فى حصار إقريطش عام ١٠٥٤ هـ (١٦٤٥ م) وإذا استثنينا بعض المختصرات التى لا قيمة لها لا نجد ما يفيدنا فى هذا الموضوع من مؤلفات العصر الحديث سوى مجلد واحد موضح بالرسوم، وهو لا يعطينا من المعلومات إلا النزر اليسير، وعنوانه «أسفار بحريه عثمانيه» لمؤلفه سليمان نطقى أفندى.

وإقليم جزائر أق دكيز (جزائر بحر سفيد ولايتى) عبارة عن جزر الأرخبيل الذى لا يزال فى يد الترك ما عدا إقريطش وساموس ينقسم إدارياً إلى أربعة سناجق هى. رودس وخيوس (ساقيز) ومدللى ولمنى [1] وكان عدد سكانه عام ١٨٩٠ م يبلغ حوالى ٣٢٥٠٠٠ نسمة (رودس ٧٣٠٠٠ وخيوس ١٠٠٠٠٠ ومدللى ١٠٧٠٠٠ ولمنى ٤٥٠٠٠ نسمة) منهم ٢٧٠٠٠ مسلم فقط أى أن عدد الروم الأورثوذكس يزيد عنهم عشرة أضعاف. ومع ذلك فان المسلمين أكثر اقبالا على التعليم، ذلك لأن بين الـ ٢٨٤ مدرسة الموجودة هناك خمسين خاصة بهم.

وعلى الرغم من طبيعة الأرض الصخرية الجرداء القاحلة، ومن المنافسة الناشطة التى تقوم بها الدول الغربيـة برءوس أموالها الكبيرة فان السكان قد أخذوا منذ ثورة اليونان فى القرن التاسع عشر ينهضون شيئا فشيئا دون أن تعرقل جهودهم الحروب، وأهم الحاصلات الزراعيـة لهذا الاقليم هى الأعناب والزيتون والتين وهى أهم صادراته. وللبنك الزراعى الذى أسس منذ عشرات السنين فضل كبير فى رفاهية البلاد وتقدمها فبوساطته صـدرت تنيدوس الصغيرة عام ١٨٩٠ م مليونى كيلو ومدللى تسعة عشر مليونا. ويقدر عدد المراكب التى ترددت على هذه البلاد فى ذلك العام نفسه بـ ٢٧٠٠٠ مركبا تبلغ حمولتها ١٩٠٠٠٠٠٠ طنا كما قدر دخل الحكومة التركيـة من هذه الجزائر بـ ٢٠٠٠٠٠ جنيها تركيا أضف إلى ذلك ٦٠٠٠٠ جنيها تركيا يأخذها موظفو الدين الأهلى (*La Turqie d'Asie* : Cuinet حـ ١، ص ٣٤٩ وما بعدها).

[K. Süssheim سيسهيم]

« أقراباذين » ويقال أيضاً قاراباذين (Pharmacopoeia) وهذه الكلمة أخذت

---

[1] كان ذلك عند كتابة هذا المقال

عن الكلمة السريانية جرافاذين ، وهذه أخذت عن الكلمة اليونانيــة γραφίδιον ومعناها رســـالة صغيرة . ويعرف عيسى بن على الأقراباذين بأنه رسم الأدوية أو النسك أو المجموع ، واللفظ الحديث فرما كوبيا .

ويقول ابن سينا (القانون ، جـ٣ ، ص٣٠٩) فى هذا الموضوع :

أنه قد لا نجد فى كل علة خصوصاً المركبة دواءً مقابلا من المفردات ، ولو وجدنا لما آثرنا عليه ، بل ربما لم نجد مركباً نقابل به مركباً أو نجده إلا أنا نحتاج إلى قوة زائدة فى أحد بسيطيه فنحتاج إلى أن نضيف إليه بسيطاً يقوى قوته كالبابونج فان فيه قوة تحليل أكثر وقوة قبض أقل فتشتد قوة القبض بدواء بسيط قابض نضيفه إليه . وربما وجدنا دواءً مفرداً مسخناً ولكن حاجتنا ماسة إلى سخونة أقل منهـا فنحتاج أن نضيف إليه مبرداً ، أو أكثر منها فنحتاج أن نضيف إليه مسخناً آخر . وربمـا نحتاج إلى دواء يسخن أربعة أجزاء ولم نجـد إلا ما يسخن ثلاثة أجزاء ، وآخر يسخن خمسة أجزاء فيجمع بينهما راجين أن تحصل من الجملة مسخن بأربعة أجزاء . وربما كان الدواء الذى نريده بالغاً فيما نريده لكنه ضار فى أمر آخر فنحتاج إلى أن يختلط به ما يكسر مضرته . وربما كان بشعاً كريهاً عند الطبع تعافه المعدة فتقذفه فنضيف إليه ما يطيبه . وربما كان الغرض فيه أن تفعل فى موضع بعيد فنخاف أن يكسر قوته الهضم الأول والهضم الثانى فنقرنه بحافظ غير منفعل يصرف عنه عادية الهضمين حتى يبلغ العضو المقصود سالماً كما يوقع الأفيون فى أدوية الترياق .

وربما كان الغرض فيه البذرقة كما يلقى الزعفران فى أقراص الكافور حتى يبلغها القلب لكنها إذا بلغت القلب عمدت القوة المميزة فسلخت عنهـــا الزعفران فأبطأته وأعملت المبردات المطفيات فى القلب كما تفعـل القوة المميزة بتفريق قوى التحليل والقبض كان الدواء طبعياً أو معمولا فيسرح المحلل إلى نفس العضو الألم فيحلل المادة والرادع إلى مجارى المادة إليه فيمنع المادة . وربما أردنا دواءً يلبث فى ممره قليلا حتى يعمل هناك عملا فائقاً كثيراً ثم يكون ذلك الدواء سريع النفوذ فنركبه بمثبط مثل كثير من الأدوية المفتحة فانها سريعة النفوذ عن الكبد وربما كانت الحاجة ماسة إلى لبث منها فى الكبد فيخلط بها أدوية جاذبة إلى ضد جهة الكبد كبزر الفجل الجاذب إلى فم المعدة فيتحير الدواء قدرما تصل منفعته إلى الكبد ثم ينفذ . وربما كان الدواء الذى نجده مشتركا لطريقين وغرضنا فى طريق واحد فنقرن به ما يحمله إلى ذلك كما تجعل الذراريح فى الأدوية المدرة المفتحة ليصرفها عن جهة العروق إلى جهة الكلى والمثانة .

واعلم أن الكثير من الأدوية معملا وموقعاً وربما قصدته بعمل أبعد من موقعه

فتحتاج إلى مطرق وربما قصد فيه معمل أقرب من موقعه فيحتاج إلى أن يثبط .

واعلم أن المجرب خير من غير المجرب والقليل الأدوية خير من كثيرها فى غرض واحد . أما السبب فى أن القليل الأدوية خير من كثيرها فقد شرح فى صدر الكتاب الثانى . وأما السبب فى أن المجرب خير فهو أن كل دواء مركب فله حكم من بسائط وحكم جملة صورته وغير المجرب إنما يفيد من اعتبار بسائطه فقط ولا تدرى ما يوجبه مزاجه الكائن عنها هل هو زائد فى معناها أو غير زائد أوهو مناقض. والمجرب يكون قد تحقق منه الأمران ولربما كانت العايدة فى صورته المزاجية أكثر من المتوقع من بسائطه[1].

وتنقسم الأدوية المركبة إلى أحد عشر قسما ، وهذه الأقسام تنقسم بدورها إلى أدوية مفردة لا عدد لها تختلف بالنسبة لتجهيزها كما تختلف باختلاف الأطباء والبلدان .

١ — الترياقات θηριακά ، ويفضل منها ما كان من لحم الأفاعى ، والأقراص والمعاجين ، والمربيات .

٢ — إيارجات ἱερά والمشهور منهـــا بصفة خاصة العلاجات المرة ἱερὰ πικρα المحلية .

(١) هذا النص منقول عن كتاب القانون لابن سينا طبعة روما ، ص ١٧٧ ، الكتاب الخامس .

اللجنة

٣ — جورشنات (كلمة فارسية) مسهلة وغير مسهلة .

٤ — سفوفات وهى الأدوية التى تؤخذ يابسة .

٥ — لعوقات .

٦ — أشربة وربوبات . والفرق بينهما أن الأولى عبارة عن عصير يؤثر بنفسه أما الربوبات فلا تؤثر إلا باضافة الحلو إليها .

٧ — الأدوية المحفوظة المحلية .

٨ — الأقراص .

٩ — سلاقات وحبوب .

١٠ — زيوت .

١١ — مراهم وضمادات ؟

[ليبير J. Lippert]

« إقرار » اعتراف المتهم فى قضية من القضايا أمام القاضى أن المدعى محق فى دعواه [1] ، ولا حاجه للقاضى بعد الإقرار كما تقول الشريعة الإسلامية—إلى دليل آخر وللقاضى أن ينطق بحكمه فى الحال، ومع ذلك لا يكون الإقرار صحيحاً إلا إذا صدر أمام

(١) تقييد التعريف بأنه اقرار المتهم غير دقيق ، لأن الاقرار كما يكون فى التهم يكون فى دعوى المال والنسب وغير ذلك ، وكذلك التقييد بأن يكون الاقرار أمام القاضى غير صحيح ، لأن الاقرار حجة على المقر سواء أكان أمام القاضى أم لا . والأولى فى التعريف ما قاله الفقهاء : « الاقرار اخبار عن ثبوت الحق للغير على نفسه » أنظر الفتاوى الهندية (طبعة بولاق سنة ١٢٧٦ ج ٤ ص ١٢١) .

القاضي عن شخص بالغ حافظ لجميع قواه العقلية من غير إكراه. والوسائل التي يقصد بها إلى انتزاع إقرار من المتهم محظورة بتاتاً. ولا يعتد بالإقرار الذي ينتزع من شخص مهدد بالجلد مثلا. ويجب في المعاملات المالية أن يكون المدعي عليه رشيداً. وإذا تحققت صحة الاتهام مرة في دعوى من الدعاوى فإن انكار الاقرار بعد ذلك باطل إلا إذا اعترف المتهم باقتراف جريمة يعاقب عليها بحق الله (انظر مادة «عذاب»).

ولا قيمة للاقرار ببنوة أبناء السفاح في الشريعة الاسلامية. وإذا شك في أبوة ابن شرعي وجاء الزوج وأقر صراحة بأبوة هذا الابن فلا حاجة بعد هذا الاقرار إلى دليل آخر ويجب ألا يكون الاقرار مخالفاً للواقع أو الشرع وفي حالات أخرى يمكن أن يثبت نسب شخص بالاقرار دون حاجة إلى دليل آخر مثال ذلك إذا أقر مسلم رشيد أن شخصاً ما، هو أبوه أو أخوه أو عمه وإذا كانت القرابه المزعومة تتصل بشخص ما وكان هذا الشخص على قيد الحياه وجب عليه أن يوافق على الاقرار إلا إذا كان عاجزاً عن ذلك لأنه قاصر أو معتوه[1] وإذا كان الاقرار يتعلق بالأقارب الأباعد مثل الأخ والعم فيجب أن يكون الرجال الذين قامت هذه القرابة بوساطتهم كالأب والجد قد ماتوا؟

المصـــــادر

(١) الفصول المكتوبة عن الاقرار في كتب الفقه (٢) Snouck Hurgronje: *Rechtstoestand van Kinderen buiten huwelijk geboren uit Inlandsche vrouwen die den mohammedaanschen godsdenst belijden* في *Het Recht in Nedrl-Indie* ج ١٩، ١٨٩٧، ص ١٣٣ — ١٣٦، ٢٨٥ — ٢٥٠؛ ج ٢٠، ص ١٨٩١، ص ٨٧—٩٢ (٣) W Juynboll *Handb. d Oesetzes* ص ٢٩٢ وما بعدها.

[جوينبل W. Juynboll]

[1] هذه الفروع المذكورة هنا هي مذهب علماء الحنفية في الأغلب. وعبارة الكتاب غير واضحة. ونص ما قاله الأحناف: «يصح اقرار الرجل بالولد، بشرط أن يكون المقر له بحال يولد مثله لمثله. وأن لا يكون المقر له ثابت النسب من غيره، وأن يصدق المقر له المقر في اقراره اذا كانت له عبارة صحيحة. وبالوالد اذا كان المقر يولد لمثله، وان لا يكون المقر ثابت النسب من غيره، وأن يصدق المقر في اقراره اذا كانت له عبارة صحيحة وبالمرأة إذا صدقته وكانت خالية عن زوج وعدة، وأن لا يكون تحت المقر أختها ولا أربع سواها... ولا يصح اقراره بما عدا هؤلاء، نحو الأخ والعم والخال ومن اشبههم. ونعني بصحة الاقرار فيما يلزم المقر والمقر له من الحقوق، وفيما يلزم غيرهما. حتى إنه إذا أقر بالابن مثلا فالابن المقر له يرث مع سائر ورثة المقر، وإن جحد سائر الورثة نسبه، ويرث أيضا من أبي المقر وهو جد المقر له. وإن جحد الجد نسبه. ونعني بعدم صحة الاقرار بمن ذكرنا عدم اعتبار اقراره فيما يلزم غير المقر والمقر له من الحقوق. أما فيما يلزمهما من الحقوق فاقراره صحيح معتبر، حتى إن من أقر مثلا بأخ وله ورثة سواه يجحدون أخوته فمات المقر لا يرثه الأخ مع سائر ورثته، وكذلك لا يرث من أبي المقر إذا كان الأب يجحد نسبه، وإنما يستحق النفقة على المقر حال حياته» انظر الفتاوى الهندية (ج ٤ ص ١٦٣)

أحمد محمد شاكر

« أقراص »[1] ويظهر أن المعنى الطبي لهذه الكلمة لم يرد فى أى معجم عربى يعتد به حتى ولا عند ابن سيده نفسه . واقتصر ابن سينا فى كتابه « القانون » (جـ ٣ ، ص ٣٨١) على سرد عدة طرق مختلفة لتحضير الأقراص المتنوعة وفقاً لأسمائها دون أن يذكر أى تفسير لمادتها ، وذلك على خلاف ما عرف عنه.

وهو يبدأ بذكر « أقراص الكوكب » ويقول إن الأطباء القدماء عرفوا قيمتها . وهم لذلك أطلقوا عليها هذا الاسم ، ثم نراه بعد ذلك يتحدث عن أثر هذه الأقراص بما يلى : —

« وهذه الأقراص تصلح للمعدة الضعيفة القابلة للفضول دفعاً من سائر الأعضاء ، وتسيل الجشا الحامض ، وتطلى على الجبهة فتسكن الصداع ، وتنفع من النوازل ، ووجع الأسنان ، وتجعل مع القنة فى المتأكل منها ، وتنفع من وجع الأذن . وتنفع من نفث الدم ، وسيلانه من كل عضو ، ومن السعال المزمن وتنفع من الحميات الدائرة ، سقياً فى ماء المرزجوش ومن السموم الملدوغة والمشروبة فى ماء السذاب » .

وطريقة ذلك .

« يؤخذ مروجندبيدستر وسنبل وسليخة وطين مختوم وقشور اليبروح ، من كل واحد أربعة دراهم ؛ أفيون وزعفران وقسط وكوكب الأرض وهو الطلق ، من كل واحد خمسة دراهم ؛ خشخاش أبيض ستة دراهم ؛ دوقو وأنيسون وسيساليوس وبذر النح وميعة سايله . وبذر الكرفس ، من كل واحد ثمانية دراهم ؛ تبل الصموغ بشراب ريحانى ، وتدق الأدوية وتعجن به ، وتقرص من وزن نصف درهم . وتجفف فى الظل وتستعمل » .

ويذكر بعد ذلك سبعة أقراص للورد مع طرق تحضيرها وهى :

١ — أقراص الورد للجمهور
٢ — أقراص الورد لاسقلبتيادس
٣ — أقراص ورد بسقمونيا .
٤ — أقراص الورد بطباشير .
٥ — أقراص الورد تسمى دنيذوردا
٦ — أقراص الورد نسخة أخرى .
٧ — أقراص الورد بالسنبل .

ويأتى بعد ذلك بذكر خمسة أنواع لأقراص الكافور ، ويضاف إليها إعادة أقراص الكافور نسخة أخرى . ثم يورد أقراص الطباشير ، ثم أقراص الأمير بشير[1] ، ويورد بعد ذلك ست صفحات بها أنواع أخرى من الأقراص مع ذكر معمولها وطرق تحضيرها ؟

[J. Lippert ليبير]

« إقريطش » :

أحوالها الحاضرة ونظامها السياسى :

ولن نتحدث هنا عن جغرافية إقريطش ولا عن تاريخها قبل الاسلام : أطلق عليها

(١) بفضل مراجعة هذا المقال الدكتور أحمد عيسى بك

(١) ورد هذا الاسم فى « القانون » طبع روما هكذا وصل فى صنعة أقراص الأمير باريس

العرب إقريطش والترك «كريد»، وهي الآن ولاية مستقلة استقلال ذاتياً تعترف بخضوعها للباب العالي، ولكنها لا تدفع جزية، ويحكمها مندوب سام من قبل الدول الأربع الحامية لها وهي بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والروسيا (كان يحكمها إلى عام ١٩٠٦م الأمير اليوناني جورج ثم خلفه زايميس Zaïmis وهذا المنصب شاغر الآن[1]) ويعاون المندوب السامي مجلس إداري يتألف من ثلاثة أعضاء (σύμβουλοι) يشرفون على القضاء والمالية والتعليم والشئون الداخلية، والمندوب السامي هو الذي يعينهم ويقيلهم وهم مسئولون أمام المجلس النيابي ويحاكمون أمام محكمة مخصوصة. وقد تألف وفقاً للدستور الذي منح فيما بين السادس عشر والثامن والعشرين من إبريل عام ١٨٩٩ والذي عدل فيما بين الثامن والثاني عشر من فبراير عام ١٩٠٧ مجلس نيابي Βουλή وكل خمسة آلاف نسمة تنتخب عنها نائباً، والمجلس يجتمع في اليوم الأول من شهر مايو كل عام وتتراوح دورته بين شهرين وثلاثة شهور، وتحدث الانتخابات كل عامين، وهذا «البرلمان» يشرف على المالية ويصادق على الضرائب؛ والدول الحامية الأربع تصرف الشئون الخارجية لهذه الجزيرة.

وتنقسم إقريطش إلى خمسة سناجق (νόμοι) هي: خانيه والخندق (Candia) ورتيمنوس (بالتركية رسمو) واسفاكية ولسيتي (بالتركية لاشيد) ويدير كل سنجق منهـا مأمور (Nomarch)، وقصبة الجزيرة خانيه.

ويقوم بالشئون الدينية فيها مجمع يتألف من المطران وأساقفة الجزيرة السبعة ويجتمعون في الخندق (Herakleion).

أما القضاء فعلى النمط الفرنسي، وينظر القضاة المسلمون في كل ما يتصل بالدين كالزواج والتوريث والنفقة، ويشرف على البوليس والجيش ضباط من اليونان.

ونستدل من الاحصاء الأخير (٤ — ٥ يونيه ١٩١١) على أن السكان كانوا يتألفون من العناصر الآتية: ٣٠٧٨١٢ من المسيحيين و ٢٧٨٥٢ من المسلمين و ٤٨٧ من اليهود، ويكون مجموع السكان ٣٣٦١٥١ من الأنفس.

تاريخها:

احتك المسلمون في حروبهم الأولى مع الروم بإقريطش بل واحتلوها أيضاً احتلالا وقتياً عام ٦٧٣ م. ولا نعلم عن هذا العهد إلا القليل. وفي عام ٨٢٥ م استطاع أبو حفص عمر بن عيسى بن شعيب البلوطي (انظر هذه المادة) أن يحتل هذه الجزيرة ويضمها إلى أملاك المسلمين. وكان أبو حفص على رأس الثائرين الذين خرجوا على الحكم في قرطبة، ولما لم يوفقوا اضطروا إلى الفرار. ونزل أبو حفص عمر بعد غارات متوالية على شواطىء البحر الأبيض المتوسـط إلى جزيرة إقريطش وأخضعها بالتدريج ما عدا الإقليم الذي يحتله

[1] عند كتابة المقال.

اهل اسفاكية Sphakiots . ولم يفلح أباطرة الروم فى محاولاتهم العديدة فى طرد المسلمين الذين احتفظوا بالجزيرة ١٣٥ سنة . وأراد المسلمون أن يدعموا سلطانهم الجديد فأسسوا بالقرب من رأس خركس Charax عاصمة جديدة أسموها « الخندق » ؛ وقد أصبحت تعرف بعد ذلك باسم قنديا Candia ثم أخذ هذا الاسم يطلق على الجزيرة بأسرها إلى أيامنا هذه .

وفى عام ٩٦١ أفلح القائدالرومى نقفور فوقاس Nikephoros Phokas فى الاستيلاء على الخندق (Candia) بعد حصار دام عدة أشهر كما أخضع بعد ذلك بقية الجزيرة ، وتوفى عبد العزيز آخر أمرائها من المسلمين فى القسطنطينية والتحق ابنه بخدمة امبراطور الروم . وهجر السكان المسلمون الجزيرة أو تنصروا بعد أمد وجيز .

وبعد أن استولى السلاطين على القسطنطينيه أصبحت إقريطش من نصيب الكونت بونفاس ده منتفرا Boniface de Montferrat الذى باعها عام ١٢٠٤م إلى البنادقة . وظلت فى حوزتهم إلى أن فتحها الترك عام ١٦٦٩ م . وكان أهل إقريطش يمقتون حكم البنادقة لما امتاز به من ضروب القسوة والعنف فى كثير من الأحيان ، ولكن بالرغم من هذا كله فإن الجزيرة تمتعت فى ذلك العهد برخاء لم تر مثله فيما بعد .

وفى عام ١٦٤٥ بدأت الغزوة التركية ، إذ تذرع الترك باعتداء جماعة من البنادقة والمالطيين على قيزلر أغاسى طوپال أغا أثناء رحيله إلى مصر مع جارية وطفل لها قيل إنه من السلطان إبراهيم . ومع هذا فإن الترك كانوا يطمعون فى الاستيلاء على الجزيرة منذ عهد طويل ، وبدءوا بالاستيلاء على خانية بعد حصار دام سبعة وخمسين يوما ثم استولوا على رتيمنوس Rethymnos وبعدها فتحوا الخندق (Candia) بعد حرب دامية أبلى فيها الأهالى بلاء حسنا (١٦٤٨ — ١٦٦٩) . وأرسلت الدول الغربية كلها إلى البنادقة امدادات يقودها موروسينى Morosini ومع ذلك اضطرت المدينة إلى التسليم فى ١٧ سبتمبر ١٦٦٩ إلى الصدر الأعظم أحمد كوپريلى ، وبمقتضى شروط الصلح لم يحتفظ البنادقة إلا بـ «غرابوزه» Grabusa و«سوده» Suda و«اسپينه لونغه» Spinalonga . والمدينة الأخيرة لم تدخل فى حوزة الترك إلا عام ١٧١٥ م .

ورحب الأهالى بالترك أول الأمر ورءوا فيهم المنقذ من نير البنادقة وعاونوهم بوسائل شتى ولكنهم سرعان ما أدركوا أن حالهم لم تتحسن بالحكم الجديد بل ساءت . وطمح الكثير من أهل الجزيرة إلى الرقى فاعتنقوا الاسلام ، وكانت نقمة أهل الجزيرة على هؤلاء أشد من نقمتهم على الترك المهاجرين الذين كانوا بصفة عامة أقل عددا . والواقع أن هذه الطائفة كانت السبب الحقيقى لما نال

الجزيرة من اضطهاد . ذلك لأنهم ملكوا جميع الأراضي وكانوا يجندون فى انكشارية الجزيرة وأصبحوا الحكام الحقيقيين للجزيرة لعجز الحكومة العثمانية عن الوقوف فى وجوههم . وليس لدينا تفاصيل خاصة بحكم الترك لاقريطش إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادى . وكثيراما كانت تشب الفتن ولكن الثورة العامة اندلع لهيبها عام ١٧٧٠ م وكان الثوار بادئ الأمر يطمعون فى معاونة كاترين الثانية قيصرة الروسيا التى أمرت أمير البحر أورلوف Orloff أن يجوب المياه اليونانية ، إلا أن الترك قمعوا تلك الثورة بأشد وسائل العنف . وفى عام ١٨١٣ تمكن والى الجزيرة «حاجى عثمان» يعاونه المسيحيون من إخضاع الانكشارية اخضاعا وقتيا . ثم وُشى بهذا الوالى فاستدعى إلى القسطنطينية وبذلك أصبح الانكشارية سادة البلاد مرة أخرى . وكان لاقريطش شأن كبير فى حرب استقلال اليونان التى بدأت عام ٨٢١ م واستفحلت ثورتها فاضطر السلطان عام ١٨٢٣ إلى طلب العون من محمد على والى مصر . وفى عام ١٨٣٠ م نالت اليونان استقلالها بمقتضى معاهدة لندن وكان المأمول أن تلحق إقريطش باليونان ولكنها أعطيت لمحمد على . ومن عام ١٨٣٢ — ١٨٥٠ حكمها رجل البانى يدعى مصطفى باشا وظل محتفظا بسلطانه عليها حتى بعد أن استرد الترك الجزيرة عام ١٨٤٠ . وكان عهده بصفة عامة من خير العهود التى مرت بها . وبعد عدة فتن أصبحت إقريطش عام ١٨٦٦ مسرحا لأكبر ثورة شهدتها فى تاريخها . ولم يتمكن الترك من القضاء على تلك الثورة إلا عام ١٨٦٨ بعد أن بذلوا الكثير من الأرواح واعترفوا بالكثير من مطالب السكان ، وأصبح للجزيرة بمقتضى القانون المعروف باللائحة الأساسية Organic Statute جمعية أهلية ومحاكم مختلطة وغير ذلك من الاصلاحات . وفى عام ١٨٧٨ شبت الثورة فى إقريطش إبان اشتغال الترك بالحرب مع الروسيا . ولم تحقق معاهدة برلين رغبات أهالى إقريطش واليونان ولكنها ألزمت السلطان بتنفيذ مواد اللائحة الأساسية . وفى ١٥ أغسطس من العام نفسه أبرم اتفاق شاليه Chalepa أو هاليه Halepa بالقرب من خانية ، وبه منح أهل إقريطش الحكم الذاتى . ومع ذلك لم تتحسن أحوال الجزيرة بل ساءت إذ توالت عليها حكومات حزبية تدهورت فى عهدها مالية الجزيرة . وفى عام ١٨٨٩ شبت ثورة أخرى . ويقال إن اتفاق شاليه عدل بالاسم وألغى بالفعل وأصبح يحكم الجزيرة منذ ذلك الوقت ولاة من قبل السلطان . وفى عام ١٨٩٤ عين رجل مسيحى يدعى قره تيودرى باشا واليا على الجزيرة نزولا على رغبة أهلها . غير أنه كان مسلوب النفوذ . واندلعت الثورة فى الجزيرة كلها وقدم الوالى استقالته فقبلت فى فبراير سنة ١٨٩٦ . وازداد الاضطراب واشتبك المسيحيون والمسلمون

يوم عيد العنصرة فى شوارع خانية فأرسلت الدول العظمى أساطيلها إلى الجزيرة ووصلتها فى ٢٦ مايو . وفى ٢٠ يولية أعلن النواب المسيحيون استعدادهم لقبول الحكم الذاتى على الأسس التى يتفق عليها الباب العالى مع مندوبى الدول المسيحية ، ولكن الجمعية الثورية التى كانت تجتمع فى « كامبى» Campi رفضت هذا الاقتراح كما رفضه المسلمون . وفى الثالث من فبراير عام ١٨٩٧ بدأ القتال من جديد فى فى شوارع خانية واندلعت النيران فى جهات عدة من المدينة فأنزلت اساطيل الدول جنودها إلى البر . ولم يتوان الأسطول اليونانى عن الظهور وهاجم إحدى مراكب النقل التركية ، كما نزلت الجنود اليونانية إلى الجزيرة وظلت الأمور على سوئها إبان الحرب التى نشبت بين اليونان والترك وانتهت بهزيمة الأولين هزيمة منكرة . وفى عام ١٨٩٨ سحبت النمسا وألمانيا جنودهما . أما الدول الأخرى وهى فرنسا وبريطانيا العظمى وإيطاليا والروسيا فقد قسمت الجزيرة إلى أربع مناطق واختصت كل واحدة منها بمنطقه . ولما ثار مسلمو الخندق (Candia) وهاجموا الانجليز طلبت الدول اجلاء الجنود التركية عن الجزيرة فى ميعاد غايته ١٥ نوفمبر ١٨٩٨ فتم لها ذلك . ثم نصب الأمير اليونانى جورج مندوبا ساميا مدة ثلاث سنوات . وساد السلام الجزيرة أول الأمر إلا أن المسلمين نزحوا عنها طوائف طوائف .ومنذ بداية عام ١٩٠١ زاد الاستياء

وقامت فتنة جديدة عام ١٩٠٥ . وقويت نزعة الانضمام إلى اليونان وصممت الدول على المحافظة على الحالة الراهنة . وفى أول اكتوبر عام ١٩٠٦ عين زايميس Zaïmis الذى كان كبير وزراء اليونان مندوبا ساميا لجزيرة إقريطش . وفى ٢٠ مارس عام ١٩٠٨ أعلن زايميس للدول أن الشروط التى وضعتها لسحب جنودها قد نفذت وهى :

١ — تأليف بوليس أهلى
٢ — استتباب النظام .
٣ — تأمين المسلمين على حياتهم .

ولهذا قررت الدول سحب جنودها من الجزيرة . ونشبت فتن عدة فى أماكن مختلفة قام بها المسلمون الذين اعتقدوا أنهم تركوا تحت رحمة المسيحيين . وفى ١٢ اكتوبر عام ١٩٠٨ أعلنت الجمعية الأهلية بأقريطش ضم الجزيرة إلى اليونان . فأحتجت الدول على هذا وفى ١٣ يولية ١٩٠٩ قررت إرسال أربع بوارج حربية ترابط فى مياه الجزيرة لحماية المسلمين من أهلها والمحافظة على سيادة تركيا . وكانت المذكرة الأخيرة التى بعثت بها الدول الحامية إلى اللجنة التنفيذية من أول سبتمبر سنة ١٩١١ إلى ١٤ منه تتضمن ما يأتى « قررت الدول الحامية لجزيرة إقريطش ألا تتدخل فى مسألة منصب المندوب السامى الذى أصبح شاغرا بعد زايميس وألا تغير شيئا فى حالة الجزيرة الراهنة » ولم يعمل هذا القرار على ارضاء الطرفين أو التوفيق بينهما ؟ .

المصـــادر

(١) G.F. Hertzberg : Geschichte der Byzantiner und des osmanischen Reiches برلين ١٨٨٣ . ص ٥٨ ، ١٢٨ ، ١٦٨ (٢) Jorga : Gesch. des osm. Reiches. جوتا، ١٩١١ ، ج ٤ ، ص ١٦ وما بعدها ، ١٢٣ وما بعدها (٣) V. Hammer : Gesch. des osman Reiches ، بست ١٨٣٦ ، ج ٣ ، ص ٢٦١ وما بعدها (٤) R. Dozy : Histoire des Musulmans d' Espagne . ليدن ١٨٦١ ، ج ٢ ، ص ٧٦ (٥) Wasiliew : Vizantia i Arabi ، بطرسبرج ١٩٠٢ (٦) M. Gasper : Musulmanes en Alejandria y Creta في Homenaje à D. Francisco Codera سرقسطة ١٩٠٤ (٧) Monumenti Veneti dell, isola di Creta البندقية ١٩٠٦ — ١٩٠٨ (٨) H. Noiret : Documents inédits pour servir à l' histoire de la domination venitieneen Crete لنـــدن (٩) Spratt : Travels and researches in Crete لنـــدن ١٨٧٦ (١٠) Pashley : Travels in Crete لندن ١٨٣٧ (١١) Rob. Wagner : Der Kretische Aufstand 1866 bis zur Mission Ali Paschas nach diplomatischen quellen bearbeitet برن ١٩٠٨ (١٢) W. Stillmann : The Cretan insurrection of 1866 - 1867 - 1868 نيـــويورك ١٨٧٤ (١٣) Joannides : Narrative of the Cretan war of independance لنـدن ١٨٦٥ (١٤) J Ballot : Histoire de l'insurrection crétoise باريس ١٧٦٨ (١٥) Postlethwate : Tour in Crete لندن ١٨٦٧ (١٦) Yule : A little light on Cretan insurrections لندن ١٨٧٩ (١٧) H. Strobl : Kreta eine geograph. hist. Skizze ميونخ ١٨٧٥ — ١٨٧٦ (١٨) Elpis Melena : Erlebnisse und Beobachtungen eines mehr als 20—Jahrigen Aufenthaltes auf Kreta هانوفر ١٨٩٢ (١٩) للمؤلف نفسه : Die Insel Creta unter der ottoman Verwaltung فينـــا ١٨٦٧ (٢٠) Alex. de Steglitz : L' ile de Crète باريس ١٨٩٩ (٢١) H. Bthchmer : Kreta in Vergangenheit und Gegenwart ليبســـك ١٨٩٩ (٢٢) V. Bérard : Les affaires de Crète باريس ١٨٩٣ (٢٣) Ministère des affaires étrangères. Documents diplomatiques باريس ١٩٠٣ — ١٩٠٥ (٢٤) Mémoire de la commission du pouvoir executif en Crète خانية ١٩١٠ (٢٥) Laroche : La Crète ancienne et moderne باريس ١٨٩٨ (٢٦) A.J. Reinach : La question crétoise vue de Crète باريس ١٩١٠ (٢٧) Turot : L'insurrection crétoise et la guerre greco-turque باريس ١٨٩٨ ؛ والمؤلفات التاليـة مكتوبة باللغة اليونانية وهى : (٢٨) Kriaris : Histoire de Crète خانيـة ١٩٠٢ (٢٩) Jannaris : Agriculture et Commerce en Crète خانية ١٩٠٦ (٣٠) Papantonakis : Documents relatifs à l'insurrection de

1897 - 1898 خانية ١٩٠١ (٣١) Psilakis:
Histoire de Créte أثينا ١٩٠٩ — ١٩١٠

[F. Giese جيس]

«أقسرا» (انظر أق سراى ، تحت أق).

«أق سراى» (كلمة تركية) معناها القصر الأبيض وتطلق كثيرا فى البلاد التى تتكلم التركية على المدن والقصور والقلاع وأشهر مايعرف بهذا الاسم هو :

١ — «أق سراى» (أق سرا فى عهد السلاجقة وهى أرخلايس القديمة Archelaïs) عاصمة قضاء فى سنجق نكده (من أقاليم قونيه) وتشمل ١٦٠ قرية عدد سكانها ٢٥٠٠ نسمة خمسهم من الأرمن وبها مسجد قره مان أوغلى الذى يرجع عهده إلى القرن الرابع عشر الميلادى، وأطلال مدرسة إبراهيم بك ومسجد نقاشى . ولما فتح السلطان محمد الثانى مدينة القسطنطينية دعا أهل أق سراى وأطرابزندة وسينوب إلى تعمير العاصمة التى كانت خالية من السكان تقريباً ، واستقروا منها فى حى لا يزال يعرف إلى الآن باسم أق سراى . وكانت هذه المدينة تشتهر بصناعة السجاد من أصواف الأغنام التى كانت تصدر حتى بلاد الهند والصين (ابن بطوطة ، جـ ٢ ، ص ٨٦) ولا تزال هذه الصناعة قائمة إلى اليوم ؟

المصـــــادر

(١) Fr.Sarre : *Reise in Kleinasien* ، ص ٩٣ — ٩٥ (٢) Ch.Texier : *Asie Mineure*، ص ٥٠٩ ، ٥٦٦ (٣) Ainsworth : *Travels and researches in Asia Minor* جـ ١ ، ص ١٩٧ (٤) E. Reclus : *Nouv. Géogr. univ.* ، جـ ٩ ، ص ٥٧١ (٥) Hamilton : *Researches* ، جـ ٢ ، ص ٢٢٢ (٦) كلشن معارف : جـ ١ ، ص ٥٢١ ، ٥٢٤ (٧) على جواد : ممالك عثمانية نك تأريخ وجغرافيا لغاتى ، ص ٢١ .

[Cl. Huart هيوار]

٢ — «أق سراى» قصر بمدينة شهرسبز شـــيّده عام ٧٨١ هـ (١٣٧٩ — ١٣٨٠) مهندسون جاءبهم تيمور من خوارزم . ولا تزال أطلال هذا القصر ، وهو من أجمل آثار ذلك العصر ، باقية إلى أيامنا هذه ، ويحتمل أن يكون هذا الاسم قد أخذ من اسم قصر مشابه له فى خوارزم .

٣ — «أق سراى» بالقرب من كركانج ورد ذكره فى تاريخ الدوله الشيبانية (طبعة فامبرى، ص ٣٩٢) ؟

[W. Barthold بارتلد]

«أق سُنْقُر» الأحمديلى : أمير كردى خلف أباه أحمديل المتوفى عام ٥١٠ هـ (١١١٦ م) على إمارة مراغة (انظر هذه المادة) وخضع جده أحمديلى المسمى وهسوذان بن محمد الروادى صاحب آذربيجان لسلطان طغرل بك

السلجوقى عام ٤٤٦ هـ (١٠٥٤ م) ، وكان لأق سنقر شأن كبير أيام السلطان محمود (٥١١—٥٢٥هـ = ١١١٧—١١٣٠م) الذى أقامه أتابكا لولده داود . ولما أصبح داود ولياً للعهد عظم شأن أق سنقر وأصبح مركزه أهم مركز فى الدولة السلجوقية ولكن سنجر أكبر أمراء السلاجقة وأقواهم انحاز إلى طغرل ، ولما هاجم طغرل داود بالقرب من همذان عام ٥٢٦هـ (١١٣١م) كانت الفتنة قد دبت بين جنود داود فركن إلى الفرار مع أتابكه أق سنقر . ثم قابل داود بعد ذلك مسعوداً فى بغداد فتحالفا ، وكان الخليفة يؤيّدهما فسارا إلى مراغة ، وهناك لقيا أق سنقر الذى قدم لهما كذلك يد المساعدة فاستطاعا بذلك إجلاء خصومهم عن إقليم آذربيجان بأسره وخرجا لملاقاة طغرل الذى حشد جنده بالقرب من همذان . ولما كانت قواته لا تعدل قواتهما فقد أرغم على الارتداد إلى الرى . وبعد أن دانت همذان لمسعود اغتال الباطنية أق سنقر عام ٥٢٧ هـ (١١٣٢ م) كما اغتالوا أباه من قبل . أما فيما يختص بولده الذى يطلق عليه فيل Weil وغيره اسم أق سنقر خطأً فانظر خاصّ بك ؟

المصـــادر

(١) ابن الأثير : طبعة تورنبرج ، جـ ١٠ ، ص ٤١١ — ٤٢١ وما بعدها (٢) *Recueil de textes relatifs à l'histoire des Seldjoucides* ، طبعة هوتسما ، جـ ٢ ، ص ١٦٠ وما بعدها .

« أق سنقر » البرسقى ، هو أبو سعيد سيف الدين قسيم الدولة أق سنقر البرسقى قائد السلطانين السلجوقيين محمد الأول ومحمود وعاملهما . كان مملوكا للأمير السلجوقى برسق (انظر هذه المادة) ، ويطلق عليه مؤرخو الحروب الصليبية الغربيون الاسم المحرف برجلدس Burgoldus أو برسكونيوس Borsequinus أو برسكوين Borsequin أو برسس Borsses . وكان صفى السلطان محمد الأول (١١٠٥—١١١٨ م) فأقامه على شرطة بغداد والعراق بأسره . وأثناء قيامه بهذا المنصب شن الغارة على صدقة بن دبيس زعيم عرب الحلة وعلى الأمير جاولى الذى كان أميراً على الموصل وغيرهما . وبعد أن توفى مودود عام ٥٠٨ هـ (١١١٤ م) نصب البرسقى والياً على الموصل . ووكل إليه فى الوقت نفسه محاربة الصليبيين فسار إلى الرها وحاصرها دون جدوى أكثر من شهرين . ولكنه كان أكثر توفيقاً فى مرعش حيث خضعت له أرملة الأمير الأرمنى كواسيل الذى لم يكن قد مضى على وفاته وقت طويل . وفى عام ٥٠٩ هـ (١١١٥ م) صرف عن الموصل إثر فشله فى محاربة ايلغازى الأرتقى ، واعتكف فى الرحبة إلى أن توفى السلطان محمد . ثم إن خلفه السلطان محمودا نصّبه ثانية على شرطة

بغداد ، وصرف عنها ثانية أثناء النزاع الذى قام بين هذا السلطان وأخيه مسعود من أجل العرش . وفى عام ٥١٥ هـ (١١٢١ م) استعمل مرة أخرى على الموصل . وفى السنة التى تليها نصّب على شرطة بغداد وحكم واسط أيضاً مما أدى إلى حرب جديدة مع دبيس بن صدقة وخلعه ، ولما تحالف دبيس مع الصليبيين فيما بعد وعاون بلدوين Baldwin على محاصرة حلب سار أق سنقر لانقاذ المدينة عام ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) . ولما نجح فى مهمته هذه ترك حلب لولده مسعود ، وفى العام التالى (٥١٩ هـ = ١١٢٥م) استولى على كفر طاب ولكنه هزم هزيمة منكرة فى حصاره لمدينة عزاز واضطر إلى الرجوع إلى الموصل وهناك اغتاله بعض الباطنية (٨ ذى القعدة عام ٥٢٠ = ٢٦ نوفمبر عام ١١٢٦) فى المسجد . ويقول صاحب كتاب (*Recueil de textes relat à l'his des Seldj.* طبعة هوتسما ج ٢ ، ص ١٤٤ وما بعدها) إن الدركزينى وزير السلطان هو الذى استأجرهم لهذا الغرض ؟

المصادر

(١) ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، ج ١٠ ، ص ٣٠٧ وما بعدها (٢) *Recueil de textes relatifs à l'his. des Seldjoucides* طبعة هوتسما ، ج٢ ص١٤٤ . (٣) *Recueil des historiens des Croisades* ، *Hist. Or.* (٤) ج ١ انظر الفهرس ، ج ٢ ، ص ٣٦ — ٥٨ ، ج ٣ ، ص ٤٩٦ وما بعدها (٥) ابن خلكان : طبعة فستنفلد ، رقم ٩٩ (٦) Wilken : *Gesch. der Kreuzzüge* ج ٢ ، ص ٣٨٢ وما بعدها ، ص ٥٢١ وما بعدها (٧) Weil : *Gesch der Chalifen* ، ج ٣ ، ص ١٥٥ وما بعدها .

« أق سنقر » (أبو زنكى : انظر هذه المادة) كان أميراً تركياً فى عهد ملكشاه الذى زوجه من مرضعه ثم ولاه على حلب عام ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) وأعطاه لقب « قاسم الدولة » . وكان هذا السلطان يفكر عام ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م) — أى قبل وفاته بقليل — فى القيام بمشروعات كبيرة منها إخضاع الخليفة الفاطمى فى مصر ، وأمر أق سنقر وبوزان عامل الرها أن يلتقيا بجندهما مع تتش الذى تولى قيادة الجيش ، ولكنهم ما إن وصلوا إلى طرابلس حتى اختلفوا فيما بينهم ، ويقال إن ابن عمّار (انظر هذه المادة) والى هذه المدينة رشا أق سنقر ووزيره زرين كمر . ومهما يكن من شىء فقد عاد أق سنقر أدراجه فاضطر تتش إلى التخلى عن هذه الحملة . وبعد قليل توفى ملكشاه فانتهز تتش الفرصة للوصول إلى السلطنة ، ولهذا سار مباشرة نحو حلب . وبالرغم من كراهية أق سنقر لتتش فانه لم ير من الحكمة أن يقف فى سبيله ، وتبعه مرغماً وحذا حذوه بوزان . وبعد أن سارت جنودهم مسافة طويلة وكانت الحرب وشيكة الوقوع بينهم وبين بركيارق الوارث الشرعى لملكشاه ، لم يكن

من أق سنقر وبوزان إلا أن تخليا عن تتش وانضما إلى بركيارق ، وأجبر تتش على الارتداد إلى الشـــام ولكنه مع هذا ظل متشبثاً بأطماعه فى السلطنة ، ولذلك ظهر مرة أخرى بجنده أمام حلب عام ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) ونشبت وقعة عند قرية ريّان ، فهرب جند أق سنقر وسيق هو إلى تتش فقتله فى الحال ؟

المصـــــادر

(١) ابن الأثير : طبعة تورنبرج ، جـ ١٠ ، ص ١٠٧ وما بعدها (٢) *Recueil de textes relat. à l'hist. des Seldjoucides* ، طبعة هوتسما ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، ص ٨٤ (٣) ابن خلكان : طبعة فستنفلد رقم ٩٨ .

« أق شمس الدين » الشيخ محمد بن حمزة، وهو الذى صحب محمدا الثانى فى حملاته . ولد عام ٧٩٢ هـ فى دمشق ، ودرس على الشيخ بيرام من بلدة عثمانجق والشيخ زين الدين الخافى ، وحج بيت الله سبع مرات ، ودفن فى كونيك ، واشتهر بكشفه عن قبر أبى أيوب الأنصارى (انظر هذه المادة) أثناء حصار القسطنطينية وبتفسيره لرؤيا السلطان قبل وقعة ترجن التى حدثت عام ٨٧٨ هـ (١٤٧٣ م) وهزم فيها أوزون حسن . وهو صاحب رسالة « دوران الصوفية ورقصهم » (حاجى خليفة ، طبعـــة فلوجل ، جـ ٣ ، ص ٢٩٧) .

وأق شمس الدين من سلالة محمد بن شهاب الدين السهروردى وأبو الشاعر حمدى ؟

المصـــــادر

(١) Hammer Purgstall : *Hist. de l'empire ottoman* ، جـ ٢ ، ص ٣٩٤ ، جـ ٣ ، ص ٣٣٥ ، ص٤٤٧ (٢) Jouannin-Van Gaver : *Turquie* : ص ٧٧ (٣) فريدون بك : منشآت جـ ١ ، ص ٢٨٠ (٤) سعدالدين : تاج التواريخ ، جـ ١ ، ص ٤٢٠ ، ٥٣٤ (٥) Gibb : *Hist. of Ottoman Poetry* : جـ ٢ ، ص١٣٨ وما بعدها.

[هيوار Cl. Huart]

« أق شِهْر » (أق شهر ومعناها المدينة البيضاء وكانت تعرف قديما باسم فيلومليوم Philomelium)قصبة قضاء فى ولاية وسنجق قونيه ، التى تتألف من ناحيتين هما : دوغان حصار وجهان بيلى ومن تسعين قرية يبلغ عدد سكانها جميعا ٣٩٣١١ نسمة . أما أق شهر فيبلغ عدد سكانها ٨٥٠٠ نسمة ، وهى تمتد إلى سفح جبل سلطان داغ وأهم مبانيها مسجد السلطان بايزيد الأول وآثار ترجع إلى عهد السلاجقة هى: طاش مدرسة التى بنيت فى أيام عز الدين كيكاوس الأول(٦١٣هـ=١٢١٦م)؛ و نقوش على رباط قديم للدراويش بنى فى عهد كيكاوس الثانى (٦٥٩هـ = ١٢٦٠ م)؛ وضريح السيد محمود خيرانى الذى يعلوه هرم

مثمن (٦٢١هـ = ١٢٢٤م) . وبه ضريح حديث لنصر الدين خواجه (عليه تاريخ ٣٨٦ هـ = ٩٩٦ م وهو خطأ) . ؟

المصـــادر

(١) V. Cuinet : *La Turqui d'Asie* ، جـ ١ ، ص ٨٠٣ — ٨١٣ (٢) Cl. Huart : *Konia, la ville des derviches tourneurs* باريس ١٨٩٧ ، ص ١٠٩ — ١١٧ (٣) *Epigraphie arabe d'Asie Mineure* (مقتطفات من المجلة الآسيوية ١٨٩٤، ص ٢٨ — ٣٤)(٤) F. Sarres : *Reise in Kleinasien* ص ٢١ — ٢٢ (٥) Ch. Texier : *Asie Mineure* ، جـ ١، ص ٤٣٥ (٦) Ainsworth : *Travels and Researches in Asia Minor* جـ ٢ ، ص ٦٣ (٧) Hamilton : *Researches* جـ ٢ ، ص ١٨٥ (٨) على جواد : ممالك عثمانيه نك تاريخ وجغرافيا لغاتى ، ص ٢١ .

[هيوار Cl. Huart]

« أق صو » : كلمة تركية معناها الماء الأبيض . وهى من الأسماء التى تطلق عادة على النهر فى البلدان التى تتكلم التركية . وجرت العادة أن يطلق اسم أق صو أو أق داريا على جزء النهر الذى يجرى فى مجراه الطبيعى ، فى حين يطلق اسم قره صو أو قره داريا (النهر الأسود) على القناة الصناعية التى تتفرع منه . ومع ذلك فكثير من الأنهار والمجارى المائية المنعزلة تسمى أق صو . وقد انتقل هذا الاسم من الدلالة على الأنهار إلى الدلالة على المدن والقرى وأشهرها بنوع خاص مدينة أق صو من أعمال التركستان الشرقية الواقعة على نهر أق صو أحد روافد نهر يار كنددريا أو تريم . ولا نستطيع إثبات أن هذا الاسم التركى كان موجوداً قبل القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) وعلى ذلك يجب ألا نأخذ بالرأى الذى شاع منـــذ دجوينى Deguignes وهو أن أق صو هى عين أوزاكيا التى ذكرها بطلميوس . وتسمى هذه المدينة ون — سو (وهو اسمها الحالى) وتاشى ويوچو فى المصادر الصينية (انظر كتاب تاريخ هان القديم ، القرن الأول الميلادى) . ويكتب الفرس هذا الاسم بنچول ولا نعرف على وجه التحقيق رسمه أو النطق به (انظر كتاب حدود العالم لمؤلف غير معروف ويرجع تاريخه إلى القرن الرابع الهجرى = العاشر الميلادى ، والجرديزى فى القرن الخامس الهجرى = الحادى عشر الميلادى . والنص وارد عند بارتلد : *Otcet o poyeztke. w. srednyuyu Aziyu* ص ٩١ · Marquart : *Osteuropaische und ostasiatische Streifzuge* المقدمة ، ص ٢٠) .

ويذكر صاحب «ظفرنامه» أسماء تجار من الصين كانوا فى أق صو أيام تيمور مما يثبت أن المدينة كانت ذات شأن. وتوصف هذه المدينة فى تاريخ رشيدى بأنها إحدى عواصم التركستان

الشرقية ثم أصبحت لها أهمية ثانوية بالنسبة لمدن ياركند وكاشغر وطرفان . أما الرحالة المحدثون فيصفونها بأنها مدينة صغيرة يبلغ محيطها نحو كيلو مترين . وكانت فى السنوات العشر الواقعة بين ١٨٦٧ و ١٨٧٧م فى قبضة يعقوب بك (انظر هذه المادة) . وبعد وفاته توطد النفوذ الصينى فيها كما توطد فى التركستان الشرقية بأسرها . ولم يبق فى أق صو أى أثر للأبنية التى أقيمت فى العهود الماضية ؟

[بارتلد W. Barthold]

« إقطاع » ومعناها فى البلاد الاسلامية:

١ — منح الأرض التى لا مالك لها فى مقابل الخراج أو العشور .

٢ — منح غلة الأرض فى مقابل إعطاء شىء أو ضمانه لبيت المال . والإقطاع إما أن يكون :

١ — إقطاع إقليم بأكمله لعامل من العمال ، كإقطاع الخليفة مصر لابن طولون نظير جزية يدفعها ، أو إقطاع جزء من الأرض نظير العشر أو الخراج أو خراج الأجرة أو جزية الرءوس التى أصبحت فيما بعد خراج جزية .

٢ — توزيع دخل قطعة من الأرض كأجر أو معاش . واتسع مدلول الإقطاع حتى استعمل للدلالة على جمع الضرائب والمكوس والجزية والمكوس المفروضة على الأنهار والقنوات . ثم استعمل الإقطاع بعد ذلك للدلالة على الإقطاع الحربى بنوع خاص. وقد أورد الماوردى فى مصنفه « الأحكام السلطانية » (طبعة انجر Enger ، بونا ١٨٥٣ ، الباب السابع عشر ، ص ٣٣٠—٣٤٣[1]) عرضاً نظرياً لقواعد الإقطاع . وميز فى مستهل كلامه بين إقطاع التمليك وإقطاع الاستغلال وذكر الشروط التى تقطع الأرض بمقتضاها .

والأرض على ثلاثة أنواع : —

ا — موات ، وهى الأرض التى لا أثر فيها للزرع ولا مالك لها ، وهى تقطع لمن يعد بزرعها ولا يدفع شيئاً عنها ثلاثة أعوام (يقابل هذا ما يسمى Emphyteusis عند الرومان) وهو يدفع بعد ذلك أجرا عنها محدد بالتزايد ، ولكن الأرض كانت توزع فى الغالب نظير أجر محدد يرون أنه غير قابل للزيادة (انظر بكر Becker : *Die Entstehung von Usr- und harag-Land* فى المصادر) وإذا لم يعمل على إحيائها فيمكن أن تؤخذ منه فى نهاية السنوات الثلاث إلا إذا كان ذلك لعذر ظاهر، وإما أن يقطع الأرض لمدة طويلة مع حق التصرف فيها فى مقابل مبلغ معين يدفعه ، فهى ملك له بصورة من الصور . وإن كانت الأرض عامرة ثم خربت فصارت مواتاً فان كانت جاهلية كان حكمها حكم ما سبق ، وإن كانت إسلامية فقد اختلفوا فيها .

ب — وإذا كانت الأرض عامرة ولها

(١) توافق (ص ١٨١ — ١٨٨ طبعة الوطن بمصر سنة ١٢٩٨ هـ) .

مالك فقد تقطع لشخص ما إذا كانت فى بلد معادية ووعد باقطاعها قبل الفتح . ويصبح المقطع أحق الناس بما أقطع بعد الفتح إذا هرب أصحابه أوهلكوا ، والأرض المفتوحة التى ليست ملكا خاصاً كأن تكون من أملاك الحاكم السابق أو مملوكة للسكان الذين هربوا يضم جزء منها إلى بيت المال ، وهى تؤجر ولا تملك ، أما الأجزاء الأخرى فتصبح أرض خراج وهى إما أن تكون أرض فىء وتحبس وبذلك تؤجر فقط ولا تصبح ملكا خاصاً للمقطع ، وإما أن تظل فى يد مالكها (غير المسلم) وهى لا تقطع والخراج المأخوذ عنها يحل محل الجزية .

والأرض التى تضاف إلى أملاك الدولة لموت صاحبها دون وارث شأنها شأن الأملاك العامة ، ويذهب بعض الفقهاء إلى أن للحكومة حق التصرف فيها ، وفى هذه الحالة إما أن تصبح إقطاع استغلال كما يذهب اليه البعض وإما أن تصبح إقطاع تمليك كما يذهب إليه البعض الآخر .

٢ — إقطاع استغلال ، وهو إنما يكون عوضاً وضماناً لما ينبغى أن يدفعه بيت المال للرعية ، ولهذا ينبغى أن يكون ما يستحقه الشخص فى بيت المال معلوماً مقداره قبل الاقطاع حتى إذا أرادت الدولة أن تقطعه ما يستغله أعطته ما تكون غلته موازنة للاستحقاق .

وهناك فرق بين :

ا — اقطاع العشر ، وهو غير جائز ، لأن العشور من أنواع الزكاة ، وهى إنما يعلم مقدارها عند الأداء ، وأما العشور فإنها إنما تؤدى فى آخر العام ، وهكذا لايتفق التاريخان [٢] .

ب — وإقطاع الخراج : ولا يمنح مال الخراج — للأسباب التى ذكرناها آنفا — لأى فرد فى مقابل الزكاة . ولهذا السبب نفسه فإن أهل المصالح ممن ليس لهم رزق مفروض ، والذين ينصبون إلى أجل غير مسمى لا يصح لهم أن يقطعوا مال الخراج . وعلى النقيض من ذلك فإن رجال الجيش أخص الناس بإقطاع الخراج فى مقابل أعطياتهم المقدرة لأن التسوية ميسورة فى الحال . (انظر فيما يختص بخراج الجزية وخراج الأجرة مادتى « جزية » و« خراج ») ويجوز إقطاع خراج الأجرة لعدة سنين على أن يكون رزق المقطع معلوم القدر .

وإذا بقى المقطع على حال السلامة طول المدة فهو على استحقاق للاقطاع ، وإذا مات

(٢) هذه العبارة غير واضحة ولا صحيحة . وعبارة الماوردى « أما العشر فاقطاعه لا يجوز ، لأنه زكاة لأصناف يعتبر وصف استحقاقها عند دفعها إليهم ، وقد يجوز ألا يكونوا من أهلها وقت استحقاقها ، لأنها تجب بشروط يجوز ألا توجد فلا تجب ، فان وجبت وكان مقطعها وقت الدفع مستحقا كانت حوالة بعشر قد وجب على ربه لمن هو أهله — صح وجاز دفعه اليه ، ولا يصير دينا له مستحقاً حتى يقبضه ، لأن الزكاة لا تملك إلا بالقبض ، فان منع من العشر لم يكن له خصما فيه ، وكان عامل العشر بالمطالبة أحق » .

يعود الإقطاع إلى بيت المال ويتناول ذراريه أرزاقهم من موارد أخرى . وإذا أصيب المقطع بالزمانة فيكون باقى الحيـاة مفقود الصحة فان حق الانتفاع برزقه يسوى وفقاً للعرف المتبع فاما أن يستمر فى تناول الإقطاع وإما أن يعطى معاشاً من موارد أخرى . ولا إقطاع مدى الحياة ولا حق للذرارى فى وراثتـــه لأن ذلك يحول بين الدولة وبين السيادة المالية لأنها بذلك تفقد حق التصرف فى الإقطاع . والإقطاع مدى الحياة دون حق التوريث جائز إذا كان العرف المتبع يسمح للمقطع إذا أصابته الزمانة أن يتناول رزقه كاملا. وهذه هى آراء الماوردى فى جملتها . أما فيما يختص باقطاع المعادن [وهى البقاع التى أودعها الله جواهر الأرض] فيمكن الرجوع إلى نهاية الفصل المذكور فى كتاب الماوردى . وهذا المؤلف لم يتحدث عن إقطاع الأرض للمسلمين على أنها أرض عشر ، ونحن نعلم أن هدا النوع من الإقطاع كان شائعاً فى البلاد الاسلامية (وقد فصل بكر Becker بنوع خاص هذا الإقطاع فى *Steuprpacht* ،cu ، ص ٨١ وما بعدها ، انظر المصادر ، وقارن فى هذا الكتاب انظمة الأقطاع الشرقيـة بالغربية) . وذكر الماوردى أن إقطاع الخراج كان موافقا لأهل الجيش بنوع خاص ، والحق أن الإقطاعات الحربيـة نشأت عن هذا النظام وكان الجند والأمراء يأخذون إيجارها ضماناً لجميع أرزاقهم أو بعضها . ولما كان الإيجار يزيد فى غير نظام أخذوا بالتدريج الأرض نفسها ، وظلت هذه الحال مائة وثلاثين سنة من عهد بنى بويه (انظر هذه المادة) إلى حكم السلطان ملكشاه (٤٦٥ — ٤٨٥ هـ = ١٠٧٣ — ١٠٩٢ م) ووزيره نظام الملك (انظر بكر Becker : *Steuerpacht* ، ص ٨٩) وقد أقطع هذا الوزير الولايات للجند ووزعها على أنها دخل وإيراد ، وعدل السلاجقة هذا النظام فجعلوا الإقطاعات وراثية فى مقابل الخدمة العسكرية ، ذلك لأنهم كانوا قبيلة من البدو همهم اجتذاب أكبر عدد ممكن إلى الجيش وظنوا أنهم بذلك يضمنون لأنفسهم جيشاً موالياً مخلصاً (المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ، ذكر أن جنديا فى جيش الأمير السلجوقى ، أتابك نور الدين صاحب حلب ٥٤١—٥٦٩هـ=١١٤٦—١١٧٤م قال « الاقطاعات أملاكنا ، يرثها أولادنا ، الولد عن الوالد ، فنحن نقاتل عليها »[٣] وكان الأمر على هذا المنوال عند أتابكة الشام والأيوبيين . وكان المغل يتبعون أيضـا النظام الوراثى للإقطاع نظير الخدمة العسكرية على خلاف ما كان فى عهـــد المماليك (انظر Becker : مادة « مصر ») إذ كانت جميع البلاد التى تحت حكم سلطان المماليك

(٣) عبارة المقريزى فى الخطط (ج ٣ ص ٣٥١ طبعة مصر سنة ١٣٢٥هـ) كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى رحمه الله إذا مات الجندى أعطى إقطاعه لولده ، فان كان صغيراً رتب معه من يلى أمره حتى يكبر ، فكان أجناده يقولون .... الخ « وبه اقتدى كثير من ملوك مصر فى ذلك » .

ـــ ما عدا الملكيات الخاصــــة والأوقاف والأراضى الموات والصحارى ـ ملكا إقطاعياً للسلطان ، وكانت هذه الأرض مقسمة إلى ٢٤ قيراطاً فى عهد السلطان قلاوون (٦٧٨ ـــ ٦٨٩هـ = ١٢٧٩ ـ ١٢٩٠ م): أربعة منها للسلطان يهب منها لمن يحب من حرسه وقواده وجنده، وعشرة للأمراء ومثلها للجند. وكان الأمراء كذلك يخصصون قيراطاً من نصيبهم لجندهم . وكان يعاد توزيع الأرض من حين إلى آخر بعد مسحها مرة كل ثلاثين سنة على الأقل ، وكثيراً ما كان يجدد التوزيع إذا نشب خلاف وذلك ، عند ما يستولى كبار الأمراء مثلا على إقطاعات واسعة مدخلين بذلك نظام الملكيات الكبيرة أو عندما يمتنع صغار الأمراء عن إقطاع الجنـــد . وكان السلاطين يأمرون بمسح الأرض من جديد كى يقطعوا مماليكهم ، مثال ذلك ما فعله السلطان لاجين (٦٩٦ ـــ ٦٩٨ هـ = ١٢٩٦ ١٢٩٩ م) الذى أخذ أربعة عشر قيرطا من الاقطاعات المخصوصة بحرسه . وعندما مسحت الأرض فى عهد السلطان الناصر محمد (٧١٥هـ = ١٣١٥م) اختص السلطان بعشرة قراريط واختص الأمراء وجندهم بأربعة عشر قيراطاً . وظهر خلاف آخر فى عهد أسرة المماليك الأولى أيام السلطان المسرف الكامل شعبان إذ استبدل الجند إقطاعاتهم أو باعوها إلى أفراد آخرين ودفعوا نظير ذلك مبالغ جسيمة لبيت المال ، وأسس ديوان خاص بهذا النظام هو « ديوان البدل »

(انظر تفصيلات أخرى عن هذا الموضوع فى سبرنهايم Sobernheim : *Materiaux pour un corpus Inscr. arab.* ، جـ ٢ ، رقم ٤٤) ولكن هذا النظام الفاسد لم يعمر طويلا ، ووصفه المؤرخون بأنه عمل ظالم غير شرعى . ولما فتح السلطان سليم الأول الشام ومصر عام ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) مسح الأرض من جديد وقسمها باعتبار أنها أملاك واقطاعات سلطانية وفقاً للنظم العثمانيـة . وعمل بنظام الوراثة شيئاً فشيئاً كما كان الحال فى البلاد العثمانيـة . وكان محمد على أول من جرّد المماليك وصغار الأمراء من إقطاعاتهم وأدخل نظام الأجور المباشرة للجند . وكان سلاطين الترك (انظر مادة « ترك ») يَدّعون بعض الأرض المفتـــوحة لأنفسهم ، ويمنحون خلصاءهم ضرائب بعض اللواءات بأكملها ،وكان الوالى الذى يمنح إقطاعاً بهذه الطريقة يحصل على ضرائبه وغيرها ويقدم إلى السلطان فى مقابل ذلك عدداً معيناً من الجنـد بقدر اتساع ولايته ثم تغير ذلك النظام فصار الوالى يدفع جزية مقدرة للباب العالى ، ولهذا كثيراً ما كان كبار الباشوات يستقلون تقريباً عن الباب العالى فقامت أسر صغيرة فى الشام وحمص وبعلبك ولبنان ونابلس . وكانت الاقطاعات الصغيرة تسمى بأسماء مختلفة ، حسب مساحتها فكان من أسمائها (زِعَامة) مشتقة من كلمة (زعيم) أى زعيم الجيش، و (طمار). ويختلف عدد الجند الذين يقدمونهم للسلطان بالنسبة

لغنائمهم. وكانت هذه الاقطاعات وراثية تقسم وفقاً لبعض القوانين بين أبناء المقطع وورثته نظير القيام بالخدمة العسكرية. ويمكن أن يقال إن السلطنة العثمانية كلها كانت تتألف من إقطاعات حربية، وأدت هذه الحال بمرور الزمن إلى ضعف الدولة لما كان يسبّبه هذا النظام من التفكك. وقد الغى هذا النظام تدريجاً «بالتنظيمات» التى أدخلها السلطان عبدالمجيد، والتى مهد السبيل لها السلطان محمود الثانى (١٢٢٣ — ١٢٥٥ هـ = ١٨٠٧—١٨٣٩ م) واستقر النظام نهائياً بقانون الملكية العقارية الذى سن عام ١٨٥٦ م وفرضت الخدمة العسكرية على جميع المسلمين من عام ١٨٣٩ م. ولا يزال هناك بعض إقطاعات وراثية يمنحها كل سلطان جديد لكبار رجال دولته [1] ؟

المصادر

(١) الماوردى: الأحكام السلطانية، طبعة إنجر، بون ١٨٥٣ (٢) بدرالدين محمد بن ابراهيم ابن جماعة: تحرير الأحكام فى تدبير أهل الاسلام، انظر فولر Vollers: *Kat. der islam. .... Hand-Schriften der Univ. Bibl.*, ليبسك ١٩٠٦، رقم ٣٩٩ (٣) ابراهيم الحلبى: ملتقى (مجمع الأنهر فى ملتقى الأبحر) بولاق ١٢٨٧، وكتب الفقه الأخرى (٤) المقريزى: الخطط، ج ١، ص ٨٧ وما بعدها، ج ٢، ص ٢١٥ وما بعدها (٥) أبو يوسف: كتاب الخراج، بولاق ١٣٠٢ (٦) ابن الجيعان: كتاب التحفة السنية فى أسماء البلاد المصرية، القاهرة ١٣١٥ (٧) ابن مماتى: كتاب قوانين الدواوين، القاهرة ١٢٩٩ (٨) C. H. Becker: *Die Entstehung von Ushr-und Kharag-Land* فى *Zeitschr. f. Assyr.*, ج ١٨، ص ٣٠١ وما بعدها، ١٩٠٤ — ١٩٠٥ (٩) *Steuerpacht und Lehnswesen* فى *Der Islam* ص ٨٢—٩٢، ١٩١٤ (١٠) M. van Berchem: *La propriété territoriale*، جنيف ١٨٨٦ وفيه نبذ كثيرة من البلاذرى (١١) M. Hartmann: *Zur Wirtschaftsgeschichte des altesten Islam* فى *Orient. Lit. Zeitung*، ج٧، رقم ١١ و١٢ (١٢) Wellhausen: *Das arabische Reich und sein Sturz* برلين ١٩٠٢، وعلى الخصوص عهد عمر بن عبدالعزيز (١٣) Worms: *Recherches sur la constitution de la propriété territoriale dans les pays musulmans* فى المجلة الآسيوية، المجموعة الثالثة، ج ١٤، ١٨٤٢، المجموعة الرابعة، ج ١، ١٨٤٣، ج ٣، ١٨٤٤ مع إشارات إلى ممالك إسلامية مختلفة (١٤) Tornauw: *Das Eigentumsrecht nach muslimischem Recht* فى *Zeitschr. d. Deutsch. morgenl. Ges.*, ج ٣٦ (١٥) C. H. Becker مادة «مصر» فى الدائرة (١٦) Behrmann: *Kogabeg's Abhandlung über den Verfall des osm-*

(١) كان ذلك قبل الانقلاب التركى الأخير.

Zeitschr. d. في anischen Staatsgebäudes (١٧) ١٥ ج Deutsch. Morgenl. Ges. Étude sur la propriété foncière : M. Belin ، المجلة الآسيوية ، المجموعة الخامسة ، ج etc. ١٨ ، ١٨٦١ ، ج ١٩ ، ١٨٦٢ (١٨) المؤلف نفسه : Régime des fiefs militaires dans l'Islamsime في المجلة الآسيوية ، المجموعة السادسة ، ج١٥ ، ١٨٧٠ (١٩) A. Gu-land : Grundzüge der muhammedanischen Dorpat ، Agrarverfassung u. Politik ١٩٠٧ (٢٠) Mouradgea d'Ohsson ، Tableau de l'Empire Ottoman ، ج ٧ ، ص ٢٤٣ ، ٢٥٠ ، ٢٧٩ ، ٣٧٤ (٢١) Padel : De la législation foncière ottomane باريس ١٩٠٤ (٢٢) Sylvestre de Sacy : Recherches de la nature et sur les revolutions du droit de la propriété, Mémories de l'institut Royal de France ، ج ١ ، ص ٥ ، ٧ (٢٣) A. Von Tischendorf : Das Lehnswesen in den moslemischen Staaten ، ليبسك ١٨٧٢ .

[سوبرنهيم M. Sobernheim]

« أق قيونلو » أي قبيلة القطيع الأبيض : أسرة من تركمان آسية الوسطى ، يطلق عليها كذلك « بايندرية » لاتصال نسبها بـ « بايندر » (وفرة الرفاهية) وهو الابن الأكبر لـ « كوك خان » ، الابن الرابع لـ « أغوز » (أبو الغازي، ٢٧) . واتخذت هذه الأسرة ديار بكر (آمد) عاصمة لها ثم اتخذت تبريز بعد ذلك. وحارب أمراؤها القره قيونلو والكرد والأيوبيين والكرج والعثمانيين . ومؤسس هذه الأسرة هو بهاء الدين قره عثمان ولقبه قره يُلُك (توفي عام ٨٣٨ هـ = ١٤٣٤ — ١٤٣٥م) الذي ما إن استولى على أملاك القاضي برهان الدين صاحب سيواس حتى أقامه تيمور على ديار بكر .

وخلفاؤه : هم ١ — علي بك ٢ — حمزة بك المتوفى عام ٨٤٨ هـ (١٤٤٤ م) وقد تنازعا السلطان بينهما ٣ — جهانكير بن علي بك ٤ — أوزون حسن ، أخو السابق (٨٥٧ — ٨٨٢ هـ = ١٤٥٣ — ١٤٧٧ م) وهو الذي نقل عاصمته إلى تبريز بعد فتح آذربيجان عام ٨٧٦هـ (١٤٧١م) ٥ — خليل الله بن أوزون حسن المتوفى عام ٨٨٣ هـ (١٤٧٨م) ٦ — أخوه يعقوب المتوفى عام ٨٩٦ هـ (١٤٩١ م) ٧ — باي سنقر ولد السابق : توفي عام ٨٩٨ هـ (١٤٩٣ م) ٨ — رستم بن مقصود بن أوزون حسن ، توفي عام ٩٠٢ هـ (١٤٩٦ — ١٤٩٧ م) ٩ — أحمد الملقب بـ « جوده » وهو ابن أوغورلو محمد ، توفي عام ٩٠٣ هـ (١٤٩٧ — ١٤٩٨ م) . وبعده حكم مراد المتوفى عام ٩١٤هـ (١٥٠٨م) في آذربيجان ومحمد في إصبهان وإلوند المتوفى عام ٩١٠ هـ (١٥٠٤ — ١٥٠٥ م) في العراق

العجمى . ثم ضمت ولاياتهم الى أملاك الصفويين عام ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) ؟

المصـــادر

(١) تأريخ منجم باشى : جـ ٣ ، ص ١٥٤ وما بعدها (٢) خوندمير : حبيب السير ، جـ ٣ ، ص٤ ، ١٤ ومابعدها (٣) Hammer-Purgstall: *Hist. de l'Empire ottomane* ، جـ ٣ ، ص ١٥١ ، وما بعدها ؛ جـ ٤ ، ص ٨٠ وما بعدها (٤) رضا قلى خان : روضة الصفا ناصرى ، جـ ٨ ، الورقتين الاخيرتين (٥) Stanely Lane Poole : *Coins of the Turks* ، ثبت المسكوكات الشرقية المحفوظة بالمتحف للبريطانى ، جـ ٨ ؛ ص ١١ — ١٨ .

[Cl. Huart هيوار]

«أق كرمان» وتكتب عادة آكرمان : مدينة روسية ، وهى قصبة إقليم من أعمال بسارابيا ، ومعنى أق كرمان القصر الأبيض . وكانت هذه المدينة تسمى فى العصور الوسطى مون كاســترو Mon Castro وتسمى فى المصادر الروســية والبولونية « بيلجرد Byelgorod » ومعناها المدينة البيضاء أيضا . وكانت هذه المدينة بادئ الأمر فى حوزة البنادقة ثم انتقلت إلى أهل جنوة . وفى عام ١٤٨٤م خضعت للحكم التركى ونهبها القوزاق بعد ذلك عدة مرات كما خربتها عام ١٥٩٥ م الجنود الألمانية . وفى صلح بوخارست الذى أبرم عام ١٨١٢ ألحقت أق كرمان وبسارابيا بالروسيا ؟

[بارتلد W. Barthold]

« إقليم » الرسم العربى لكلمة كليما Klima اليونانية التى معناها الميْل . وقد قسم أراثوسينس المتوفى عام ١٩٥ ق.م المعروف من المعمور إذ ذاك إلى سبع مناطق تتجه فى الاتجاه الطولى ، وقد عينت حدودها على وجه التقريب وقسم هيبارخوس المتوفى عام ١٥٠ ق . م هذه الكرة الأرضية إلى مقدار من المناطق العرضية متساوية الاتساع والبعد بعضها عن بعض . وقد أخذ العرب بالتقسيم إلى سبعة أقاليم متســاوية العرض إلا أنهم اعتبروا البلدان الواقعة جنوبى خط الاستواء قد قدرت بأنها الثمن من مسطح الأرض والواقعة فى أقصى الشمال التسع من هذا المسطح . ورتب الادريسى (انظر هذه المادة) كتابه تقويم البلدان وفقاً لترتيب الأقاليم . وكانت القاعدة لتعيين حدود إقليم ما هى مدة أطول يوم فيها . أما أبو الفداء فقد ذهب إلى أن الشطر العامر من الأرض كان واقعاً فعلا بين درجتى ١٠ و ٥٠ من العرض الشمالى وأن مدة أطول يوم تزداد فى كل إقليم من الأقاليم السبعة بحسب وضعها من الجنوب إلى الشمال بقدر ٣٠ درجة . وفى الجدول التالى بيان الحدود

الشمالية والجنوبية للأقاليم السبعة مع بيان طول أطول يوم مأخوذ فى الحد الجنوبى لكل إقليم بالساعات وكذا طول الأقاليم المختلفة وعرضها بحسب الدرجات :

الإقليم	الأول	الثانى	الثالث	الرابع	الخامس	السادس	السابع
الحد الجنوبى	١٢° ٤٠َ	٢٠° ٢٧َ	٢٧° ٣٠َ	٣٣° ٣٧½َ	٣٨° ٥٤َ	٤٣° ٢٢½َ	٤٧° ١٢َ
الحد الشمالى	٢٠° ٢٧َ	٢٧° ٣٠َ	٣٣° ٣٧½َ	٣٨° ٥٤َ	٤٣° ٢٢½َ	٤٧° ١٢َ	٥٠° ٢٠َ
أطول يوم	١٢¾	١٣¼	١٣¾	١٤¼	١٤¾	١٥¼	١٥¾
العرض	٧° ٤٧َ	٧° ٣َ	٦° ٧½َ	٥° ١٧َ	٤° ٢٨½َ	٣° ٤٩½َ	٣° ٨َ
الطول	١٧٢° ٢٧َ	١٦٤° ٢٠َ	١٥٤° ٥٠َ	١٤٤° ١٧َ	١٣٥° ٢٢َ	١٢٦° ٢٧َ	١١٩° ٢٣َ

وطول أطول يوم عند الحد الشمالى للاقليم السابع أى عند درجة ٢٠َ ٥٠° من درجات العرض الشمالى هو ١٦¼ ساعة ، ومع هذا فهناك أصقاع عامرة فى شمال هذه الأقاليم وجنوبها ثم إن الامتداد الطولى لهذه الأقاليم ينقص كلما كانت حدودها أكثر إيغالا فى الشمال ، وبذا يكون طول الإقليم الأول من الشرق إلى الغرب وفقاً لما قرره البيرونى هو ٢٧َ ١٧٢° أى ٣٢٥٢ فرسخاً تقريباً باعتبار أن الدرجة الواحدة تعدل ١٨� فرسخاً وبحسب التقدير القديم لطول الدرجة بالفراسخ هو ٢٢¾ فرسخاً يكون طول ذلك الأقليم ٣٨٣٢ فرسخاً ويكون طول الإقليم السابع ٢٣َ ١١٩° أى حوالى ٢٢٥٥ فرسخاً . وبحسب التقدير القديم ٢٦٥١ فرسخاً . وقد اعتمد أبو الفداء هذا التقدير .

(١) ذهب جغرافيو العرب إلى أن العامر من الأرض هو ربعها وهو ٦٤ درجة فوق خط الاستواء . والدرجة فى اصطلاحهم ٢٥ فرسخا والفرسخ ١٢٠٠٠ ذراع والذراع ٢٤ إصبعاً والاصبع ٦ حبات شعير ملصقة بطون بعضها لظهور بعض . فالربع العامر يبلغ بهذا الحساب ١٦٠٠ فرسخ فوق خط الاستواء ، وغير العامر من الأرض بعد ذلك خلاء . والتعبير بالربع هنا مجرد اصطلاح وإلا فالربع الحقيق بمقتضى الحساب الآنف هو ١٩٩٥ فرسخا لا ١٦٠٠ فحسب . وقد عللوا خلاء الأرباع الثلاثة الاصطلاحية الباقية بأن بعضها واقع إلى أقصى الشمال فلا عمارة فيه لشدة البرد والجمود والبعض الآخر إلى جنوب خط الاستواء . فلا عمارة فيه كذلك لشدة الحر وعدم الرطوبة التى هى مصدر حياة الحيوان والنبات .

وذهب أولئك العلماء كذلك إلى ما ذهب المتقدمون إليه من قسمه الربع المسكون من الأرض إلى سبعة أقاليم يتجه كل منها من الغرب إلى الشرق بموازاة خط الاستواء ، مبتدئا من خط الزوال المار بالجزر الخالدات وقد قالوا ، وهذا من بداهة العقول ، إن الفواصل بين الأقاليم ليست خطوطاً صحيحة محسوسة بل وهمية افتراضية وأن لكل إقليم عند اجباله ووهاده وعيونه وأنهاره ومظاهر طبيعتها اما لا يشبه بعضها بعضا ومعادن ونباتات وحيوانات مختلفه . وهذا القول وهم لا مبرر له من سند أو منطق لأن قطراً فى أحد الأقاليم السبعة قد يعدوه إلى ما يليه شمالا أو جنوبا فتعيش كائناته فى إقليمين أو أكثر وليس بينهما مثل الاختلاف الذى إليه أشاروا وقالوا به ودعوا اليه وذلك بسبب ما يؤثر فيها من مميزات البيئة وخصائص الوسط التى تستدعى

والكلمة التى تؤدى عند الفرس معنى الاقليم هى كشور وهى تفيد كذلك معنى قسم من الأقسام السبعة أو الممالك التى تتألف منها أقسام الأرض ولكن مع صرف النظر عن خطوط العرض الجغرافية . وكانت بلاد فارس بهذا الاعتبار واقعة فى مركز العالم ومن حولها بلاد العرب وإفريقية وبلاد الرومان والترك والصين والهند . وذهب المسعودى (فى الباب الثامن) إلى ما يشبه ما تقدم من تقسيم الأرض إلى سبعة أقسام . وقد أفادت كلمة إقليم فى بعض الأحيان معنى الجهة أو القطر كالشام والعراق وغيرهما . اما أبو الفداء فقد سمى الاقليم بالاقليم الشائع وهو ضد الاقليم الحقيقى أى الفلكى الذى تعينه خطوط العرض الجغرافية . وإقليم الرؤية اصطلاح آخر لفلك البروج ؟

التماثل والتشاكل فى الغالب .

ثم انهم للمبالغة فى ضبط حدود البلاد والأمم فى كل إقليم على ما زعموه وفندناه فيما سلف ، والأقاليم تمتد كما هو معلوم من الغرب إلى الشرق امتداداً يقصر ويتضاءل بالنسبة لكل منها كلما اقتربت من الشمال ، قسموها إلى أجزاء بخطوط طولية تقطع الخطوط العرضية فجعلوا كل إقليم عشرة أجزاء إلا الاقليمين الرابع والسابع فقد جعلوها فى كل منهما تسعة متفاوتة الاتساع طبعاً .

وفى الاقليم السابع وبالجزء الثانى منه محسوباً من الغرب إذ الجزء الأول واقع كله فى بحر الظلمات تقع جزر انقلطرة (انجلترا) التى شبهوا شكلها برأس النعامة وهو كذلك فعلا كما يبدو عند المقارنة . وفى الجزء التاسع وهو أقصى الأجزاء التسعة إلى الشرق تقع أرض ياجوج وماجوج ومعنى هذا أن الاقليم السابع كان ينتهى عند جبل قاف وباب الأبواب وأنه لم يكن إلى الشرق بعدهما عمار قط ومن ثم كان هذا الاقليم أقصر الأقاليم امتدادا إلى الشرق . وتليه فى زيادة الامتداد بعض الشىء الأقاليم التالية جنوباً بالابتداء من السادس إلى الأول الذى يبتدىء فى الغرب حيث الجزر الخالدات وينتهى فى بحر الصين ومن ثم كان هذا الاقليم أقصى الأقاليم السبعة امتداداً وطولا .

هذا وكلمة إقليم مشتقة من اليونانية Klima التى تفيد معنى البلد أو القطر أو المنطقة الجغرافية من مناطق الأرض . غير أن دلالات كلمة الاقليم قد تنوعت فى عدد الأقطار والأمصار ففى العراق والشام ومصر وإفريقية على ما قرره ياقوت فى معجمه ، يطلقون الاقليم على طائفة من المدن والقرى . وفى أندلس خاصة على كل قرية ، فاذا قال أندلسى أنا من إقليم كذا فانما كان يعنى بلدة أو رستاقا بعينه . وفى فارس قسم الفرس الأقطار المطيفة ببلادهم — إيرانشهر — إلى سبعة أقسام اسموها كشورات (جمع كشور) أى خطوط مستديرة . وقد شرح هذا التقسيم أبو الريحان البيرونى فقال فى كلام طويل ما معناه أن الفرس اعتبروا بلادهم وسط العمران كأنها دائرة وسطى ومن حولها الممالك الأخرى فى ست دوائر (كشورات) متماسة بعضها ببعض ، وبهذه الدائرة الوسطى فتكون هذه الدوائر السبع وهى الأقاليم السبعة. قال أبو الريحان : « أما الحقيقة لم جعلوها سبعا فما أجدنى واجده بالطريق البرهانى » وذكر بعد ذلك ما كنا نذهب اليه قبل الاطلاع على هذا البيان من أن هذا التقسيم رجعوا فيه إلى الكواكب السيارة (فى علم الهيئة القديم) كما رجعوا فى أيام الأسبوع » فلقد قالوا إن للاقليم الأول من السيارات السبعة زحل وللثانى الزهرة وللثالث المشترى وللرابع عطارد وللخامس المريخ وللسادس القمر وللسابع الشمس كما نسبوا اليها على هذا الترتيب أيام السبت والجمعة والخميس والأربعاء والثلاثاء والاثنين والأحد

ولا عبرة فى اشتقاق كلمة الاقليم بما ذهب بعضهم اليه من أنها عربية وأن جمعها أقاليم على وزان إخريط وأخاريط (نوع نبات) بل ولا بما عللوا به هذا الاشتقاق من أن الاقليم مقلوم من الأرض التى تتاخمه أى مقطوع منه وان القلم (بسكون اللام) فى أصل اللغة

المصــــادر

(١) Reinaud: *Géographie d'Aboul-féda*، جـ ١، ص ٢٢٤ وما بعدها، جـ ٢، ص ٨ وما بعدها (٢) *Dict. of Techn. Terms* طبعة شپرنجر ص ١٢٢٣ وما بعدها (٣) ابن خلدون: *Prolegomena* طبعة Quatremère *notices et Extraits* جـ ١٦، ص ٩٢ وما بعدها، جـ ١٩، ص١٢ ومابعدها (٤) الحداني: *Géographie der arab. Halbinsel* طبعة H. Muller ص ١—٤٤.

[ڤير T. H. Weir]

« **أق مسجد** » كلمة تركية معناها المسجد الأبيض:

١ — « أق مسجد » مدينة من مدن القريم بها ١٨٠٠ منزل، هدمها الروس عام ١٧٣٦ م، وأعيــــد تشييدها عام ١٧٨٤ م وسميت « سمفروپول Simferopol» وهي اليوم قصبة شبه جزيرة القريم Tauria، وفي عام ١٨٩٧ م بلغ عدد سكانها ٤٨٨٢١ نسمة.

هو القطع وأن منــه قلت ظفرى أى قطعته وأن القلم (بفتح اللام) سمى به لانه مقطوع مرة بعد مرة، فقد نصت كتب اللغــة على أن الاقليم ليس بعربى كما قاله الجواليقى . أما كتاب الادريسى الذى أشار اليه العلامه فير مؤلف هذه المادة فى تقويم البلدان فهو « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » وهو مبوب ومرتب كما قال بحسب الاقاليم السبعة فبابه الاول فى الاقليم الاول وهكذا إلى السابع

محمد مسعود

٢ — « أق مسجد » حصن على نهــر سيحون استولى عليه الروس عنوة وخربوه فى التاسع من أغسطس (أو ٢٨ يوليـه ؟) عام ١٨٥٣ وأعيد تشييده فى العـام نفسه وأطلق عليه اسم حصن پروفسكى Perowski وهو الآن مركز پروفســـك Perowsk فى إقليم سيحون ويبلغ عدد سكانه ٥٠٠٠ نسمة . وجميع الحصون المقـامة على المجرى الأدنى لنهر سيحون التى أمر بتشيدها أمراء خوقند تخضع كذلك لوالى أق مسجد، وتجبى من هذا الحصن زكاة قبائل البدو والمكوس المفروضة على طريق القوافل مابين أورنبورج Orenbourg وبخارى. وفى مارس عام ١٨٥٢ قامت فصائل خوقند تحت قيادة الوالى يعقوب بك (انظر هذه المادة) — وهو أمير كاشغر فيما بعد — بحملة على القوزاق وهم من الرعايا الروس ونهبوا مايقرب من مائة قرية . وصد خلف يعقوب المسمى باتيرباشى الهجوم الذى قام به الكولونيل الروسى بلارامبرج فى يوليه من ذلك العام. وتقدمت حملة العام الثانى التى كان يقودها الجنرال پروفسكى (الكونت پروفسكى فيما بعد) فى حذر وبطء شديد أدى الى بذل الكثير من الأرواح بلا جدوى وكانت حامية أق مسجد تتألف من خمسمائة رجل وثلاثة مدافع . وقد قتل الوالى محمد على. (تاريخ شاه رخى، ص ٩ ؛ وتقول المصادر الروسية إن اسمــــه محمد ولى أو عبدولى) والجزء الأكبر من الحامية فى دفاعهم عن هذا

الحصن ، ولم يأسر الروس سوى ٧٤ اسيرا معظمهم من الجرحى. وصدُ الجيش المرسل من خوقند بقيادة البكباشى قاسم بك لاستعادة هذا الحصن بعــد أن تكبد خسارة جسيمة . وللاستيلاء على أق مسجد — وهو أول فتوح الروس فى الحوض الأوسط لنهر سيحون — أهمية خاصة فى تاريخ آسية الوسطى ، وهو يعد فى التاريخ الحربى مثالاً للفنون العسكرية التى لا يمكن تطبيقها فى بلاد مثل هذه ؟

[بارتلد W. Barthold]

« آقنجى » : الطفل المفقود وطليعة الجيش (مشتقة من آقن ، وأصلها أقمق ومعناها سيلان أوجريان أو غارة أو غزوة أو نهب يقوم به الفرسان) . كان الآقنجى فى بداية الفتح العثمانى يسيرون فى طليعة الجيوش العثمانية المنظمة المغيرة ويلقون الرعب فى أوروبا الشرقية بحركاتهم السريعة ، وهم فى الوقت نفسه لا يأخذون على عملهم هذا أجرا ولا يقطعون أرضا ولكنهم يعيشون على الأسلاب التى يغنمونها من العدو . ظهروا لأول مرة فى السنوات الاولى التى توطد فيها حكم الدولة العثمانية وكان ظهورهم أولا فى آسية الصغرى وبخاصة فى وقعة بين أرطغرل وبين جيش مؤلف من اليونان والتتر حدثت فى سهل بروسة حوالى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى . وخلال الحصار الأول لمدينة فينا عام ٩٣٥ هـ (١٥٢٩ م) تقدم الآقنجى حتى وصلوا راتزبون Ratisbonne بعد أن جاوزوا مدينة لنز Linz التى مروا بها فى طريقهم ودمروا جميع البلدان بالسيف والنار كما يذكر بول چوف Paul jove .وأسرة ميخال أوغلى التى ظلت تقود هذه الفرقة أمدا طويلا تفاخر بأنها أنحدرت من كوسه ميخال وأنها تتصل بوشائج القرابة بالبليولوج Paleologues إلى جانب مفاخرتها بقرابتها من ناحية الأم بدوقة سافوى وملك فرنسا ؟

المصــــادر

(١) Hammer-Purgstall : *Hist. de l'Empire Ottomane* ج ١ ، ص ٥٩ ، ١٢٨ ، ٣٨٦ ، ج ٥ ، ص ١١٨ ، ١٣١ ، ١٣٢ (٢) احمد جودت بك : تأريخ عسكرى عثمانى ، ج ١، ص ٤ ، فى الترجمة الفرنسية ج ١، ص١٩ (٣) مصطفى أفندى : نتائج الوقوعات ، ج ١ ، ص١٧٥

[هيوار Cl. Huart]

« الاقواء » : اصطلاح فى العروض يدل على أنه فى القصيدة الواحدة يكون الروى مضموما فى بيت ومكسورا فى بيت آخر . ولا قيمة لهذا إذا كان الجانب الأكبر من أبيات القصيدة ينتهى باحدى هاتين الحركتين . ويعتبر الاقواء عيبا فى القافية . ويقول الخليل ابن أحمد إن الاقواء يدل على وجود حركة رخوة تصاحب الروى ، وأن الروى هو فى الحقيقة الياء أو الألف أو الواو . ولكن غيره من علماء العروض يسمون البيت الذى

يكون رويه بالواو أو الياء فى قصيدة رويها الألف الاصراف أو الاسراف(١) ؟

المصـــــادر

(١) Freytag : *Darstellung* ، ص ١٦٢ ، ٣٢٨ وما بعدها (٢) ابن كيسان فى كتاب Wright : *Opscula arab* ، ص ٥٥ (٣) R. Basset : *La Khazradjyah* ص ١٢٦ — ١٢٨ (٤) شيخو : علم الأدب ، ص ٤١٣

[محمد بن شنب]

« الأقيصر » اسم صنم من أصنام العرب فى الجاهلية أو هو على وجه أدق لقب صنم ، وهو تصغير الأقصر ومعناها ذو العنق الغليظ أو القصير . ويظهر أن هذا اللقب يدل على صنم على هيئة إنسان . وكل ما نعرفه عن هـذا الصنم الذى نجهل اسمه الحقيق ، يرجع إلى ما ذكره عنه ابن الكلبى فى مصنفه « كتاب الأصنام » (القاهرة عام ١٩١٤ ، ص ٣٨ — ٣٩ ، ٤٨ — ٥٠) وياقوت فى كتابه « معجم البـــلدان » (جـ ١ ، ص ٣٤٠ — ٣٤١) الذى ترجمه وعلق عليه ڤلهاوزن (*Reste arab. Heidentums* الطبعة الثانية ص ٦٢ — ٦٤) وإلى ما ذكره الجاحظ عنه فى كتاب حياة الحيوان (جـ ٥ ، ص ١١٤) وكتاب البخلاء (ص ٢٣٧) ثم ما ورد عنه فى خزانة الأدب (النسخة المختصرة ، جـ ٣ ، ص ٢٤٦) وفى كتاب «بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب » لمؤلفـــه محمود الألوسى . (القاهرة ١٣٤٣ هـ ، جـ ٢ ، ص ٢٠٩ ، النسخة المختصرة) .

وكانت قبائل قضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان التى كانت تقطن هضبة حمراء الشام تعبد هذا الصنم . وفى أشعار العرب القدماء التى أوردها ابن الكلبى ذكر للأنصاب التى أقيمت حول الكعبة ، وهناك بيت من الشعر لا يعرف صاحبه ورد فى لســـان العرب (جـ ٦ ، ص ٤١٦) ذكره ڤلهاوزن وهو يصف تلك الأنصاب مخضبة بدم الضحايا . ولفظة « أثواب » التى وردت فى هذا البيت تشير إلى أثواب الصنم أو إلى كسوة معبد على شكل الكعبة ، والجَفَرْ تشير إلى البئر التى تلقى فيها النذور ، كما يصف ذلك البيت من الشعر صيحات الحجاج وأغانيهم . ولم تكن تنحر الضحايا المقدمة للصنم دائماً ويقال إن

---

(١) يختلف المجرى بكسر وضم مثل قول حسان بن ثابت رضى الله عنه يهجو الحرث بن كعب المجاشعى :

لا بأس بالقوم من طول ومن قصر
جسم البغـال وأحـلام العصـافير

كأنهم قصب جوف أساقله ... مثقب نفخت فيه الأعاصير

ويختلف المجرى بفتح وغيره مثل :

أرينك ان منعت كلام يحيى ... أتمنعنى على يحيى البكاء
فنى طرفى على يحيى سهاد ... وفى قلبى على يحيى البلاء

ومثل :

ألم ترنى رددت على ابن ليلى ... منيحته فعجلت الأداء
وقلت لشاه لما أتتنا ... رماك الله من شاة بداء

وقد جرى اصطلاح علماء العروص على تسمية الاختلاف بالكسر والضم إقواء وعلى تسمية الاختلاف بفتح وغيره إصرافا وإسرافا ويرى بعضهم تسمية الجميع إقواء .

عبد الفتاح بدوى

من بين ما يقرب له شعر مخلوط بالدقيق وفقاً لعادات الجاهلية (ڤلهاوزن . ص١٢٣ — ١٢٤ ، ١٩٨ — ١٩٩) . ويروى أن قبيلة هوازن أصابها القحط والعسر فذهبت تستجدى حول الأقيصر بقايا النذور . ونحن نشك كثيراً فى صحة هذه الرواية وأغلب الظن أنها أسلوب مألوف من الهجاء بين القبائل وإن كانت فى حد ذاتها ليست بعيدة الاحتمال .

ويقول ڤلهاوزن إن العبارات الواردة فى الأشعار التى أوردها ابن الكلبي خاصة بالأقيصر إلى جانب دلالتها على صنم تشير كذلك الى معبد، وعلى هذا نستطيع أن نفترض أن لقب الأقيصر يشير إلى البناء القصير . ومما يستحق الذكر أن الأقيصر لقب يطلق على قبيلة أيضا (الأغانى ، جـ ١٤ ، ص ٩٨) ؛ كما يطلق على أفراد (الأغانى ، جـ ١٤ ، ص٧٤ الطبرى، جـ٢ ، ص٦٤٧ ، ٩٧٠ ، ٩٩٧ ، ١٠٠٠) وكذلك على سيف (ابن الأعرابى ، كتاب الخيل ، ص ٨٧ ، س ٤) ؟

[ليڤى دلا ڤيدا G. Levi Della Vida]

« أكادير » (انظر « أجادير »)

« أكبر » أبو الفتح جلال الدين محمد : ثالث أباطرة الأسرة التيمورية فى بلاد الهند ولد فى أمركت umarkot من أعمال السند فى الخامس عشر من أكتوبر عام ١٥٤٢ م ، وتوج فى كلانور بالبنجاب فى الرابع عشر من فبراير عام ١٥٥٦ م وتوفى فى أكرا فى السادس عشر من أكتوبر عام١٦٠٥م . تاركا العرش لابنه سليم (جهانكير). وقد ربط أكبر نسبه بالأمير تيمور برلاس(١٣٣٦—١٤٠٥م) وهو حفيد بابر وابن همايون وأمه حميدة بانو إبنة عالم فارسى التحق بخدمة هندال أصغر أبناء بابر الذين عاشوا بعده .

ولد أكبر فى المنفى فى عصر يعد من أعظم عصور التاريخ ، وكان هو أعظم حكام ذلك العصر . ولم تكن أوربا وحدها فى طور النهوض العقلى بل كان هذا الطور قد بدأ فى بلاد الهند أيضا . ويدلنا على ذلك أسماء كبير باتى والطريقة الروشنية والمتصوفة الذين كان إمامهم الشيخ مبارك ناكورى على أحسن الصلات بالامبراطور أكبر. ولم يكن لأكبر نظير فى إدارة الملك وكانت تتلوه فى هذا الصدد ملكة الانجليز فى ذلك العهد .

ومن المعروف عنه أنه خلال حياته الطويلة التى كانت تفيض بالنشاط العقلى لم يكن يحسن القراءة والكتابة . وأغرب ما فى هذا أنه انحدر من أسرة امتازت بالثقافة المتوارثة وأنه كان يعيش بين رجال العلم ، ومع امرأتين اشتهرتا بالأدب هما زوجه سليمة سلطان وعمته كلبدن . وربما كان سبب عدم تعلمه فى الصغر راجعا إلى اضطراب مركز ابيه وما كان ينزع إليه من تأجيل

الأمور وعدم القطع فيها . ولما بلغ الرشد انصرف أكبر باختياره عن التعلم . وكان أكبر رجلا قوى الملاحظة متعطشا للمعرفة ودرس فرعا من فروعها على الأقل هو الدين . كان يعتمد فى هذا على السماع وهذا أمر عجيب ولكننا نستطيع أن نفهمه جيدا عندما نذكر من امتاز من بين المكفوفين ويظهر أن أكبر قد آثر التعلم عن طريق التلقين .

ولا يمكن إجمال القول فى تاريخ انتصاره الحربى الطويل ، على أننا نكتفى فى هذا المقام بوصف ملكه عند ارتقائه للعرش وعند وفاته ففى يناير عام ١٥٥٥م ذهب مع والده من كابل وحضر وقعة سهرند الفاصلة التى انتصر فيها على سكندر سور فى ٢٢ يونيو ١٥٥٥ وأدت إلى استيلاء التيموريين على أكرا ودهلى . ولما توفى أبوه فى ٢٤ يناير عام ١٥٥٦ كان مع بيرم خان بهارلو يطارد سكندر فى البنجاب . وكان كل ما يملكه فى ذلك العهد جزءا صغيرا من البنجاب إذ كان هيمو قد استولى على أكرا وجلا قائده عن دهلى واستولى حرم بكم Begam وسليمان بدخشى على كابل وكان أكبر حينذاك فى الرابعة عشرة من عمره . وعند ما توفى عام ١٦٠٥ ترك لابنه سليم دولة موطدة الأركان تتألف من الهند العليا وكابل وكشمير وبهار والبنغال وأريسه وجزء كبير من بلاد الدكن .

كان أكبر جنديا عظيما ولكن طريقته فى الحكم هى التى أذاعت صيته . ونفذ بالرغم من كل معارضة اصلاحاته المالية التى أعانه فيها تدرمال الهندوكى وأدى هذه المهمة بنشاط لا يعرف الكلل ، كما بذل جهدا كبيرا فى حماية العامة . وكان متصفا بالصبر والمثابرة ورجاحة العقل التى تتمثل فى قوله المأثور « السلام مع الجميع » . وعدل عما ألفه المسلمون فى بلاد الهند منذ القدم فحكم لصالح الكثرة من رعاياه وهم الهندوس الذين حررهم من القوانين الظالمة المهينة فكافئوه على هذا بما أدوا له من خدمات جليلة صادقة . وربما كان حب أكبر للحقيقة وطلبه لها هو الذى يسترعى الانتباه أكثر من نبوغه فى حكمه . ومن المعروف أنه خرج على الإسلام الصحيح ونشر مذهبا منتخبا فى التوحيد سماه « توحيد إلهى » ، ويظهر أن هذا المذهب كان قائما على الاعتقاد بوجود الله مما تشترك فيه جميع الأديان التى بحث فيها . وإذ كان الناس يريدون رمزا للألوهية ، وقد تبين من أبحاثه الخاصة أنهم يريدون هذا بالفعل فقد جعل لهم الشمس رمزا أو النار التى تقابلها فى الأرض . ولم يجز الرهبانية وإنما دعا إلى الحياة الطاهرة البسيطة .

ولا يمكننا الآن أن نقول إلى أى حد اتبع مذهب « توحيد إلهى » خارج بطانة الأمير . على أننا نعرف أسماء ثمانية عشر من أتباع هذا المذهب ومعظمهم من رجال الأدب والشعر وبينهم أمير واحد عظيم هو عزيز كوكه Küka الذى خرج على الاسلام لما

نهب في مكة . وهناك رجال يعزى إلى سلطانهم الصوفى السبب فى انحراف أكبر عن الاسلام وهم الشيخ مبارك ناكورى وأبناؤه . وكان أكبر يعنى أول الأمر بالفرق الاسلامية نفسها ثم مل مما اشتمل عليه جدلها من سخائم . وتزوج امرأة راجبوتانية هى أم سليم ، ودرس البرهمنية على كهنة علماء ، وترجم بعض الكتب المقدسة من الهندستانية . وكان لحرية التفكير الصوفى سلطان كبير على بطانته كما أنه قرب إليه الفرس . وكان يميل ميلا خاصا إلى عبادة الفرثيين للشمس ، ويظهر أن هذا الميل لم يقلل منه ادعاء الراجبوتانيين أنهم أبناء الشمس . ومع هذا فانه لم يوجه إلى دين من أديان الشرق من العناية والأعجاب مثلما وجه إلى المسيحية الكاثوليكية . ويقول الشيخ نور الحق الذى تحرر من آراء أبى الفضل علامى وعبد القادر بداءونى إن الامبراطور حاول أن يستخلص الحسن من الآراء المختلفة لغاية واحدة هى الوصول إلى الحق . وكان ما قبله آخر الأمر من هذه الآراء إنما هو جوهر جميع العقائد أى الاعتقادات التى يسلم بها كل إنسان وأضاف إليها قاعدة خلقية بسيطة ؟

المصــــادر

(١) ابو الفضل علامى : أكبر نامه (٢)
عبد القادر بداءونى : منتخب التواريخ (٣)
نور الحق : زبدة التواريخ (٤) محسن فانى :
دبستان المذاهب (٥) شمس العلماء مولاى محمد
حسين : دربار أكبرى ، لاهور ١٨٩٨ (٦)
le comte de (٧) عين أكبرى Blochmann
Noer : *Kaiser Akbar* ، ليبسك ، وقد ترجم
هذا الكتاب إلى الفرنسية والانجليزية (٨)
Elphinstone : *History of India* (٩)
le Père Goldie : *Missions to the great*
Mogul دبلن ١٨٩٧ (١٠) H. Beveridge :
Notes on Genereal Maclagan's papers
(Journ of the As. Soc. Bengal 1896)
(١١) Malleson : *Akbar* (*Rulers of*
India series) (١٢) Tennyson : *Akbar's*
dream.

[بفردج A. S. Beveridge]

« أَكْدَرِيَّة » اسم يطلق على مسألة فقهية عويصة من مسائل الميراث الملقبة باسم خاص ، وهى : إذا ماتت المرأة عن (١) زوجها (٢) أمها (٣) جدها (٤) أختها سواء أكانت شقيقتها أم أختها لأبيها ، فيكون نصيب الزوج من ميراثها النصف ، والأم الثلث (القرآن الكريم ، سورة النساء ، آيتى ١٢ — ١٣) ويبقى السدس للجد والأخت . وإذا ورث الجد والأخت معــــاً كانا من العصبات أى أن الأخت ترث نصف نصيب الجـد ، ويرث الاثنان كل ما يبقى من الميراث عند ما يستوفى أصحاب الفروض فروضهم .

ووفقا للتفسير الشائع للآية الثانية عشرة من سورة النســـاء ، للجد الحق دائما أن يطالب بسدس التركة ، وعندئذ لا تأخذ الأخت

شيئاً ما ، وهذه هى وجهة نظر الحنفية ، فهم يقولون إن الجد فى هذه المسألة حجب الاخت حجب حرمان ، ولكن المذاهب الفقهية الأخرى ترى أن الجد والأخت فى هذه المسألة لا يعتبران من العصبات بل هما ينالان النصيب الذى حدده لهما القرآن بنفس الطريقة التى يرث بها الزوج والأم . وعلى هذا يكون التقسيم كالآتى :

الزوج يرث نصفاً يساوى ثلاثة أسداس.
الأم ترث الثلث يساوى سدسين .
الجد يرث السدس يساوى السدس .
الأخت ترث النصف يساوى ثلاثة أسداس.

وبوساطة العول (انظر هذه المادة) تقسم المسألة على تسعة بدلا من قسمتها على ستة ، وبذلك :

ينال الزوج ثلاثة أتساع .
تنال الأم تسعين .
ينال الجد تسعاً .
تنال الأخت ثلاثة أتساع .

ومن حيث أن الأخت بعد ذلك كله ليس لها الحق إلا فى نصف نصيب الجد فيجب أن نعود إلى تقرير النسبة الصحيحة بين نصيبيهما ، فهما معاً يرثان أربعة أتساع أى اثنى عشر من سبعة وعشرين ، والجد ينال ثمانية من سبعة وعشرين والأخت تنال أربعة منها

وتختلف آراء الفقهاء فى علة تسمية المسألة « أكدرية » فجماعة يرون أنها من الكُدرة لأن الرأى فيها أكدر غير واضح ، أو لأن الأسس المسلم بها عامة ليست واضحة فى هذه المسألة . ويميل آخرون إلى اعتقاد أن أكدر اسم رجل وكل إليه عبد الملك بن مروان هذه المسألة على أنه لا يزال يوجد تفسيرات كثيرة من هذا القبيل ؟

المصـــــادر

(١) تاج العروس ، جـ ٣ ، ص٥١٨ (٢) المطرزى: المغرب فى ترتيب المعرب (٣) اللسان جـ ٦ ، ص ٤٥٠ (٤) الدمشقى : رحمة الأمة فى اختلاف الائمة ، بولاق ١٣٠٠ هـ ، ص٩٦ (٥) ابن حجر الهيثمى : تحفة ، القاهرة ١٢٨٢ هـ ، جـ ٣ ، ص ١٥ (٦) كتب الفقه الأخرى .

[جوينبل Th. W. Juynboll]

« أكرا » : مدينة فى الهند هى حاضرة إقليم بهذا الاسم تقع على الشاطئ الأيمن لنهر جمنه Djamna . كان عدد سكانها ١٨٨ ألف نسمة فى سنة ١٩٠١ ربعهم تقريباً من المسلمين وعدد سكان الاقليم ١٠٦٠٥٤٦ نسمة وتبلغ مساحته ١٨٤٥ ميلا مربعاً أو ٤٨٠٠ كيلومتر مربع .

وتشتهر مدينة أكرا بمبانيها الفخمة العديدة التى شيدت فى عهد المغل ويقوم كثير منها داخل القلعة الفسيحة مثل «موتى مسجد» الذى شيده شاه جهان عام ١٦٤٥ و « نكنه مسجد » و«منه مسجد» والديوان العام والديوان الخاص والقصور التى تسمى شش محل وخاص محل

وجهانكير محل . أما القلعة فيحيط بها خندق وسور ارتفاعه سبعون قدماً. وبالسور بابان يوصلان إلى داخل القلعة وهناك باب ثالث مغلق يطل على النهر . وقد شيد أكبر هذه القلعة التى يبلغ محيطها كيلو مترين وربعاً . وعلى الشاطىء المقابل للقلعة ضريح اعتماد الدولة (انظر هذه المادة) . وأشهر آثار هذه المدينة هى تاج محل (انظر هذه المادة) . ولا تبلغ مساحة المدينة الآن إلا نصف ما كانت عليه إبان مجدها فى عهد دولة المغل .

وتعرف مدينة أكرا منذ أيام أسرة لودى (انظر هذه المادة) ولكن أكبر هو أول من اتخذها حاضرة للملك وتوفى فيها عام ١٦٠٥ . ومع هذا فان قبره لا يوجد فى أكرا وإنما يوجد فى سكندره (انظر هذه المادة) التى تبعد عنها نحو ثمانية كيلومترات . وقد سميت هذه المدينة أكبر آباد تخليداً لذكر أكبر ولكن هذا الاسم أصبح نسياً منسياً . ولم يستقر خلفاء أكبر فى مدينة أكرا إلا من حين إلى آخر ، ونقل أورنك زيب مقره إلى دهلى. وفى عام ١٧٧٠ استولى المرهته على مدينة أكرا وظلوا يحتلونها إلى عام ١٨٠٣ ولم يتخلوا عنها إلا فترة قصيرة . وفى عام ١٨٠٣ أخضعها اللورد ليك Lake لحكم الانجليز بعد وقعة حدثت فى ١٧ أكتوبر عام ١٨٠٣ م .

المصـــادر

(١) Distr. Gaz. Agra. Oudh ج ٨ ، الله آباد ١٩٠٥ (٢) Smith : The Moghul colour decoration of Agra ١٩٠١ (٣) Archeol. survey of India ج ٤ .

« أكراد » : انظر كرد .

« إكردير » : قصبة قضاء سنجق حميد آباد فى ولاية قونيه . وهى على لســـان من الأرض فى الطرف الجنوبى من بحيرة إكردير. يسكنها بضعة آلاف كلهم من المسلمين . ويقطن جزيرة نيسى المجاوره (Mηστ) (بالتركية نيسين أو نيسى أداسى) نحو ألف من الروم يتكلمون التركية ، كما يوجد بها دير للرهبان .

ويحتمل أن تكون مدينـــة إكردير قد سقطت فى يد السلاجقة فى الوقت الذى فتح فيه قلج أرسلان الثالث ولاية اسپارته عام ٦٠٠ — ٦٠١ هـ (Houtsma : Recueil etc ج ٣ ص ٦٢) . ويقال إن قيقباذ الأول هو الذى ابتنى قلعتها التى خربت الآن وبعد سقوط دولة السلاجقة ، أصبحت إكردير عاصمة ملك حميد أو غلى التركمانى . وأسماها فلك الدين — وهو من أوائل حكام هذه الأسرة (بداية القرن الرابع عشر) فلكبار أو فلكباد (أبو الفداء : تقويم البلدان ، ترجمة Reinaud ج ٢ ، ص ٢، ١٣٤) . وفى عام ٧٨٣ أو ٧٨٤ هـ باع آخر حكام أسرة حميد أوغلى مملكته إلى الســـلطان مراد الأول وبذلك أصبحت إكردير تابعة للدولة العثمانية . وفتح تيمورلنك المدينـة وجزيرة نيسى المنيعة

فى السابع عشر من شعبان عام ٨٠٥ = ١١ مارس سنة ١٤٠٣م (يذكر سعدالدين عن شرف الدين أن ذلك حدث فى السابع عشر من رجب) أثناء توغله فى الاناضول وأعطاها إلى قرهمان أوغلى الذى أعاده إلى الحكم. واضطر الأخير إلى إعادتهما إلى العثمانيين عام ١٤٢٥م ورد أيضا إقليم حميدلى. وبالمدينة ما لا يقل عن ثلاثين مسجداً كبيراً وثمانى عشرة زاوية كما توجد بها مكتبة صغيرة فيها ٢١٨ مخطوطا. وكان ينطق باسم هذه المدينة فى الأصل « إكردور » (ابن بطوطه، جـ ٢، ص ٢٦٧؛ ابن فضل الله فى *Not. et Extr.* جـ ١٣، ص ٣٦٠، ٣٨٤) ؟

المصادر

(١) سعد الدين، جـ ١، ص ٢١١ وما بعدها (٢) حاجى خليفه : جهانما، ص ٦٤٠ (٣) Sarre : *Reise in Kleinasien* ص ١٤٢ وما بعدها، انظر كذلك مادة « حميد أوغلى ».

[مورتمان J. H. Mordtmann]

« أكرمان »: أنظر أق كرمان

« أكرم بك » محمود : من مشاهير شعراء الترك الغنائيين فى العصر الحديث نظم أغانى وقصصا على النمط الفرنسى وهو بادخاله هذه الصور الجديدة نهض بالشعر فى وطنه. ودواوينه التى تسمى « نغمة سحر » (أنغام السحر) و « زمزمه » (الهمسات) و « كنجليك » (الشباب) لها شهرة فائقة. وكتب أكرم بك كذلك عدة قصص تمثيلية أهمها « وصلت » عام ١٨٤٧م وهى قصة جارية أحبت سيدها الشاب ولذلك باعتها سيدتها. وكان هذا الشاعر لايزال على قيد الحياة حتى عام ١٩٠٢ ؟

المصادر

(١) P. Horn : *Geschichte der turkischen moderne* ص ٣٧

[هيوار Cl. Huart]

« إكرى » بالألمانية إرْلو Erlau: مقر البطريركية والمركز السياسى لإقليم هفز المجرى Heves، كانت فى أيدى الأتراك من عام ١٥٧٦ إلى عام ١٦٨٧م. وهى مشهورة بنوع خاص بدفاعها المجيد الموفق تحت إمرة ستيفان دوبو Stephan Dobo من ٩ سبتمبر إلى ١٨ أكتوبر عام ١٥٥٣م أمام هجمات الوزير أحمد (Von Hammar : *Gesch. d. Osm. Reiches*، جـ ٣، ص ٣٠٧ وما بعدها؛ Jorga : *Gesch. d. Osm. Reiches*، جـ ٣، ص ٢٤٣) ولم يفلح الترك فى الاستيلاء عليها إلا فى عهـد السلطان محمد الثالث عام ١٥٩٦ م (v. Hammar : الكتاب السابق، جـ ٤، ص ٢٦٢ وما بعدها؛ *Jorga*، الكتاب السابق، جـ ٣، ص ٣٢١ وما بعدها). ولما توفى قائد

حاميتها عثمان رستم أغا عام ١٦٨٧م سلمت المدينة إلى القائد المجرى كرَفّه Caraffa (v. Hammar الكتاب السابق، ج ٦، ص ٥٠٧، Jorga، الكتاب السابق، ج ٤، ص ٢٢٩) ؟

« إكرى طاغ » انظر جبل الحارث

« الإكسير » : أو إكسير الفلاسفة : هو الوسيلة السحرية التى يعتقد رجال الكيمياء أنهم يستطيعون بها تحويل المعادن الخسيسة إلى فضة وذهب، وهو مرادف لحجر الفلاسفة . ولو أننا لم نجد إلى الآن هذا الاسم فيما كتبه اليونان قديما فى الكيمياء، إلا أننا لانشك فى أنه مشتق من الكلمة اليونانية ξήριον ومعناها مسحوق للجروح . وكثيراً ماورد ذكره فى مصنفات جابر بن حيان التى نشرها برتلو Berthelot. والإكسير يدخل المعادن وينفذ فيها كما ينفذ السم فى الجسد، والقليل منه يحيل من المعدن إلى ذهب ما يبلغ وزنه مليون مرة من وزن كمية الإكسير وهو لا يحفظ إلا فى أوان من الذهب أو الفضة أو البلّور لأنه يؤثر فى الزجاج . ويعرف صاحب كتاب مفاتيح العلوم الإكسير بأنه «الدواء الذى إذا طبخ به الجسد المذاب جعله ذهبا أو فضة» . ويعرفه المؤلفون الأقل تثبتا بأنه «مشهور الاسم معدوم الجسم» وقد انتقلت كلمة «إكسير» إلى فلاسفة العصور الوسطى عن طريق مصنفات العرب فى الكيمياء وخاصة ابن سينا فى كتاب النفس ومن هؤلاء الفلاسفة روجر باكون Roger Bacon : (*Opus Minus, Speculum Alchemiae etc*) والبير الكبير فى القرن الثالث عشر، وفى المؤلفات المنسوبة إلى ريموندس لالوس Raymundus Lullus زيدت كثيرا خواص الإكسير . ويعتبر الإكسير عند روجر باكون وفى المصادر العربية التى نقل عنها وسيلة لاطالة الحياة وذلك لأنه لما كان الإكسير يرفع المعادن الخسيسة إلى الكمال ويبرئها مما فيها من نقص فانه يستطيع إزالة علل البدن ويحفظه سليما ويطيل الحياة . وكان يحضر إكسير الحياة منذ قرون ولا يزال يحضر إلى الآن من جميع العناصر باختلاف أنواعها ؟

المصادر

(١) H. Kopp : *Beiträge zur Geschichte der Chemie* برنسويك ١٨٦٩، ص ٢٠٩، ٤٥٠ وما بعدها (٢) المؤلف نفسه : *Die Alchemie in älterer und neuerer Zeit* هيدلبرج ١٨٨٦ (٣) Berthelot : *La chimie au moyen âge*، ج ٣ (٤) Van Vloten ; *Mafatih al-Ulum*، ص ٢٦٥ (٥) Roger Bacon : *opus minus*، طبعة *Brewer* (٦) E. Wiedemann : *Beiträge z. Gesch. d. Naturw.*، ج ٢، ٢٤ (٧) Gildemeister : *Alchymie* فى *Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Ges.*، ج ٣٠، ١٨٧٦، ص ٥٣٤ وما بعدها .

[J. Ruska رسكا]



بادروا إلى الاشتراك في أكبر عمل علمي تقوم به مصر في العصر الحديث

الاشتراك عن ستة أعداد في داخل القطر ٤٠ قرشاً صاغاً
الاشتراك عن ستة أعداد في خارج القطر ٦٠ قرشاً صاغاً

ترسل الاشتراكات برسم أمين صندوق اللجنة الأستاذ زكي خورشيد

خاطبوا لجنة الترجمة مباشرة

١١٧ شارع عماد الدين بمصر

تلفون ٤١٣٧٥